

مجموعة قصص وأخبار
من صحيح السنة والآثار

الرسالة الثالثة

قصص إسلام الصحابة

تأليف

أ. د. عبدالله بن عبدالعزيز الجبرين

الأستاذ بكلية المعلمين بالرياض



الدرس الأول

أخبار إسلام أم المؤمنين خديجة

وابن عمها ورقة بن نوفل - رضي الله عنهما -

1 - عن عروة بن الزبير - رضي الله عنهما - قال : حدثني جار لخديجة بنت

خويلد ، أنه سمع النبي ... وهو يقول لخديجة : «أي خديجة ، والله لا أعبد اللات ، والله لا أعبد العزى أبداً » قال : فتقول خديجة : خلّ اللات ، خلّ العزى^(١) . قال : كانت صنمهم التي كانوا يعبدون ، ثم يضطجعون^(٢) .

2 - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أول ما بدىء به رسول الله ...

من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ، ثم حُبب إليه الخلاء^(٣) ، وكان يخلو بغار حراء ، فيتحنّث فيه - وهو التعبد

(١) الأقرب أن هذا قبل البعثة . ينظر حاشية السندي على المسند 29 / 467 .

(٢) رواه الإمام أحمد (17947) وإسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيحين ، سوى جار خديجة ، وهو صحابي ، وجهالته لا تضر .

(٣) الخلاء : الخلوة والاعتزال عن الناس .

الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع إلى أهله ^(١) ، ويتزود لذلك ^(٢) ، ثم يرجع إلى خديجة ، فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق ^(٣) ، وهو في غار حراء .

فجاءه الملك ^(٤) ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارىء ^(٥) ، قال : فأخذني فغطني ^(٦) حتى بلغ مني الجهد ^(٧) ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني ، فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة ، ثم أرسلني ^(٨) ، فقال : { اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم { [العلق: 1 - 3] فرجع بها

(١) أي قبل أن يرجع إلى أهله

(٢) أي أنه ... كان يأخذ الزاد إذا أراد أن يذهب للخلوة للتعبد .

(٣) أي جاء الوحي .

(٤) وهو جبريل عليه السلام .

(٥) أي لا أحسن القراءة .

(٦) أي ضمّه وضغطه .

(٧) المراد : حتى بلغ الغط مني الغاية والمشقة .

(٨) قال النووي في شرح مسلم : (قال العلماء : والحكمة في الغط شغله من الالتفات ، والمبالغة

في أمره بإحضار قلبه لما يقوله له ، وكرره ثلاثاً مبالغة في التنبيه ، ففيه أنه ينبغي للمعلم أن

يحتاط في تنبيه المتعلم وأمره بإحضار قلبه . والله أعلم .» .

رسول الله ... يرجف فؤاده ، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال : زملوني^(١) ، زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروح^(٢) ، فقال لخديجة ، وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي^(٣) .

فقال لخديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل^(٤) ، وتكسب المعدوم^(٥) ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق^(٦) ، فانطلقت به خديجة ، حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة ، وكان امرأً تنصر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العربي ، فيكتب الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخاً كبيراً قد عمي ، فقالت له

(١) أي غطوني .

(٢) أي الفزع والخوف .

(٣) مال الحافظ ابن حجر في الفتح إلى أنه ... خاف من الموت أو المرض من شدة الرعب

والخوف .

(٤) أي تساعد كل من حصل له ما يثقله من فقر أو كثرة عيال ، أو يتم ، وذلك بالإئناق عليهم .

(٥) أي تعين الفقير ، وذلك بأن تكسبه المال ، فتعطيه المال تبرعاً .

(٦) النوائب : جمع نائبة ، وهي الحادثة . وهذه الجملة تجمع جميع ما تقدم وما لم يتقدم من مكارم

الأخلاق وخصال الخير .

خديجة : يا ابن عم ، اسمع من أخيك .

فقال له ورقة : يا ابن أخي ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ... خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس ^(١) الذي نزل الله على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ^(٢) ، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قوم ، فقال رسول الله ... : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً ^(٣) ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي ^(٤) . رواه البخاري ومسلم ^(٥) .

3 - وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : سئل النبي ... عن أبي

طالب ، هل تنفعه نبوتك ؟ قال : ((نعم ، أخرجته من غمرة جهنم إلى ضحضاح ^(٦)

(١) الناموس في اللغة : صاحب سر الخير ، ويقابله : الجاسوس ، وهو صاحب سر الشر .

والمراد هنا : جبريل عليه السلام ، سمي بذلك لأن الله تعالى خصه بالوحي .

(٢) أي : شاباً قوياً حتى أبالغ في نصرتك .

(٣) أي : قوياً .

(٤) أي لم يلبث إلا وقتاً قليلاً حتى توفي ، وتوقف نزول القرآن فترة من الزمن .

(٥) صحيح البخاري : بدء الوحي (3) ، والتفسير (4953) ، وصحيح مسلم : الإيمان

. (160)

(٦) قال في النهاية (مادة : ضحضح) : «الضحضاح في الأصل : مارق من الماء على وجه

الأرض ما يبلغ الكعبين ، فاستعاره للنار» .

منها)) .

وسئل عن خديجة - لأنها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن - فقال : ((
 أبصرتها على نهر من أنهار الجنة ، في بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب)) .
 وسئل عن ورقة بن نوفل . قال : ((أبصرته في بطنان^(١) من الجنة ، عليه سندس
 .))

وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل ، فقال : ((يبعث يوم القيامة أمة وحده بيني
 وبين عيسى)) . عليها السلام^(٢) .

الفوائد والعبر :

1 - فضل خديجة رضي الله عنها ، ورباطة جأشها ، وصواب رأيها ،
 وفراستها ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((خير نساء أهل الجنة أربع : مريم بنت

(١) البطنان : جمع بطن ، وهو وسط الشيء أو أصله ، والمراد من دواخل الجنة . ينظر النهاية
 (مادة : بطن) .

(٢) رواه أبو يعلى (2047) وفي سنن مجالد ، وفيه ضعف ، وقال الهيثمي 416 / 9 : ((فيه مجالد ،
 وهذا مما مدح من حديث مجالد ، وبقية رجاله رجال الصحيح)) ، ولكل فقرة من فقراته
 شواهد ، فهو صحيح بشواهده ، ينظر صحيح البخاري (1792 ، 3816 ، 3820 ،
 6208) ، وصحيح مسلم (209 ، 2432 - 2434) ، ومسند أبي يعلى (973) .

عمران ، وفاطمة بنت محمد ... ، وخديجة بنت خويلد ، وآسية امرأة فرعون ((^٢) ، وثبت أيضاً عنه ... أنه قال : ((خير نسائها - أي هذه الأمة - خديجة بنت خويلد)) متفق عليه^(٣) .

2 - أن من اتصف بالأخلاق الفاضلة وحرص على مساعدة إخوانه المحتاجين حري بأن يوفق للخير ، وفي الحديث عن النبي ... قال : ((والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)). رواه مسلم^(٣) .

ولذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على مساعدة المحتاجين والصدقة على المساكين واليتامى والأرامل ، سواء كان ذلك بالمال أو بقضاء حوائجهم ، أو بمساعدتهم على قضائها .

3 - فضل الزوجة الصالحة العاقلة ، وأنها خير معين لزوجها - بعد الله تعالى - على تحمل الصعاب .

4 - أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على الاستشارة في الأمور المهمة .

5 - أنه ينبغي له أن يحرص على استشارة أصحاب الرأي السديد من أهل

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (1336 - 1339) بأسانيد صحيحة ، وصححه الحافظ في الفتح (7/ 135) .

(٢) صحيح البخاري (3865) ، وصحيح مسلم (2430) .

(٣) صحيح مسلم (2699) .

الصالح والخبرة ، الذين يحرصون على مصلحة من استشارهم ، فيشرون عليه بما يرون أنه خير له وللمسلمين .

وفي المقابل ينبغي أن لا يستشير من عصى الله تعالى وجعل همه الدنيا ؛ لأنه لو كان له رأي سديد لما أثر الدنيا القصيرة الفانية على الآخرة الطويلة الباقية ، ولم يفكر فيما ينجيه من أهوالها ، فشابه من قال الله فيهم : { إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً } ، وأيضاً لو كان للعاصي رأي سديد لما عصى الله تعالى وهو يعلم أن المعصية سبب لإحراقه بالنار ، وحرمانه من الجنة ، وفي صحيح البخاري عن النبي ... أنه قال : ((كل أمتي يدخلون الجنة ، إلا من أبى)) قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : ((من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى)) ، كما أن العاصي ربما يحمل فسقه على الحسد لمن استشاره ، أو يحمله فسقه على أن يشير عليه بأي رأي يخطر بباله دون نظر في مصلحة من استشاره ، أو يشير عليه بما فيه مضرة للآخرين ، أو معصية لله تعالى .

وكذلك لا يستشير الأحمق الذي يضع الأمور في غير موضعها ، فيشير عليه بما يضره ، وهو يريد أن ينفعه .

6 - فضل ورقة بن نوفل ، وأنه من المؤمنين الموحدين ، المشهود لهم بالجنة .

7 - أن من سنة الله في هذا الكون وجود الصراع بين أهل الحق وأهل الباطل ، بين الأنبياء وأعدائهم من المشركين ، وبين أتباع الأنبياء من الدعاة والمصلحين وأعدائهم من الكفار والفساق والمنافقين ، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يتحلى بالصبر والحكمة ، وأجره على الله .

8 - أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على مناصرة الأنبياء ، وذلك بالدعوة إلى طريقتهم ، وبمناصرة الدعاة إلى الله تعالى والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، بشتى الوسائل التي يمكنه القيام بها ، وأن يحذر من أن يسلك طريق الكفار والمنافقين والفساق في إيذاء الدعاة إلى الله تعالى سواء أكان ذلك بالقول أم بغيره (١) . والله أعلم .

9 - فضل زيد بن عمرو بن نفيل ، وأنه كان من المؤيدين ، وأنه يبعث يوم القيامة أمة وحده .

10 - أن الفضل لا يكون بالنسب ، وإنما بالإيمان والتقوى .

11 - أن الهداية بيد الله يهبها لمن يشاء ، ولهذا لم يستطع النبي ... هداية عمه

(١) ينظر في شرح قصة إسلام ورقة وبيان بعض فوائدها : شرح مسلم للنووي 2/ 197 -

204 ، جامع الأصول : الوحي 11/ 279 ، 278 ، فتح الباري 1/ 22 - 27 ، و 8/ 716 -

721 - ، الفتح الرباني : السيرة 20/ 207 ، 208 .

أبي طالب إلى الإسلام ، لأن الله لم يكتب له ذلك^(١) .

12 - إثبات شفاعة النبي ... لعمه أبي طالب يوم القيامة ، فيخفف عنه

العذاب من أجل شفاعته ، ولكنه لا يخرج من النار .

* * *

(١) ينظر كلام الحافظ ابن القيم الآتي عند بيان فوائد قصة سلمان الفارسي - رضي الله عنه - إن

شاء الله تعالى .

الدرس الثاني

أخبار إسلام أفضل هذه الأمة بعد نبيها ...

وهو أبو بكر الصديق - رضي الله عنه -

4 - عن أبي الدرداء - رضي الله عنه - قال : كنت جالساً عند النبي ... ، إذ

أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته فقال النبي ... : ((أما صاحبكم فقد غامر))^(١) ، فسلم ، وقال يا رسول الله : إنه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت إليه^(٢) ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي ، فأبى عليّ ، فأقبلت إليك ، فقال : ((يغفر الله لك يا أبا بكر)) ، ثلاثاً ، ثم إن عمر ندم ، فأتى منزل أبي بكر فسأل : أتم أبو بكر؟ فقالوا : لا ، فأتى إلى النبي ... ، فسلم عليه ، فجعل وجه النبي يتمعر حتى أشفق أبو بكر^(٣) ، فجثا على ركبتيه ، فقال : يا رسول الله والله أنا كنت أظلم ، مرتين ، فقال النبي ... : ((إن الله بعثني إليكم فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر :

(١) أي خاصم . والمعنى دخل في غمرة الخصومة .

(٢) أي أغضبته .

(٣) أي أحمر وجه النبي ... من الغضب حتى خشى أبو بكر أن يصيب عمر من رسول الله ... ما

صدق ، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركولي صاحبي؟))مرتين ، فما أُؤذِيَ بعدها . رواه البخاري^(١) .

5 - وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه سئل : من أول من آمن بالنبى

... : فقال : أول من آمن به أبو بكر ، أما سمعت قول حسان :

إذا تذكَّرتَ شجواً من أخي ثقة ^(٢)	فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاهما وأعدلها	بعد النبي وأولاها بما حملا
والتالي الثاني ^(٣) المحمود مشهده	وأول الناس منهم صدق الرسلا
عاش حميداً لأمر الله متبعاً	بأمر صاحبه الماضي وما انتقلا ^(٤)

(١) صحيح البخاري (3661) . قال الحافظ في البداية 4 / 69 ، 71 : ((وهذا كالنص على أنه أول من أسلم - رضي الله عنه - ... وهو المشهور عن جمهور أهل السنة)) . ثم ذكر أقوالاً عن بعض أهل العلم في ذلك ثم قال 4 / 73 : ((وقد أجاب أبو حنيفة - رضي الله عنه - بالجمع بين هذه الأقوال بأن أول من أسلم من الرجال الأحرار أبو بكر ، ومن النساء خديجة ، ومن الموالي زيد بن حارثة ، ومن الغلمان علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين)) وينظر الفتح 7 / 24 ، 170 .

(٢) الشجو : الحزن .

(٣) أبو بكر - رضي الله عنه - هو التالي للنبي ... حيث تولى الخلافة بعده ، وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار .

(٤) أي لم يترك سنة النبي ... وطريقته ، بل سار عليها .

6 - وعن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - قال : رأيت رسول الله ... وما معه إلا خمسة أعبد ، وامرأتان ، وأبو بكر^(١) . رواه البخاري^(٢) .

الفوائد والعبر :

- 1 - أن أبا بكر رضي الله عنه هو أفضل الصحابة - رضي الله عنهم - .
- 2 - أنه ينبغي للمسلم المبادرة إلى الاعتذار ممن أخطأ عليه وعدم التسويف في ذلك ، ومثله من وقع في معصية من معاصي الله تعالى ، فيجب عليه أن يبادر إلى التوبة منها .
- 3 - أنه ينبغي أن يعرف لأهل الفضل فضلهم .
- 4 - أنه من كانت له سوابق حسنة كثيرة ينبغي أن تغتفر زلاته اليسيره .
- 5 - أن العفو والصفح عن زلات الآخرين خلق إسلامي رفيع اتصف به أصحاب النبي
- 6 - أن اعتراف المسلم بخطئه وطلب العفو عنه ممن أخطأ عليه فضيلة من

(١) رواه ابن أبي شيبة (18433) ، ويعقوب في المعرفة 3 / 263 ، والطبري في تاريخه 2 / 314

من طريقتين يقوي أحدهما الآخر عن ابن عباس به ، فهو حسن لغيره .

(٢) صحيح البخاري : مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي بكر - رضي الله عنه - (3857) .

الفضائل وخلق كريم لا يتصف به إلا أهل العدل والإنصاف .

7 - أن وقوع الخطأ من أهل الفضل لا يقدر في فضلهم ، فكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون .

8 - أنه ينبغي على الإنسان إذا ظلم غيره أن يبادر إلى طلب المسامحة والعفو ممن ظلمه .

9 - أنه يستحب للجلس أن يلاحظ ويراعي حال جلسه ومن يخاطبه وما يظهر على وجهه من تغير فرح أو حزن أو غضب ، ولهذا لاحظ أبو بكر - رضي الله عنه - تغير وجه النبي ... ، وعمل على إيضاح الأمر الذي كان سبباً في تغير وجهه عليه الصلاة والسلام .

10 - أن الركبة ليست من العورة ، وإنما هي نهاية العورة ، لأن عورة الرجل التي يجرم عليه أن يظهرها أمام الآخرين هي من السرة إلى الركبة .

11 - جواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان في ذلك مصلحة وأمن على الممدوح من العجب أو الاغترار بهذا المدح^(١) .

* * *

الدرس الثالث

أخبار إسلام الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه

كان عمر رضي الله عنه صنيدياً من صناديد قريش ^(١) ، وكان في أول أمره مبغضاً للإسلام ، مؤذياً لرسول الله ... وللمسلمين .

7 - فهذا هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه يحكي بعض أذاه قبل أن يسلم

لرسول الله ... ، ولبعض المسلمين ، فيقول : كنت من أشد الناس على رسول الله ... ، فبينما أنا في يوم حار شديد الحر بالهاجرة ، في بعض طريق مكة إذ لقيني رجل من قريش ، فقال : أين تريد يا ابن الخطاب ؟ فقلت : أريد التي ، والتي ، والتي ^(٢) . قال : عجباً لك يا ابن الخطاب ممن تزعم إنك كذلك ، وقد دخل عليك الأمر في بيتك ^(٣) . قلت : وما ذاك ؟ قال : أختك قد أسلمت . قال عمر : فرجعت مغضباً حتى قرعت الباب ، وقد كان رسول الله ... إذا أسلم الرجل والرجلان ممن

(١) كانوا يطلقون في الجاهلية على من يجمع بين الشجاعة والمال ((صندياً)).

(٢) جاء في بعض روايات هذا الخبر أن عمر خرج يريد قتل النبي

(٣) أي عجباً لك ، تزعم أنك تريد قتل محمد وهو من بني هاشم ، وتترك من على دينه من أقاربك .

لا شيء له ضمهما رسول الله ... إلى الرجل الذي في يده السعة فينالان من فضل طعامه ، وقد كان ضم إلى زوج أختي رجلين ، فلما قرعت الباب قيل : من هذا؟ قلت : عمر بن الخطاب . فتبادروا فاخطفوا مني ، فقامت أختي تفتح الباب . فقلت : يا عدوة نفسها ، أصبوت؟ وضربتها بشيء في يدي على رأسها ، فسال الدم ، فلما رأيت الدم ، بكت ، فقالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلاً فافعل ، فقد صبوت^(١) .

(١) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (376) وغيره ، وفي إسناده إسحاق الحنيني ، وأسامة بن زيد بن أسلم ، وفي كل منهما ضعف ، وله شاهد من مرسل محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر ، رواه ابن عائد في مغازيه كما في السيرة لابن سيد الناس 162 / 1 ، وهو حسن الإسناد ، وله شاهد ثان من مرسل الزهري عند عبدالرزاق (9718) بإسناد صحيح ، وله شاهد ثالث من حديث أنس عند ابن سعد (267 / 3) ورجاله ثقات ، عدا القاسم بن عثمان وهو «ضعيف» كما في الميزان واللسان . وله شواهد أخرى كثيرة تنظر في السيرة الذهبية رقم (419) .

وبالجملة فهذا الخبر حسن بشواهد ، ولم أسقه بتامه لأن ما ذكر فيه من إسلام عمر بعد ضربه لأخته مباشرة يخالف حديث سعيد بن زيد الآتي بعده ، ولعله من أجل ذلك قال الذهبي في «الميزان» في ترجمة القاسم بن عثمان «منكر جداً»، ومما يؤيد عدم ثبوت آخر هذا الخبر عدم ذكر الزهري له في مرسله السابق .

8 - وهذا صهره وابن عمه سعيد بن زيد رضي الله عنه يحكي بعض أذاه له

ولأخته فاطمة بنت الخطاب ، فيقول : لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام أنا وأخته ، وما أسلم . رواه البخاري^(١) .

ولشدة عداة عمر رضي الله عنه للإسلام وأهله وأذاه لهم كان المسلمون

يستبعدون إسلامه :

9 - فعن عبدالله بن عامر بن ربيعة عن أمه ليلي قالت : كان عمر بن الخطاب

من أشد الناس علينا في إسلامنا ، فلما تهيأنا للخروج إلى أرض الحبشة ، أتى عمر بن الخطاب ، وأنا على بعيري ، وأنا أريد أن أتوجه ، فقال : أين يا أم عبدالله ؟ فقلت : أذيتمونا في ديننا ، فنذهب في أرض الله حيث لا نؤذى ، فقال : صحبكم الله ، ثم ذهب ، فجاء زوجي عامر بن ربيعة فأخبرته بما رأيت من رقة عمر ، فقال : ترجين أن يسلم ؟ والله لا يسلم حتى يسلم حمار الخطاب^(٢) .

(١) صحيح البخاري : مناقب الأنصار (3862، 3867) .

(٢) رواه ابن إسحاق : إسلام عمر ص 160 ، من طريقه ابن هشام 342/2 ، والطبراني

29/25 ورجاله حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن ، عدا عبدالعزيز بن عبدالله بن عامر ،

فلم يوثقه سوى ابن حبان ، وينظر لسان الميزان ، وتعجيل المنفعة . وقد صحح هذا الأثر

الهيثمي في المجمع 24/6 ، وحسنه الدكتور وصي الله في تعليقه على فضائل الصحابة

ثم إن النبي ... دعا لعمر بن الخطاب :

10 - فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله ... : ((اللهم

أعز الإسلام بأحبّ هذين الرجلين إليك : بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب)) فكان أحبهما إلى الله - عز وجل - عمر بن الخطاب^(١) .

ثم إنه حصل موقف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع فيه القرآن ، فبهره ببلاغته وإعجازه ، فعلم أنه من كلام الله تعالى ، وأنه ليس بقول بشر ، فأسلم بعد سماعه له :

11 - فعن عمر رضي الله عنه قال : ((خرجت أتعرض رسول الله ... قبل أن

أسلم ، فوجدته قد سبقني إلى المسجد ، فقمتم خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجعلت أعجب من تأليف القرآن ، قال : فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش ، فقراً : { إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون } ، قلت : كاهن . قال : { ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين } [الحاقة: 40 - 48] إلى آخر السورة ، قال : فوقع

(١) رواه أحمد في المسند (95 / 2) ، والترمذي (3681) ، وابن حبان (الإحسان 6881) .

الإسلام من قلبي كل موقع ٢٠٠٠ .

12 - وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال : لما أسلم عمر قال : أي قريش أنقل للحديث ؟ ف قيل له : جميل بن معمر الجمحي ، فغدا عليه^(١) . قال عبدالله : وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل ، وأنا غلام أعقل كل ما رأيت .

حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أني أسلمت ، ودخلت في دين محمد ...

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (17/1 ، 18) عن أبي شريح ، عن عمر . وإسناده صحيح مرسل . وينظر المجمع (62/9) .

وله شاهد بنحوه من حديث جابر رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الأوائل

103/14 ، رقم (17728) وإسناده ضعيف ، وله شاهد آخر من مرسل الزهري عند عبدالرزاق (9718) بإسناد صحيح ، وله شاهد ثالث بنحوه رواه ابن إسحاق ، كما في السيرة لابن هشام 2/346 ، ومن طريق الإمام أحمد في فضائل الصحابة (374) قال ابن إسحاق : حدثني عبدالله بن أبي نجيح المكي ، عن أصحابه : عطاء ومجاهد ، أو عن روى ذلك أن إسلام عمر فيما تحدثوا به عنه أن كان يقول ... فذكره .

وبالجملة : الرواية الأولى ضعفها ليس قوياً ، فتتقوى الروايات التي بعدها .

(٢) أي أن عمر رضي الله عنه لما أسلم أراد أن يشهر إسلامه ويعلنه ، فبحث عن أكثر قريش إعلاناً للأخبار ، فدلوه على جميل ، فذهب إليه عمر في الغداة - وهي الصباح - فأخبره .

؟ .

قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجير رداءه^(١) واتبعه عمر ، واتبعته أنا ، حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، وهم في أنديتهم^(٢) حول الكعبة . ألا إن ابن الخطاب قد صبأ .

قال : يقول عمر من خلفه : كذب ، ولكنني أسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وثاروا عليه ، فما برح يقاتلهم ويقاتلونهم ، حتى قامت الشمس على رؤوسهم ، قال : وطلح فقعد ، وقاموا على رأسه^(٣) وهو يقول : إفعلوا ما بدا لكم ، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لقد تركناها لكم أو تركتموها لنا .

قال : فبينما هم على ذلك ، إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص مؤشَّى^(٤) ، حتى وقف عليهم . فقال : ما شأنكم به ؟ فقالوا : صبأ عمر . قال :

-
- (١) أي أن جميل بن معمرة لما كلمه عمر لم يرد على عمر ، وإنما قام مباشرة ليخبر بإسلام عمر .
 (٢) أي في مجالسهم .
 (٣) أي أنهم لما علموا بإسلامه قاموا إليه ليضربوه ، فأخذ يضاربهم حتى جاء وقت الزوال ، وتعب عمر ، فجلس ، فوقفوا عنده .
 (٤) الحبرة على وزن عنبه : برد يمان . والوشى في الثوب : خلط لون بلون . ينظر الصحاح مادة «حبر» ، واللسان مادة «وشى» .

فمه^(١) ، رجلٌ اختار لنفسه أمراً فما تريدون؟ أترون بني عدي يسلمون لكم صاحبكم هكذا^(٢)؟ خلوا عن الرجل^(٣) .

13 - وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ما زلنا أعزة منذ أسلم ، ولقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر ، فلما أسلم قاتلهم حتى تركونا نصلي^(٤) .

الفوائد والعبر :

(١) أي فإذا تريدون منه .

(٢) أي أن بني عدي وهم فخذ عمر بن الخطاب لن يتركوكم إن قتلتم عمر أو أضررتهم به ضرراً بيئاً .

(٣) رواه ابن إسحاق (ص 164) ، ومن طريقه الإمام أحمد في الفضائل (372) ، وابن حبان (الإحسان 6879) قال : حدثني نافع ، عن ابن عمر . وإسناده حسن . وحسنه ابن كثير في السيرة (2/ 31) .

ويدل على ترتيب إسلام عمر رضي الله عنه على النسق السابق رواية الزهري عنه عند عبدالرزاق (9718) .

(٤) رواه ابن سعد 270/3 بإسناد صحيح ، على شرط البخاري ، وروى البخاري جزأه الأول (3863) .

1 - أنه ينبغي للمسلم أن يتعد عن الأماكن التي تكثر فيها الفتن ، ويجب عليه أن يهاجر من المكان الذي لا يستطيع فيه عبادة ربه إلى مكان يعبد الله فيه ويظهر فيه شعائر الإسلام .

2 - أنه يجب على المسلم أن يتحمل الأذى في ذات الله تعالى ، وليكن قدوته في ذلك رسول الله ... وأصحابه ، وليحذر من حال كثير من ضعفاء الإيمان الذين إذا حصل لأحدهم أذى ترك بعض الواجبات الشرعية ، كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وربما فعل بعض المحرمات من أجل ذلك .

3 - أن دعاء الله تعالى أعظم سلاح يلجأ إليه المسلم ، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحرص على الإتيان بأسباب الإجابة ، والبعد عن موانعها كأكل المال الحرام ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقد ثبت عن النبي ... أنه قال : «مروا بالمعروف وانهاؤا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم»^(١) ولهذا لما حقق النبي ... وأصحابه هذه الأسباب وابتعدوا عن تلك الموانع استجاب الله دعاءهم .

أما اليوم فلما تساهل الناس في المكاسب المحرمة وقصروا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا من رحم الله لم يستجب لكثير منهم .

4 - أنه ينبغي للداعية أن يجمع بين الصبر على المدعوين والاستمرار في دعوته

(١) رواه ابن ماجه في سننه (4004) ، وهو في صحيحه للألباني .

وعدم اليأس من هدايتهم ، وبين دعاء الله تعالى أن يهديهم إلى الصراط المستقيم .

5 - في هذه الأخبار عظمة هذا القرآن وإعجازه الذي بهر أئمة الفصاحة

والبيان ، وجعل ألد أعداء الإسلام ينقادون عن قناعة تامة للدخول في هذا الدين .

كما ظهر في هذه الأخبار قوة وصدق إيمان عمر رضي الله عنه وبلاءه في دين الله

وقوته في الحق ، وفي ذلك ما يغيب أعداء الصحابة - الذين هم أفضل هذه الأمة -

من الرافضة وغيرهم ، وبهذا وغيره استحق عمر أن يكون أفضل الصحابة بعد أبي

بكر رضي الله عنه .

* * *

الدرس الرابع

خبر إسلام الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه -

14 - عن عبيدالله بن عدي بن الخبار - رحمه الله - أن المسور بن مخرمة وعبدالرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالاه : ما يمنعك أن تكلم عثمان لأخيه الوليد بن عقبة ^(١) فقد أكثر الناس فيه ؟ قال : فقصدت لعثمان حين خرج إلى الصلاة ، فقلت : إن لي إليك حاجة ، وهي نصيحةٌ لك . قال : يا أيها المرء أعوذ بالله منك . فانصرفت ، فلما قضيت الصلاة جلست إلى المسور وإلى ابن عبد يغوث ، فحدثتهما بما قلت لعثمان وما قال لي . فقالا : قد قضيت الذي كان عليك ، فبينما أنا جالس معها إذ جاءني رسول عثمان ؛ فأتيته ، فقال : ما نصيحتك ؟ فقلت : إن الله سبحانه بعث محمداً ... بالحق ، وأنزل عليه الكتاب ، وكنت ممن استجاب لله ولرسوله ... ، فهاجرت الهجرتين ، وصحبت رسول الله ... ورأيت هديه . وقد أكثر الناس في شأن الوليد بن عقبة ، فحق عليك أن تقيم عليه الحد .

(١) وهو أخو عثمان - رضي الله عنه - لأمه ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولأه الجزيرة بأرض العراق ، ثم نقله عثمان منها إلى الكوفة ، فشرب الخمر وهو أمير عليها ، فأخر عثمان إقامة الحد عليه ليتأكد من عدالة اليهود . ينظر : فتح الباري 7 / 56 .

قال : أدركت رسول الله ... ؟ قلت : لا ، ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في سترها . قال : أما بعد فإن الله بعث محمداً ... بالحق ، فكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله ، وآمنتُ بما بُعث به وهاجرتُ الهجرتين - كما قلت - وصحبتُ رسول الله ... وبايعتُه ، فوالله ما عصيته ولا غششته حتى توفاه الله . ثم أبو بكر مثله . ثم عمر مثله . ثم استخلفت ، أفليس لي من الحق مثل الذي لهم ؟ قلت : بلى . قال : فما هذه الأحاديث التي تبلغني عنكم ^(١) ؟ أما ما ذكرت من شأن الوليد فسناخذ فيه بالحق إن شاء الله . ثم دعا علياً فأمره أن يجلد ، فجلدهُ ثمانين . رواه البخاري ^(٢) .

الفوائد والعبر :

- 1 - فضل الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وبيان عدله وإقامته لحدود الله وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم ، وأنه لا يجابي في ذلك أحدا .
- 2 - فضل الصحابة على من بعدهم .

(١) قال في الفتح 57 / 7 : «كأنهم كانوا يتكلمون في سبب تأخيره إقامة الحد على الوليد».

(٢) صحيح البخاري : فضائل الصحابة (3695) ، ومناقب الأنصار (3872) ، وينظر في

إسلامه أيضاً المصنف لابن أبي شيبة : الفضائل 53 / 12 .

3 - أنه يجب على المسلم مناصحة ولي الأمر إذا رأى ما يحتاج إلى مناصحته فيه ، وذلك فيما بينه وبينه ، كما فعل هذا التابعي الجليل ، ويحرم عليه أن يجهر بذلك أمام عامة الناس ، لثلايوغر صدورهم عليه ، فيحصل من ذلك ضرر ، كما حصل في آخر خلافة الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، لما تجرأ بعض الناس على الكلام فيه أمام العامه ، فأوغروا الصدور ضده وكان من أعظم أضرار ذلك قتله - رضي الله عنه - والذي لا تزال الأمة تعاني من آثاره إلى اليوم^(١) .

وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فليأخذ بيده فليخل به ، فإن قبلها قبلها ، وإن ردها كان قد أدى الذي عليه)) .

4 - أنه يجب على الحاكم أن يقيم الحدود كما شرعها الله تعالى ، وألا تأخذه في ذلك لومة لائم ، وأن يقيمها على كل من وجب إقامة الحد عليه ، كائناً من كان ، فإن التفريق في ذلك أو التساهل فيه من أسباب هلاك الأمم ، فقد روى البخاري ومسلم عن عائشة مرفوعاً : ((أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وأيم الله لو أن

(١) ينظر شرح رياض الصالحين لشيخنا محمد بن عثيمين ، باب أمر ولاة الأمور بالرفق

برعاياهم (شرح حديث معقل بن يسار : مامن عبد يسترعيه الله ...) .

(٢) رواه الإمام أحمد (15333) ، وابن أبي عاصم في السنن ، باب كيف نصيحة الرعية للولاة

(1096 - 1098) ، والبخاري في الكبير 7 / 18 ، 19 ، والحاكم 3 / 290 وسنده حسن .

فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها (١).

* * *

(١) صحيح البخاري: الحدود (6788)، وصحيح مسلم: الحدود (1688).

الدرس الخامس

أخبار إسلام الخليفة الراشد علي بن أبي طالب وجماعة من السابقين إلى الإسلام

15 - عن بريدة بن الحصيب - رضي الله عنه - قال : أبو ذر ونعيم ابن عم

أبي ذر وأنا معهم نطلب النبي ... ، وهو بالجبل مكتم^(١) ، فقال أبو ذر : يا محمد أتيناك نسمع ما تقول وإلى ما تدعو ، فقال رسول الله ... : ((أقول لا إله إلا الله ، وإني رسول الله)) ، فأمن به أبو ذر وصاحبه ، وأمنت به ، وكان علي في حاجة لرسول الله ... أرسله فيها ، وأوحى إلى رسول الله ... يوم الإثنين ، وصلى عليّ يوم الثلاثاء^(٢) .

16 - وعن عمار بن ياسر - رضي الله عنهما - قال : رأيت رسول الله ... وما

(١) في اللفظ الذي نقله الحافظ في الإصابة في ترجمة نعيم : (مستتر) ومعناها واحد .

(٢) رواه الحاكم 112/3 ، وصححه . وسنده حسن . وله شاهد من حديث أنس عند الحاكم

في الموضوع السابق ، وشواهد أخرى تنظر في السيرة لابن إسحاق ص 119 ، الفتح الرباني

213/20 ، 214 ، السيرة الذهبية ، رقم (370) .

معه إلا خمسة أعبد^(١) ، وامرأتان^(٢) ، وأبو بكر . رواه البخاري^(٣) .

17 - وعن عفيف الكندي - رضي الله عنه - قال : جئت في الجاهلية إلى

مكة ، وأنا أريد أن أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها ، فنزلت على العباس بن عبد
المطلب ، قال : فأنا عنده ، وأنا أنظر إلى الكعبة ، وقد حلقت الشمس ،
فارتفعت^(٤) ، إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة ، فرفع رأسه إلى السماء ، فنظر ، ثم
استقبل الكعبة تماماً ، إذ جاء غلام حتى قام عن يمينه ، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى
جاءت امرأة ، فقامت خلفها ، ثم ركع الشاب ، فركع الغلام ، وركعت المرأة ، ثم
رفع الشاب رأسه ، ورفع الغلام رأسه ، ورفعت المرأة رأسها ، ثم خار الشاب
ساجداً ، وخر الغلام ساجداً ، وخرت المرأة ، قال : فقلت : يا عباس إني أرى أمراً
عظيماً . فقال العباس : أمر عظيم ، هل تدري من هذا الشاب ؟ قلت : لا ، ما
أدري . قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ابن أخي ، هل تدري من هذا
الغلام ؟ قلت : لا ، ما أدري . قال : علي بن أبي طالب ابن عبد المطلب ابن أخي .

(١) وهم : بلال ، وزيد بن حارثه ، وعامر بن فهيرة ، وأبو فكيهة ، وشقران .

(٢) وهما خديجة وأم أيمن . ينظر : الفتح 7 / 24 .

(٣) صحيح البخاري : مناقب الأنصار (3857) .

(٤) في بعض روايات هذا الحديث : «فنظر إلى الشمس فلما رآها مالت» .

هل تدري من هذه المرأة؟ قلت : لا ، ما أدري . قال : هذه خديجة بنت خويلد زوجة ابن أخي هذا الذي ترى ، حدثنا أن رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه ، فهو عليه ، ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة . قال عفيف : فتمنيت بعد أني كنت رابعهم^(١) .

(١) رواه ابن سعد 17/8 ، 18 ، والنسائي في خصائص علي (5) ، والطبري في تاريخه 311/2 وغيرهم من طريق أسد بن عبدالله ، عن ابن يحيى بن عفيف ، عن جده - وعند بعضهم عن يحيى بن عفيف عن أبيه عفيف - وأسد فيه لين كما في التقريب ، وابن يحيى مجهول ، وأبوه لم يوثق سوى ابن حبان ، لكن يحيى من كبار التابعين ، ولا يبعد أن يكون ابنه كذلك ، وكثير من أهل العلم يقوى حديث من لم يجرح منهم .

ورواه الإمام أحمد (1787) ، والحاكم 183/3 ، والعقيلي 80/1 من غيرهم من طريق يحيى بن الأشعث ، عن إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده . ويحيى لم يوثقه سوى ابن حبان ، وإسماعيل لم يوثق ، وقال البخاري : ((في حديثه نظر)) ، وأبوه قال عند البخاري : ((فيه نظر)) . وقال الحاكم : ((هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه ، وله شاهد معتبر من أولاد عفيف)) ، وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند 220/3 .

وقال في الاستيعاب 163/30 : ((حديث حسن جداً)) ثم ساق الحديث من طريقين ، ونقل تحسينه في الإصابة ، ولم يتعقبه ، وذكره الألباني في صحيح السيرة لابن كثير ص 115 - 117 .

وله شاهد من حديث ابن مسعود ، رواه الطبراني (10317) وفي سنده بشر بن مهرا ،

الفوائد والعبر :

1 - أن الحق لا يعرف بكثرة الرجال ، بل إن أكثر الخلق يكرهون الحق ويحاربونه ، قال الله تعالى : { وأكثرهم للحق كارهون } [الزخرف: 78] ، وقد قال عدونا الشيطان الرجيم كما حكى الله تعالى عنه : { قال فيما أغويتني لأعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمنهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين } [الأعراف: 16، 17] ، ولهذا تجد اليوم أكثر أهل الأرض في ضلال ، فالمتسبون إلى الإسلام لا يشكلون سوى سدس العالم أو أقل ، وإذا أمعنت النظر في هذا السدس وجدت أكثرهم غثاء كغثاء السيل ، بل إن الكثير منهم لا يصلي ، فهم من عداد الكفار الضالين ، لما رواه مسلم عن النبي ... أنه قال : ((بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة))⁽¹⁾ ، وبعضهم قد وقع في الشرك بعبادة القبور أو بالغلو في الصالحين ، أو بغير ذلك .

2 - أن أتباع الأنبياء - وبالأخص في أول أمرهم - هم الفقراء ، وقد ثبت عن هرقل ملك الروم أنه قال لأبي سفيان - رضي الله عنه - : فأشرف الناس يتبعونه أم

وهو ضعيف ترك أبو حاتم رواية حديثه ، وبالجمللة فلعل هذا الحديث يقرب من الحسن .

وينظر المجمع 9 / 103 ، 222 .

(1) صحيح مسلم (82) .

ضعفائهم؟ فقال أبو سفيان : بل ضعفائهم . ثم قال هرقل في آخر كلامه : سألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفائهم؟ فذكرت أن ضعفائهم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل . رواه البخاري^(١) ، وذلك لأن أصحاب المال أو الجاه قد يمنعهم ما لهم أو جاههم من اتباع الحق تكبراً أو خوفاً على جاههم ، فيتلاعب بهم الشيطان ، فيكونون أتباعاً له ، بدلاً من أن يكونوا عباداً لخالقهم ورازقهم .

3 - أنه ينبغي للداعية الصبر على ما يلاقه في سبيل دعوته ، واستعمال

الوسائل التي تحمي دعوته من السرية وغيرها .

4 - أنه ينبغي للداعية استعمال كل أسلوب مباح يرجى أن يكون نافعاً لاقتناع

المدعويين بدين الإسلام أو بالتمسك بتعاليمه ، ولعله من أجل هذا أخفى أبو ذر - رضي الله عنه - إسلامه على بريدة ونعيم لما جاء بهما إلى النبي ... ، ثم نطق بالشهادة قبلهما ، كأنه لتوه أسلم ، ليقتديا به ، مع أنه قد أسلم قبل ذلك .

5 - أن العاقل يجب عليه قبول الحق وإن أعرض عنه ، ليكون من السابقين إلى

الخير ، ولئلا يباغته الأجل وهو معرض عنه ، فيشقى في الدنيا والآخرة .

* * *

(١) صحيح البخاري (7) .

الدرس السادس

أخبار إسلام سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه -

- 18 - عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : ما أسلم أحد في اليوم الذي أسلمت فيه ، ولقد مكثت سبعة أيام وإني لثلث الإسلام . رواه البخاري (١) .
- 19 - وعن سعد بن أبي وقاص أيضاً أنه قال لما شكاه أهل الكوفة بالعراق إلى عمر بن الخطاب ، فقالوا : إنه لا يحسن يصلي وكان ممن شكاه بعض بني أسد فقال - رضي الله عنه - : (إني لأول العرب رمى بسهم في سبيل الله ، وكنا نغزو مع النبي - ... - وما لنا طعام إلا ورق الشجر ، حتى إن أحدنا ليضع كما يضع البعير أو الشاة ماله خلط ، ثم أصبحت بنو أسد تُعزِّرنِي على الإسلام - أي تعيرني بأني لا أحسن أصلي - قال سعد : (لقد خبت إذاً وضل عملي) رواه البخاري (٢) .
- 20 - وعن سعد بن أبي وقاص أيضاً - رضي الله عنه - قال : إنه نزلت فيَّ

(١) صحيح البخاري : مناقب الأنصار ، باب إسلام سعد (3858) ، وهذا حسب علمه - رضي الله عنه - وإلا فقد أسلم قبله أربعة بإجماع أهل العلم ، وقد كان الصحابة في هذا الوقت يخفون إسلامهم . البداية والنهاية 5 / 80 ، فتح الباري 7 / 84 ، 170 .

(٢) صحيح البخاري (3728) .

آيات من القرآن قال : حلفت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه . ولا تأكل ولا تشرب . قالت : زعمت أن الله وصابك بوالديك . وأنا أمك . وأنا أمرك بهذا . قال : مكثت ثلاثاً حتى غُشي عليها من الجهد . فقام ابن لها يقال له عمارة . فسقاها . فجعلت تدعو على سعد . فأنزل الله عز وجل في القرآن هذه الآية : { ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً } [لقمان: 14، 15] .

قال : وأصاب رسول الله ... غنيمة عظيمة . فإذا فيها سيف فأخذته فأتيت به رسول الله ... فقلت : نفلني هذا السيف . فأنا من قد علمت حاله . فقال : ((رده من حيث أخذته)) فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتنى نفسي ، فرجعت إليه . فقلت أعطني . قال فشدي صوته ((رده من حيث أخذته)) قال فأنزل الله عز وجل : { يسألونك عن الأنفال } [الأنفال: 1] .

قال : ومرضت فأرسلت إلى النبي ... فأتاني . فقلت : دعني أقسم مالي حيث شئت . قال فأبى . قلت : فالنصف . قال فأبى . قلت : فالثلث . قال فسكت . فكان ، بعد الثلث جائزاً .

قال : وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين . فقالوا : تعال نطعمك ونسقيك خمراً . وذلك قبل أن تحرم الخمر . قال فأتيتهم في حش - والحش البستان

— فإذا رأس جزور مشوى عندهم ، وزقُّ من خمر . قال : فأكلت وشربت معهم .
 قال فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم . فقلت : المهاجرون خير من الأنصار .
 قال فأخذ رجل أحد لحيي الرأس فضر بني به فجرح بأنفي . فأتيت الرسول ...
 فأخبرته ، فأنزل الله عز وجل — يعني نفسه — شأن الخمر : { يا أيها الذين آمنوا إنما
 الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه } [المائدة: 90]
 رواه مسلم^(١) .

الفوائد والعبر :

1 — فضل السابقين الأولين من المسلمين ، قال الله تعالى : { لا يستوي منكم
 من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا
 وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير } [الحديد: 10] ، وفضل من سبق إلى خير
 فاقتدى به من سواء .

2 — فضل سعد بن أبي وقاص — رضي الله عنه — .

3 — أن الحق لا يعتبر بكثرة العدد ، وإنما بموافقته شرع الله تعالى .

4 — أن ير الوالدين وصلة الأرحام حق واجب ، ولكن حق الله تعالى أوجب ،

(١) صحيح مسلم (1748) .

فإذا تعارض حق الله تعالى مع رضى أحد سواه وجب تقديم حق الله تعالى ، قال النبي ... : ((لا طاعة في لمخلوق في معصية الله عز وجل)) ، وقال ... : ((إنما الطاعة في المعروف)) متفق عليه .

5 - وجوب الثبات على دين الله والصبر على الأذى فيه .

6 - عظم أمانة الصحابة - رضي الله عنهم - ولهذا لم يأخذ سعد رضي الله عنه شيئاً من الغنيمة قبل قسمتها ، لأن هذا من الغلول المحرم ، ولهذا ينبغي للإنسان الحذر من الوقوع في أي نوع من أنواع الغلول ، ومن ذلك أن يأخذ الإنسان مالاً من بيت مال المسلمين - وهو الذي يسميه العامة : مال الحكومة - بغير حق ، فإن هذا من أعظم الغلول الذي ورد في شأنه وعيد شديد .

7 - أنه يحرم على الإنسان أن يتصرف في ماله بما يخالف شرع الله تعالى .

8 - بيان أضرار الخمر .

* * *

الدرس السابع

إسلام عمرو بن عبسة السلمي

21 - عن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال : كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة ، وأنهم ليسوا على شيء ، وهم يعبدون الأوثان ، فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً ^(١) فقعدت على راحلتي ، فقدمت عليه ، فإذا رسول الله ... مستخف ، جرأء ^(٢) عليه قومه ، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة ، فقلت له : ما أنت ؟ قال : ((أنا نبي)) . فقلت : وما نبي ؟ . قال : ((أرسلني الله)) . فقلت : وبأي شيء أرسلك ؟ قال : ((أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لا يشرك به شيء)) . قلت له : فمن معك على هذا ؟ . قال : ((حر وعبد)) (قال : ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به) فقلت : إني متبعك . قال : ((إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ^(٣)) ، ألا ترى حالي وحال الناس ؟ ولكن ارجع إلى أهلك ،

(١) يريد النبي ... ، أي : أنه يخبر بأخبار لا يخبر بها غيره في عصره ، ومراده ما ذكره ... من أن

الله تعالى أرسله ، وما يتلو من القرآن ، وما يدعو إليه من التوحيد .

(٢) جرأء : جمع جريء ، من الجرأة وهي الإقدام والتسلط .

(٣) أي لا تستطيع إظهار دينك بمكة ، لأذى قريش لمن يسلم .

فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني ^(١) ، قال : فذهبت إلى أهلي ، وقدم رسول الله ... المدينة ، وكنت في أهلي ، فجعلت أتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة ، حتى قدم عليّ نفر من أهل يثرب من أهل المدينة فقلت : ما فعل هذا الرجل الذي قدم المدينة ؟ فقالوا : الناس إليه سراع ^(٢) ، وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك . فقدمت المدينة . فدخلت عليه ، فقلت : يا رسول الله ! أتعرفني ؟ قال : ((نعم . أنت الذي لقيتني بمكة ؟)) قال فقلت : بلى . فقلت : يا نبي الله ! أخبرني عما علمك الله وأجهله . أخبرني عن الصلاة ؟ قال : صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة ^(٣) حتى تطلع الشمس حتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان ^(٤) ، وحينئذ يسجد لها الكفار ^(٥) ، ثم صل ، فإن الصلاة مشهودة محضورة ^(٦) حتى يستقل الظل

-
- (١) أي ارجع إلى أهلك واعبد الله عندهم ، فإذا سمعت أن الله أظهر ديني وصارت الغلبة له على الكفر ، وأعز الله المسلمين فأتني .
- (٢) أي أن الناس يتبعونه ، ويدخلون في دينه .
- (٣) أي اترك الصلاة في هذا الوقت الذي هو وقت نهي ، والمراد أنه لا تصلي فيه النوافل التي ليس لها سبب .
- (٤) قيل : إن الشيطان يدي قرنيه من الشمس عند طلوعها ، لتطلع بين قرنيه ، من أجل أن يكون من يسجد للشمس مصلياً له .
- (٥) أي أن الكفار الذين يعبدون الشمس يسجدون ويصلون للشمس في هذا الوقت .

بالرمح^(١) ثم أقصر عن الصلاة فإن حينئذ تسجر جهنم ، فإذا أقبل الفيء فصل^(٢) .
 فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلي العصر ، ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب
 الشمس ، فإنها تغرب بين قرني شيطان ، وحينئذ يسجد لها الكفار)). قال : فقلت :
 يا نبي الله ! فالوضوء ؟ حدثني عنه . قال : ... فذكر بقية الحديث وفيه أنه صلى ...
 ذكر فضل الوضوء ، ثم قال بعده : .. فإن هو قام ، فحمد الله وأثنى عليه ، ومجده
 بالذي هو له هو أهل ، وفرغ قلبه لله إلا انصرف من خطيئته كهبيئته يوم ولدته أمه
 «). رواه مسلم^(٣) .

(١) أي يحضرها ويشهدها الملائكة - عليهم السلام - .

(٢) أي يكون ظل الرمح قليلاً ، وذلك أن ظل الشيء القائم كالرمح يكون طويلاً من جهة
 المغرب عند طلوع الشمس ، وكلما ارتفع النهار قصر ظله ، فإذا جاء وقت الاستواء - وهو
 وجود الشمس في وسط السماء ليست مائلة لا إلى المشرق ولا إلى المغرب - كان ظل القائم
 أقصر ما يكون ، ثم بعده تزول الشمس وتميل جهة الغروب ، فيبدأ الظل في الزيادة في جهة
 المشرق ، فوقت الاستواء الذي يكون فيه الظل أقصر ما يكون وقت نهي ، لا يجوز أن يصلي
 فيه نافلة لا سبب لها ، وهو الوقت الذي تسجر - أي توقد فيه جهنم ، أعادنا الله منها - ،
 وهو وقت قصير ، خمس دقائق ، أو أقل منها .

(٣) أي إذا بدأ الظل في الزيادة جهة المشرق - وذلك بعد زوال الشمس - فإن هذا الوقت ليس
 وقت نهي عن الصلاة .

(٤) ينظر في شرح ألفاظ هذا الحديث : التمهيد (4/6/12) ، شرح النووي لمسلم (6/115) -

الفوائد والعبر :

1 - أنه ينبغي للمؤمن وللداعية أن لا ييأس من ظهور الحق واتباع الناس له ، فإن نصر الله قريب ، ومن نصر الله نصره الله كما قال تعالى : { إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } [محمد: 6] ، فهذا النبي الكريم ... في بداية دعوته ليس معه على دين الإسلام سوى حر وعبد ، وكانوا مختفين لا يستطيعون إظهار دينهم ولا الدعوة إليه ، وأراد قومه قتله ... وقتلوا بعض أصحابه ، فصبر ... هو وأصحابه وثابروا في سبيل نشر هذا الدين العظيم ، حتى عبد الله وحده وانتشر التوحيد والإيمان ، وزال الشرك وعبادة الأوثان في كثير من بقاع الأرض ، واتسعت دولة الإسلام ، وبلغت حدودها من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً ، ومن البحر الأسود شمالاً إلى بحر العرب جنوباً ؛ بل إن الدعوة إلى هذا الدين بلغت أرجاء المعمورة كما قال ... : ((لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل))^١ .

(118) ، طرح الشريب (2/195 ، 196) ، وشرح الأبي والسنوسي (2/437 - 439) ،

إغاثة اللفهان (1/185 ، 362) .

(١) صحيح مسلم : صلاة المسافرين ، باب إسلام عمرو بن عبسة (832) .

(٢) رواه أحمد (4/6) ، وابن حبان (1 ، 67 ، 6699) وإسناده صحيح .

2 - أنه ينبغي للعبد أن يسير على الحق ولو أعرض عنه أكثر الخلق ، ليفوز بسعادة الدنيا والنجاة في الآخرة .

3 - أن أعداء الحق من الكفار والمنافقين والفساق في كل زمان لا يألون جهداً في حرب الدين الصحيح - دين الإسلام - ومنع تطبيقه في الأرض ، وحرب الدعاة إليه ، ومنعهم من نشره ، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، كما قال تعالى في حق الكفار والمنافقين : { يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون } [التوبة: 32] ، وكما قال تعالى في حق عموم العصاة والفساق : { والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً } [النساء: 27] .

4 - أنه يجب على المسلم أن يتعلم أحكام دينه التي يحتاج إليها ، كما أنه ينبغي له أن يسأل أهل العلم عما يجمله من دين الله تعالى ، ليعبد ربه على بصيرة ، وليسلم من فتن الشبهات والشهوات - بإذن الله تعالى - .

5 - أن في نهيه ... عن الصلاة في هذه الأوقات وفوائد وأحكام كثيرة أهمها :
أولاً : سد الذرائع التي توقع في الشرك .

ثانياً : تحريم التشبه بالكفار في عباداتهم ، ومثلها ما اختصوا به من عادات ، سواء أكان ذلك في اللباس أم في الهيئة ، وفي الحديث الصحيح : «من تشبه بقوم فهو منهم » كما أن تشبه المسلم بهم علامة على ضعف شخصيته ، وشعوره

بالنقص ، وأنهم أفضل منه فلذلك رضي أن يكون تابعاً لهم ، وهذا خطأ ظاهر ، فإن المسلم أفضل من جميع الكفار ، والنظرة الصحيحة إلى الكافر هي ما أخبر عنها ربنا جل وعلا في قوله تعالى : { والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم } [محمد: 12] .

* * *

الدرس الثامن

أخبار إسلام عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه -

22 - عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : كنت غلاماً يافعاً^(١) أرعى غنماً لعقبة بن أبي معيط بمكة ، فأتى عليّ رسول الله ... وأبو بكر وقد فرّا من المشركين ، فقال : ((يا غلام هل عندك لبن تسقيننا ؟))قلت : إني مؤتمن ، ولست بساقيكما . قالوا : ((فهل عندك من جذعة لم ينز عليها الفحل بعد ؟))قلت : نعم ، فأتيتهما بها ، فاعتقلها أبو بكر ، وأخذ رسول الله ... الضرع ، فدعا ، فحفل الضرع^(٢) ، وأتاه أبو بكر بصخرة منقعة ، فحلب ، ثم شرب هو وأبو بكر ، ثم سقياني ، ثم قال للضرع : ((اقلص)) ، فقلص . فلما كان بعد أتيت رسول الله ... فأسلمت ، فقلت : علمني من هذا القول الطيب - يعني القرآن - ، فقال رسول الله ... : ((إنك غلام معلّم))^(٣) ، فأخذت من فيه سبعين سورة ما ينازعني فيها

(١) أي : شاباً قارب البلوغ .

(٢) أي اجتمع فيه اللبن .

(٣) رواه الطيالسي (353) ، وأحمد (3598 ، 4412) ، وابن أبي شيبة 51 / 7 ، وأبو يعلى

(5096) ، وابن حبان (6504) ، ويعقوب 537 / 2 بإسناد حسن ، وقد صحح إسناده

الذهبي في سير النبلاء 1 / 465 .

أحد .

23 - وعن ابن مسعود أيضاً قال : لقد رأيتني سادس ستة ، ما على ظهر

الأرض مسلم غيرنا^(١) .

الفوائد والعبر :

1 - أنه يجب على المؤمن أن يحافظ على الأمانة التي أؤتمن إياها .

2 - أنه يجب قبول الحق ممن قاله ولو كان كافراً .

3 - في هذا الحديث معجزة من معجزات النبي

4 - أن القرآن هو أطيب الكلام وأحسن الحديث ، وقد شهد بذلك الكفار

فضلاً عن المسلمين ، وقد روى البيهقي أن الوليد بن المغيرة سمع القرآن فكأنه رق

له ، فأنكر عليه قومه من المشركين ، فقال لهم : ((والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار

مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ، ولا بأشعار الجن مني ، والله ما يشبه

الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة^(٢) ،

(١) رواه الطبراني (8406) ، والحاكم 313/3 بإسناد صحيح ، رجاله ثقات ، رجال

الصحيح . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٢) الطلاوة : الحسن والبهجة والرونق ، كما في اللسان (مادة : طلي) .

وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلو ، وإنه ليحطم ما تحته»^١ .
 5 - أهمية الحفظ للقرآن وغيره من النصوص المهمة كالسنة والمتون العلمية ،
 فحفظ العلم سبب للعمل به ، وسبب لاستحضار النص عند التعليم والدعوة
 والتوجيه .

6 - أهمية أخذ العلم عن أهله ، وقراءة القرآن على من هو متقن لقراءته ،
 ليسلم المتعلم من الخطأ والزلل ، ولهذا قال بعض أهل العلم : «لا تأخذ العلم عن
 صحفي ولا عن مصحفي» ، وقال غيره : «من كان معلمه كتابه كان خطؤه أكثر
 من صوابه» .

7 - فضل ابن مسعود - رضي الله عنه - وسعة علمه ، وقد روى البخاري
 عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : «والله الذي لا إله غيره ما أنزلت
 سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا
 أعلم فيمن أنزلت ، ولو أعلم أحداً أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه
 »^٢ ، ورواه مسلم من طريق شقيق بن سلمة بنحوه ، ثم قال شقيق : فجلست في

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (134) وإسناده محتمل للتحسين ، وقال الحافظ العراقي في

تخريج الإحياء 1 / 323 : «إسناده جيد» .

(٢) صحيح البخاري (5002) .

خلق أصحاب محمد ... فما سمعت أحداً يرد ذلك عليه ولا يعيبه^(١) .

* * *

(١) صحيح مسلم (2462) ، وأخرج هذه الرواية البخاري أيضاً (5000) أخصر من رواية

الدرس التاسع

إسلام أبي ذر وقومه غفار

24 - عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال : خرجنا من قومنا غفار وكانوا يملون الشهر الحرام^(١) ، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا فنزلنا على خال لنا ، فأكرمنا خالنا وأحسن إلينا ، فحسدنا قومه فقالوا : إنك إذا خرجت عن أهلك خالف إليهم أنيس^(٢) ، فجاء خالنا فنثا علينا الذي قيل له^(٣) . فقلت : أما ما مضى من معروفك فقد كدّرته ، ولا جماع لك فيما بعد^(٤) ، فقرّبنا صرمتنا^(٥) ، فاحتملنا عليها وتغطى خالنا ثوبه فجعل يبكي ، فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة^(٦) ، فنافر أنيس عن

(١) وذلك بالقتال فيه ، وكان أهل الجاهلية يعيرون من يقاتل في الأشهر الحرم ، والأشهر الحرم هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، ومحرم ، ورجب . وقد اختلف أهل العلم هل نسخ تحريم القتال فيها أم لا .

(٢) أي أنه يدخل على أهل في غيبته ، وهذا اتهام له بفعل الفاحشة .

(٣) أي أن خالهم أخبرهم بما قال له قومه من اتهام أنيس .

(٤) أي لن نجتمع معك في منزلك بعد قولك هذا .

(٥) الصرمة : القطعة من الإبل نحو الثلاثين .

(٦) أي حملنا متاعنا على صرمتنا وسافرنا عليها حتى نزلنا قريبا من مكة .

صرمتنا وعن مثلها ، فأتيا الكاهن فخير أنيساً ، فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها^(١) .
 قال : وقد صليتُ ، يا ابن أخي ! قبل أن ألقى رسول الله ... بثلاث سنين ،
 قلت : لمن ؟ قال : لله . قلت : فأين أتوجه ؟ قال : توجه حيث يوجهني ربي .
 أصلي عشاء حتى إذا كان من آخر الليل ألقى كأني خفاء^(٢) ، حتى تعلقوني الشمس .
 فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فاكفني . فانطلق أنيس حتى أتى مكة . فراث
 علي^(٣) ، ثم جاء فقلت : ما صنعت ؟ قال : لقيت رجلاً بمكة على دينك^(٤) يزعم أن
 الله أرسله . قلت : فما يقول الناس ؟ قال : يقولون شاعر ، كاهن ، ساحر . وكان
 أنيس أحد الشعراء .

قال أنيس : لقد سمعتُ قول الكهنة ، فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على

(١) أي أن أنيساً تراهن هو وشاعر آخر أيها أفضل في الشعر ، وكان الرهن صرمة هذا وصرمة
 هذا ، فأيهما غلب أخذ الصرمتين معاً ، فتحاكما إلى كاهن ، فحكم بأن أنيساً أفضل من
 صاحبه ، فأخذ أنيس الصرمتين .

(٢) الخفاء : الكساء .

(٣) أي أبطأ وتأخر .

(٤) وذلك أنه لقي النبي ... ، وهو عليه الصلاة والسلام موحد لا يعبد إلا الله ، وهذا هو دين
 أبي ذر رضي الله عنه .

أقراء الشعر^(١) فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر^(٢) ، والله إنه لصادق ، وإنهم لكاذبون .

قال : قلت : فاكفني حتى أذهب فأنظر . قال فأتيت مكة . فتضعفت رجلاً منهم فقلت : أين هذا الذي تدعونه الصابىء ؟^(٣) ، فأشار إليّ ، فقال : الصابىء . فما عليّ أهل الوادي بكل مدرة وعظم^(٤) حتى خررت مغشياً عليّ . قال : فارتفعت حين ارتفعت ، كأني نُصِبَ أحمر^(٥) . قال : فأتيت زمزم فغسلت عني الدماء وشربت من مائها ، ولقد لبثت يا ابن أخي ثلاثين بين ليلة ويوم ما كان لي طعام إلا ماء زمزم ، فسمنت حتى تكسرت عُكُنْ بطني^(٦) ، وما وجدت على كبدي سخفة

(١) أي على طرق الشعر وأنواعه وقوافيه .

(٢) أي لا يمكن غيري أن يقول : إنه شعر .

(٣) أي نظرت إلى أضعف أهل مكة فسألته عن النبي ... ، الذي كان يسميه أهل مكة «الصابىء»
«والأصل أن «الصابىء» هو التارك لدينه . وقال سأل أضعفهم لأن الضعيف غالباً لا يناله بمكروه ولن يفتن لقصده .

(٤) أي أن أهل مكة قاموا عليه يرمونه بالمدر - وهو الطين اليابس - والعظام .

(٥) المراد أنه لما قام بعد إفاخته فإذا هو على هيئة النصب الأحمر ، بسبب كثرة الدم على جسده من الجراح ، والنصب حجر كان أهل الجاهلية ينصبونه ويذبحون عليه ، فتحمر من الدم .

(٦) أي تشنى لحم بطنه من السم .

جوع^(١) .

قال : فبينما أهل مكة في ليلة قمرء إضحيان^(٢) ، إذ ضرب على أصمختهم^(٣) ، فما يطوف بالبيت أحدٌ ، وامرأتان منهم تدعوان إسافاً ونائلة^(٤) ، قال : فأتنا عليّ في طوافهما فقلت : أنكحا أحدهما الآخر . قال : فما تناهتا عن قولهما^(٥) . قال : فأتنا عليّ . فقلت : هنّ مثل الخشبة ، غير أني لا أكني^(٦) . فانطلقتا تولولان^(٧) وتقولان : لو كان هاهنا أحد من أنفارنا^(٨) ! قال : فاستقبلها رسول الله ... وأبو بكر وهما

(١) سخفة الجوع : هزاله وضعفه .

(٢) أي كثير ضوء قمرها .

(٣) الصاخ هو خرق الأذن ، وفي رواية «أسمختهم» وهما بمعنى . والمراد : آذانهم . أي أنهم ناموا .

(٤) أي لا يوجد من يطوف مرأتين ، وكانتا تدعوان صنمي أساف ونائلة .

(٥) أي مرتا عليه في طوافهما ، فقال لهما : أنكحا أحدهما - أي إساف ونائلة - الآخر ، وهذا سب للصنمين ، يقول : ومع هذا السب فلم يتركا دعاء هذين الصنمين .

(٦) «الهن» لفظة يكنى بها عن كل شيء ، وأكثر ما تستعمل عن الفرج والذكر ، فأبو ذر صرح لهما باسم الذكر ، ولم يأت بالكناية . وأراد بذلك سب الصنمين ، كما ذكر في مقولته الأولى «أنكحا أحدهما الآخر» .

(٧) أي تدعوان على أنفسهما بالويل .

(٨) الأنفار : جمع نفر ، وهو الذي ينفر عند الاستغاثة . ومرادهما : لو كان هنا أحد من أنصارنا

هابطان^(١) . قال : ((مالكما ؟)) قالتا : الصابغ بين الكعبة وأستارها^(٢) . قال : ((ما قال لكما ؟)) قالتا : إنه قال لنا كلمة تملأ الفم^(٣) . وجاء رسول الله ... حتى استلم الحجر ، وطاف بالبيت هو وصاحبه ثم صلى ، فلما قضى صلاته - قال أبو ذر - فكنت أنا أول من حياه بتحية الإسلام ، قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله ! فقال : ((وعليك ورحمة الله)). ثم قال : ((من أنت ؟)) قال قلت : من غفار . قال : فأهوى بيده فوضع أصابعه على جبهته . فقلت في نفسي : كره أن انتميت إلى غفار . فذهبت آخذ بيده . فقدعني صاحبه^(٤) وكان أعلم به مني ، ثم رفع رأسه . ثم قال : ((متى كنت هاهنا ؟)). قال : قلت : قد كنت هاهنا منذ ثلاثين ، بين يوم وليلة ، قال : ((فمن كان يطعمك ؟)). قال : قلت : ما كان لي طعام إلا ماء زمزم . فسمنت حتى تكسرت عُنْ بطني ، وما أجد على كبدي سُخْفَةَ جوع . قال : ((إنها

لنصرنا عليه .

(١) في بعض الروايات ((وهما هابطان من الجبل)).

(٢) أي أن هذا الرجل الذي سب الصنمين - وهو أبو ذر - قد استتر بثياب الكعبة ، فهو بين الكعبة وأستارها .

(٣) أي قال كلمة عظيمة كالشيء الذي يملأ الشيء ، أو أنها لقبحها كأنها تسد فم حاكبها وتملؤه ، لاستعظامها .

(٤) المراد أن أبا بكر رضي الله عنه كف يد أبي ذر لما مدها ، ومنعه من إمساك يد النبي ...

مباركة ، إنها طعام طعم ﴿٢﴾ .

قال أبو بكر : يا رسول الله ، ائذن لي في طعامه الليلة . فانطلق رسول الله ... وأبو بكر وانطلقت معها . ففتح أبو بكر باباً ، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف ، وكان ذلك أول طعام أكلته ، ثم غبرت ما غبرتُ ، ثم أتيت رسول الله ... ﴿٣﴾ فقال : ((إنه وُجِّهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلا يثرب ﴿٣﴾ فهل أنت مبلغٌ عني قومك ؟ ﴿٤﴾ عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم ﴿٥﴾ .

فأتيت أنيساً فقال : ما صنعت ؟ قلت : صنعت أني قد أسلمت وصدقت .

(١) أي يشبع شاربها ، كما يشبعه الطعام .

(٢) أي بقيت ما بقيت ، ومراده أنه غاب عن النبي ... فترة ، ثم أتاه .

(٣) روى البخاري (4081) ، ومسلم (2272) عن النبي ... أنه قال : ((رأيت في المنام أني

أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي - أي اعتقادي - إلى أنها اليمامة أو هجر ، فإذا هي يثرب)).

(٤) أي هل أنت قائم بدعوة قومك إلى الإسلام إذا رجعت إليهم ، وهذا طلب وأمر من النبي ... لأبي ذر أن يدعو قومه إلى الإسلام .

(٥) أي عسى الله أن ينفعهم بك بدعوتك لهم ، فيدخلو في الإسلام ، ويشيخ الله على ذلك ، لأن من دعى إلى هدى كان له مثل أجر من تبعه .

قال : ما بي رغبة عن دينك ^(١) ، فإني قد أسلمت وصدقت . فأتينا أمتنا ، فقالت : ما بي رغبة عن دينكما ، فإني قد أسلمت وصدقت . فاحتملنا ^(٢) حتى أتينا قومنا غفاراً . فأسلم نصفهم ، وكان يؤمهم إيماء بن رخصة الغفاري ، وكان سيدهم . وقال نصفهم : إذا قدم رسول الله ... المدينة أسلمنا ، فقدم رسول الله ... المدينة فأسلم نصفهم الباقي .

وجاءت أسلم . فقالوا : يا رسول الله ، إخواننا ، نسلم على الذي أسلموا عليه . فأسلموا . فقال رسول الله ... : «غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله» ^(٣) رواه مسلم ^(٤) .

ورواه البخاري من حديث ابن عباس ، وفيه : فنسمع من قوله - أي من قول النبي ... - وأسلم مكانه ، فقال له النبي ... : «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري» ، فقال : والذي نفسي بيده ، لأصرخن بها بين ظهرانيهم ^(٥) ، فخرج

(١) أي لا أكرهه ؛ بل أدخل فيه .

(٢) أي حملنا أنفسنا ومتاعنا على رواحلنا .

(٣) هذا إما دعاء ؛ لإسلام هاتين القبيلتين من غير قتال ، وإما إخبار عن ما فعل الله بهما من المغفرة والمسألة لهما .

(٤) صحيح مسلم : الفضائل (2474) .

(٥) أي لأرفعن صوتي بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بين المشركين .

حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وثار القوم ، فضربوه حتى أضجعوه^(١) ، فأتى العباس فأكبَّ عليه ، فقال : ويلكم ! أستم تعلمون أنه من غفار ، وأن طريق تجاركم إلى الشام عليهم ، فأنقذه منهم ، ثم عاد من الغد بمثلها ، وثاروا إليه فضربوه ، فأكبَّ عليه العباس فأنقذه^(٢) .

* * *

(١) أي أن الكفار قاموا إليه فضربوه حتى سقط .

(٢) صحيح البخاري : الفضائل (3522، 3861) ، وصحيح مسلم : الفضائل (2474) .

وينظر في شرح ألفاظ هذا الحديث : المعلم 3/154 ، 155 ، المفهم 6/390 - 402 ،

إكمال المعلم 7/503 - 508 ، شرح مسلم للنووي 16/27 - 34 ، فتح الباري

6/549 ، و7/174 ، شرح الأبى والسنوسي لصحيح مسلم 6/301 - 307 .

الدرس العاشر

إسلام ضماد بن ثعلبة الأزدي

25 - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : إن ضماداً قدم مكة ، وكان من أزد شنوءه وكان يركي من هذه الريح ^(١) ، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون : إن محمداً مجنون ، فقال : لو أني رأيت هذه الرجل لعل الله الله يشفيه على يدي ، قال : فلقيه ، فقال : يا محمد ، إني أركي من هذه الريح ، وإن الله يشفي على يدي من شاء ، هل لك ؟ ^(٢) .

فقال رسول الله ... : ((إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله . أما بعد)).

قال : فقال : أعد عليّ كلماتك هؤلاء ، فأعادهن عليه رسول الله ... ثلاث مرات ، قال : فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ،

(١) أي يعالج بالرقية من الجنون ومس الجن ، وسمي الجن «الأرواح» لأنهم لا يراهم الناس ، فهم كالروح والريح .

(٢) أي هل لك أن أركيك وأعالجك .

فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن ناعوس البحر^(١) . قال : فقال : (هات يدك أبايعك على الإسلام) ، قال : فبايعته ، فقال رسول الله ... : ((وعلى قومك))^(٢) ، قال : وعلى قومي .

قال : فبعث رسول الله ... سرية فمروا بقومه ، فقال صاحب السرية للجيش : هل أصبتم من هؤلاء شيئاً؟ فقال : رجل من القوم : أصبت منهم مطهرة^(٣) ، فقال : ردّها ، فإنّ هؤلاء قوم ضهاد . رواه مسلم^(٤) .

الفوائد والعبر :

1 - في اتهام المشركين للنبي ... بالجنون - مع أنه - عليه الصلاة والسلام - أرجحهم عقلاً وأحسنهم رأياً - سلوك منهم لطريقة من طرق أهل الكفر والنفاق والفسوق في الصد عن دين الله الحق ، وذلك باتهام الدعاة إليه بكل تهمة تجعل الطغام من الناس الذين يتأثرون بالدعايات الكاذبة لا يقبلون دعوتهم .

-
- (١) «ناعوس» بالنون هو قعر البحر ولجته ووسطه . وفي بعض النسخ «ناموس» بالميم ، وفي بعضها «قاعوس» والمعنى واحد . ينظر شرح مسلم للنووي 6 / 158 ، 157 .
- (٢) أي تبايعني على قومك أيضاً ، وذلك بأن يدعوهم إلى الإسلام حتى يدخلوا فيه .
- (٣) المطهرة بكسر الميم وفتحها ، وهي إناء يتطهر فيه .
- (٤) صحيح مسلم : الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة (868) .

فمرة قالوا عن النبي ... إنه كاهن ، ومرة قالوا : شاعر ، ومرة قالوا : ساحر ، ومرة قالوا : مجنون . وهكذا .

وهكذا دعاة الباطل في كل عصر ، وهذا ما نسمعه منهم في هذا العصر ، فمرة يصفون الدعاة إلى الله والمتمسكين به بأنهم ((مجانين)) أو ((موسوسين)) ، ومرة يصفونهم بأنهم من أهل ((الإرهاب والإفساد في الأرض)). وإمامهم في ذلك فرعون الذي قال عن نبي الله موسى عليه السلام : { إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد } [غافر: 26] .

2 - وأنه ينبغي للداعية أن يقابل هذه التهم بالصبر والحلم والصفح والعتو ، وأن يذكر في دعوته ما يبين بطلان هذه التهم ، كما أنه ينبغي أن لا تكون هذه التهم وأمثالها من الأذى صادة وممانعة للداعية عن مواصلة دعوته وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فالله تعالى لما ذكر في سورة العصر ((التواصي بالحق)) وهو الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أعقبه بـ ((التواصي بالصبر)) ، وهذا ما سار عليه النبي ... في دعوته .

3 - أن هذا الدين هو دين الفطرة ، فبمجرد أن يعرض على من يطلب الحق يسرع بالدخول فيه غالباً ، ولو كان قد شوهدت صورته عنده .

4 - أنها مهما صدّ الصادون ومكر الماكرون لإبعاد الناس عن الحق فإن الله تعالى يمكر بهم ، فهو لاء الذي اتهموا النبي ... بالجنون ، كان من مكر الله بهم من

يدخل في دعوته من يعالج داء الجن ، بل إنه جاء ليعالج من قالوا كذباً وزوراً : إن مجنون ، فكان أن هداه الله ودخل في دين الله تعالى ، وهذا كحال فرعون الذي كان يقتل أبناء بني إسرائيل خوفاً على نفسه فكان من مكر الله به أن ربي من سيقتله من أبنائهم في بيت فرعون نفسه ، وجعله ينفق عليه بل ويعطي أمه ما لا لترضعه وهو موسى - عليه السلام - .

5 - أنه يجب على المسلم أن يدعو إلى دين الله تعالى ، فيدعو إلى ما يعلمه وما هو على بصيرة فيه من دينه ، وأن لا يستسلم للشبهات التي يلقيها الشيطان عليه بأنه لا علم عنده ، أو أن الدعوة إلى الله من مهات العلماء وحدهم ، فمن المعلوم أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا لم يقم بها من يكفي أثم الناس جميعاً ، فمن علم أصل الدين وجب عليه الدعوة إليه ، ومن علم أحكاماً أخرى وجب عليه الدعوة إليها ، فهذا الصحابي لما بايعه النبي ... اشترط عليه أن يدعو قومه إلى دين الله تعالى مع أنه حديث عهد بإسلام .

* * *

الدرس الحادي عشر

قصة إسلام عثمان بن مظعون الجمحي

26 - عن عبدالله بن عباس قال : بينما رسول الله ... بفناء بيته بمكة جالس^(١) ، إذا مر به عثمان بن مظعون ، فكشّر إلى رسول الله ...^(٢) ، فقال له رسول الله ... : ألا تجلسُ ؟ قال : بلى ، قال : فجلس رسول الله ... مستقبلاًه ، فبينما هو يحدثه إذ شَخَص رسول الله ... ببصره إلى السماء ، فنظر ساعةً إلى السماء ، فأخذ يضع بصره حتى وَضَعَه على يمينه في الأرض ، فتحرّف رسول الله ... عن جليسه عثمان إلى حيث وَضَعَ بصره ، وأخذ يُنْغِصُ رأسه كأنه يَسْتَفْقَهُ ما يقال له^(٣) ، وابنُ مظعون ينظر ، فلما قَضَى حاجته واستفقّه ما يقال له ، شَخَص بصرُ رسول الله ... إلى السماء كما شَخَص أول مرة ، فأتبعه بصره حتى تواری في السماء ، فأقبل إلى عثمان بجلسته الأولى ، قال : يا محمد ، فيم كُنْتُ أجالسك وآتيك ، ما رأيتك تفعل

(١) أي أنه ... جالس أمام بيته .

(٢) أي : أظهر أسنانه ، والتكشير يكون للضحك ، ويكون لإظهار عدم الرضى . والمراد هنا فيما يظهر : الثاني .

(٣) أي تشبه حاله حال من يحدث غيره ، ويتثبت من كلام هذا الذي يحدثه .

كفعلك الغداة^(١) ! قال : وما رأيتني فعلتُ ؟ قال : رأيتك تشخص ببصرك إلى السماء ثم وضعته حيث وضعته على يمينك فَتَحَرَّفْتُ إليه وتركتني فأخذت تُنْغِضُ رأسك كأنك تستفقه شيئاً يقال لك ، قال وَفَطَنْتَ لذاك ؟ قال عثمان : نعم ، قال رسول الله ... : أتاني رسول الله^(٢) آنفاً وأنت جالس ، قال : رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : فما قال لك ؟ قال : { إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى * يعظكم لعلكم تذكرون } [النحل: 90] قال عثمان : فذلك حين استقرَّ الإيمان في قلبي وأحببتُ محمداً^(٣) .

الفوائد والعبر :

- (١) يقول : إنني في جميع المرات التي جالستك فيها لم أركُ تفعل مثل فعلك في هذه المرة .
- (٢) وهو جبريل - عليه السلام - .
- (٣) رواه الإمام أحمد (2922) ، والبخاري في الأدب المفرد (893) ، وابن أبي حاتم في تفسيره (12634) ، والطبراني في الكبير (8322) بإسناد محتمل للتحسين ، رجاله حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن ، عدا شهر ، ففيه ضعف يسير ، لكن الراوي عنه هنا عبد الحميد بن بهرام ، وأحاديثه عن شهر قوته مما قال غير واحد من الحفاظ ، وقال الحفاظ ابن كثير في تفسير الآية السابقة : «إسناد جيد متصل حسن ، قد بين فيه السماع المتصل ،» وقال أحمد شاكر : «إسناده صحيح» .

1 - أن الداعية : ينبغي له أن يتحلى بالصبر على ما يصدر من المدعويين تجاهد من أذى في حال دعوته لهم ، وهذا هو حال الدعاة الناجين من الخسارة كما قال تعالى : { والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } [العصر] ، أما غيرهم من المسلمين ممن قصر في أحد هذه الأمور الأربعة فيخشى عليهم من الخسارة .

2 - أنه الداعية الموفق والناجح في دعوته لا ييأس من استجابة المدعويين ، بل يكرر الدعوة ويستمر فيها حتى يستجيب المدعوون أو يُعَدِرَ في دعوته ، فينال الأجر العظيم من الله تعالى .

3 - أن القرآن هو أعظم معجزة أوتيتها نبينا محمد ... ، وهي معجزته الخالدة ، فقد روى البخاري ومسلم عن النبي ... أنه قال : «مامن الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة» .

فهذه آية واحدة من آيات هذا الكتاب العظيم بهرت بإعجازها اللفظي والمعنوي فصحاء العرب وأساطينهم ، فهي قد اشتملت على الأمر بجل خصال

(١) صحيح البخاري (4981) ، وصحيح مسلم (152) . قال في جامع الأصول 8 / 533 : «

ليس شيء من كتب الله المنزلة كان معجزاً إلا القرآن» .

الخير وعلى النهي عن جل خصال الشر ، في ألفاظ قليلة جامعة ، وقد روى البيهقي أن الوليد بن المغيرة سمع من النبي ... هذه الآية فكأنه رق لقراءة القرآن لما سمعها فانكر عليه قومه فقال لهم : «والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجزه ولا بقصيدته مني ، ولا بأشعار الجن مني ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو ، وما يعلو ، وإنه ليحطم ما تحته» .

وروى البخاري في الأدب المفرد عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال : «ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية» .

* * *

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (134) وإسناده محتمل للتحسين . وقال العراقي في تخريج الإحياء 323 / 1 : «إسناده جيد» .

(٢) الأدب المفرد ، باب الظلم (489) ، وينظر الدرر يوش ، أحمد يوسف : أحكام السوق في الاسلام المنشور 5 / 158 - 163 ، وما نقله في فضل الله الصمد 2 / 340 ، 341 ، عن الحافظ ابن القيم في بيان ما اشتملت عليه هذه الآية من ضروب المحاسن والقضايا والأوامر والنواهي والمواعظ والوصايا .

الدرس الثاني عشر

أخبار إسلام حمزة بن عبد المطلب عم النبي ...

وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف

27 - عن يعقوب بن عتبة - رحمه الله - أن أبا جهل اعترض لرسول الله ...

بالصفا ، فأذاه ، وكان حمزة رضي الله عنه صاحب قنص وصيد ، وكان يومئذ في قنصه ، فلما رجع قالت له امرأته - وكانت قد رأت ما صنع أبو جهل لرسول الله ... - : يا أبا عمارة لو رأيت ما صنع - تعني أبا جهل - بابن أخيك ؟ فغضب حمزة ، ومضى كما هو قبل أن يدخل بيته ، وهو معلق قوسه في عنقه ، حتى دخل المسجد ، فوجد أبا جهل في مجلس من مجالس قريش ، فلم يكلمه حتى علا رأسه بقوسه ، فشججه ، فقام رجل من قريش إلى حمزة يمسكونه عنه ، فقال حمزة : ديني دين محمد ، أشهد أنه رسول الله ، فوالله لا أنثني عن ذلك ، فامنعوني عن ذلك إن كنتم صادقين . فلما أسلم حمزة عزّبه رسول الله ... والمسلمون ، وثبت لهم بعض أمرهم ، وهابته قريش ، وعلموا أن حمزة - رضي الله عنه - سيمنعه^(١) .

(١) رواه الطبراني (2925، 2926) من مرسل يعقوب بن عتبة ، ومن مرسل محمد بن كعب ،

ورجال إسناديهما حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن إن شاء الله ، ورواه الحاكم 192/3

28 - وعن سعيد بن جبير - رحمه الله - أن رسول الله ... كان بالبطحاء فأتى عليه يزيد بن ركانه أو ركانه بن يزيد ومعه أعنز له ، فقال له : يا محمد هل لك أن تصارعني ؟ فقال : ((ما تسبقني ؟))^(١) قال شاة من غنمي . فصارعه ، فصرعه ، فأخذ شاة ، قال ركانه : هل لك في العود^(٢) ؟ قال : ((ما تُسبِقُنِي ؟)) قال أخرى^(٣) . ذكر ذلك مراراً^(٤) ، فقال : يا محمد والله ما وضع أحد جنبي إلى الأرض ، وما أنت الذي تصرعني^(٥) ، يعني فأسلم ، ورد عليه رسول الله ... غنمه^(٦) .

بإسناد حسن عن ابن إسحاق ، قال : حدثني رجل من أسلم - وكان واعية - ... فذكره ، فالحديث بمجموع هذه المراسيل يقرب من الحسن . وقال الهيثمي 267/9 عن الأول : ((رجاله ثقات)) ، وقال عن الثاني : ((رجاله رجال الصحيح)) ، والرواية الثالثة أخرجه ابن هشام 1/291 ، 292 أيضاً .

(١) أي ما الذي تعطيني إن أنا صرعتك .

(٢) أي هل لك أن تصارعني مرة أخرى .

(٣) أي أنه قال للنبي ... : أعطيك شاة أخرى من غنمي إن صرعتني .

(٤) المراد أن ركانه كرر هذا الطلب بتكرار المصارعة مراراً ، فتصارعا عدة مرات وفي كل مرة يصرعه النبي ... فيعطيه في كل مرة شاة .

(٥) أي أن ركانة علم أن النبي ... ليس هو الذي يصرعه بقوته المعتادة ، ولكن الله أعانه في ذلك ، فاستدل بذلك على أنه رسول من الله ، وأن الله يؤيده .

(٦) رواه أبو داود في المراسيل (299) ، ومن طريقه البيهقي في السنن 18/10 بإسناد صحيح

الفوائد والعبر :

- 1 - أنه ينبغي للداعية إلى الله تعالى تحمل الأذى في سبيل الله وما يلاقيه من المدعويين من أذى كلامي أو جسدي ، أو مالي ، أو غيرها .
- 2 - أن الله تعالى قد يمكر بأعدائه ويحبط كيدهم ، فيجعل عملهم في الصد عن دين الله سبباً في هداية بعض من أراد سبحانه وتعالى هدايتهم ، كما حصل لحمزة رضي الله عنه ، وأعظم منه ما حصل لموسى عليه السلام ، حيث جعل كيد فرعون سبباً في تربيته لنبيه موسى عليه السلام في قصره ، وجعل قتله على يديه .
- 3 - أن العبد قد يدخل في دين الله أو يعمل العمل الصالح من غير إخلاص ،

عن حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سعيد بن جبير . ورواه الخطيب كما في الإصابة 618 /3 ، وأبو الشيخ كما في التلخيص 299 /4 بإسنادين أحدهما صحيح والثاني ضعيف عن حماد بن سلمة عن عمرو عن سعيد عن ابن عباس . وإسناد المرسل أقوى . ولهذا المرسل شاهد رواه البيهقي في الدلائل 250 /6 من طريق محمد بن عبدالله بن يزيد بن ركانة عن جده ركانة . وهو مرسل كما أشار إلى ذلك البيهقي - أي منقطع - ومحمد هذا لم أقف على ترجمته . ولهذا المرسلين شواهد كثيرة متصلة ومرسلة في قصة المصارعة ، وفي كونه أسلم رضي الله عنه . وقد جود الرواية المتصلة ابن كثير في البداية 256 /4 ، وابن القيم في الفروسية ص 202 ، وحسنها الألباني في الارواء (1503) . وينظر في شواهد هذه الروايات : الإصابة 1/506 ، والسيرة الذهبية 2/568 ، 569 .

بل لأمر دنيوي كحماية أو مصلحة مالية أو نحوهما فما يلبث أن يقوى إيمانه ويخلص في أعماله لله تعالى ، كما هي حال حمزة - رضي الله عنه - .

4 - في قصة ركانة - فيما يظهر - دليل من دلائل النبوة ، ولهذا كان سبب إسلامه - رضي الله عنه - ما يقين به من أن سبب صرع النبي ... له في كل مرة هو تأييد الله وعونه لنبيه عليه الصلاة والسلام .

5 - جواز المصارعة التي لا ضرر فيها على المتصارعين ، أما المصارعة التي فيها ضرر على أحدهما كما يحصل في المصارعات والملاكمات في العصر الحاضر فهي محرمة ، لحديث : «لا ضرر ، ولا ضرار» ، ومثل المصارعة بقية الألعاب الأخرى ، فما كان منها لا ضرر فيه وليس فيه محذور شرعي آخر فهو جائز ، وما كان بخلافه فهو محرم .

6 - جواز أخذ المال من قبل الغالب في المصارعة ونحوها إذا تبرع به أحد المتصارعين ، ومثله إذا دفعه طرف ثالث ، أما إذا كان هذا المال يدفعه المغلوب منها فقد ذهب كثير من أهل العلم إلى أنه من القمار المحرم^(١) .

(١) رواه الإمام مالك 2/ 745 ، والإمام أحمد (2865) ، وابن ماجه (2340) ، والدارقطني 228/4 وغيرهم من طرق يشد بعضها بعضاً ، فهو حسن بمجموع طرقه ، وقد توسعت في تحريجه في رسالة : «الأجل في القرض» ص 91 ، 92 .

(٢) ينظر في مسائل المصارعات ونحوها : «الفروسية» لابن القيم وتعليق محققه عليه ، و



الدرس الثالث عشر

خبر إسلام بعض الجن في أول البعثة

29 - عن ابن عباس رضي الله عنهما : قال : ((ما قرأ رسول الله ... على الجن وما رأيهم ، انطلق رسول الله ... في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ^(١) وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب .

قالوا : وما ذلك إلا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ، فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة برسول الله ... وهو بنخلة^(٢) وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآناً عجيباً يهدي إلى الرشد فأمننا به ولن نشرك بربنا

(١) وهو سوق يقع شمالاً شرقياً عن مدينة الطائف ، قرب الحوية ، ينظر معجم الأماكن الوارد ذكرها في صحيح البخاري للجنيدل ص 329 .

(٢) نخلة : مكان بين مكة والطائف .

أحداً ، فأوحى الله إلى نبيه { قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن } [الجن: 1] رواه البخاري ومسلم^(١) .

الفوائد والعبر :

1 - الإيمان بعالم الجن ، وأن منهم المؤمن ومنهم الكافر ، فيجب على المسلم أن يؤمن بذلك كله ، لثبوته في القرآن والسنة ، ومن أنكر ذلك فهو راد لهما ، مكذب لهما ، وهذا كفر مخرج من الملة .

2 - أن رسالة النبي ... عامة إلى الثقيلين الجن والإنس .

3 - سرعة استجابة بعض الجن للحق ، وأنهم خير من بعض الإنس الذين لا يقبلون الحق أو يترددون في قبوله ، وقد روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : كان نفر من الإنس يعبدون نفرا من الجن ، فأسلم نفر من الجن ، واستمسك الإنس بعبادتهم ، فنزلت : { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة }^(٢) .

4 - ثبوت استراق الجن لخبر السماء ، وقد روى البخاري من طريق سفيان

(١) صحيح البخاري : التفسير (4921) ، وصحيح مسلم (449) .

(٢) صحيح البخاري (4715) ، وصحيح مسلم (3030) .

الثوري عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن نبي الله ... قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله ^(١) ، كأنه ^(٢) سلسلة على صفوان ^(٣) ، فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحق ^(٤) وهو العلي الكبير ، فيسمعها مسترق السمع ، ومسترقو السمع هكذا بعضه فوق بعض ، ووصف سفيان بكفه فحرفها ، وبدد بين أصابعه ، فيسمع الكلمة ، فيلقها إلى من تحته ، حتى يلقها على لسان الساحر أو الكاهن ^(٥) فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ^(٦)

(١) أي إذا تكلم جل وعلا بالوحي صعقوا ، وخروا سجدا ، وضربوا بأجنحتهم خضوعاً لله تعالى .

(٢) أي كلام الله تعالى .

(٣) جاء في حديث ابن مسعود مرفوعاً (إذا تكلم الله بالوحي يسمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان ، فيفزعون) .

(٤) جاء في حديث النواس بن سمعان أن أول من يرفع رأسه منهم جبريل عليه السلام ، فيكلمه الله تعالى من وحيه بها أراد ، فينتهي به على الملائكة ، كلما مر بسما سألته ملائكته : ماذا قال ربنا ؟ قال : الحق . فينتهي به حيث أمر .

(٥) أي أن الجن الذين يسترقون السمع يكون بعضهم فوق بعض ، حتى يكون أعلاهم يسمع كلام الملائكة بخبر الساء فيخبر به من تحته ، وهكذا حتى يخبر آخرهم الكاهن من الأنس .

(٦) أي أن الساحر أو الكاهن إذا أخبره الجن بالكلمة من خبر الساء كذب معها مائة كذبة ، ثم

فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء^(١) .

وكثير من ضعاف الإيذان إذا أخبره الكاهن بأمر ثم وقع ما أخبر به هذا الكاهن ، ظن أن الكاهن يعلم الغيب ، وصدقه في كل ما يخبر به من الأمور المستقبلية ، وهذا والعياذ بالله كفر مخرج من الملة ، فقد روى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن النبي ... أنه قال : (من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ...)^(٢) ولذلك فإنه يجب على المسلم الحذر من الذهاب إلى الكهان ومن تصديقهم لئلا يقع في الكفر من حيث يعلم أولا يعلم .

* * *

أخبر بجميع ذلك الناس .

(١) صحيح البخاري : التفسير (4800) وينظر في شرح عبارات هذا الحديث : جامع الأصول

328 / 2 ، 329 ، الفتح 8 / 528 ، 529 .

(٢) المسند 2 / 429 .

الدرس الرابع عشر

قصة إسلام أصحابمة النجاشي ملك الحبشة

30 - عن أبي موسى الأشعري - رضي الله عنه - قال : أمرنا رسول الله ... أن ننطلق مع جعفر بن أبي طالب إلى أرض النجاشي ، قال : فبلغ ذلك قومنا ، فبعثوا عمرو بن العاص وعمار بن الوليد وجمعوا للنجاشي هدية ، فقدمنا وقدمنا على النجاشي ، فأتوه بهديته فقبلها ، وسجدوا ، ثم قال له عمرو بن العاص : إن قوماً منا رغبوا عن ديننا وهم في أرضك ، فقال لهم النجاشي : في أرضي ؟ قالوا : نعم ، فبعث إلينا فقال لنا جعفر : لا يتكلم منكم أحد ، أنا خطيبكم اليوم ، قال : فانتبهنا إلى النجاشي وهو جالس في مجلسه وعمرو بن العاص عن يمينه وعمار بن العاص يساره ، والقسيسون والرهبان جلوس سباطين ^(١) ، وقد قال له عمرو بن العاص وعمار : إنهم لا يسجدون لك ، قال : فلما انتهينا إليه زبرنا من عنده من القسيسين والرهبان : اسجدوا للملك ^(٢) ، فقال جعفر : لا نسجد إلا لله ، فلما انتهينا إلى

(١) أي أن القسيسين - وهم العلماء من النصارى - ، والرهبان - وهم العباد منهم - كانوا جالسين سباطين ، والسباط : الصف .

(٢) أي نهر وهم معاتبين لهم على عدم سجودهم للنجاشي .

النجاشي قال : ما يمنعك أن تسجد ؟ قال : لا نسجد إلا لله ، قال له النجاشي : وما ذلك ؟ قال : إن الله بعث فينا رسوله ، وهو الرسول الذي بشر به عيسى ابن مريم { برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد } فأمرنا أن نعبد الله ولا نشرك به شيئاً ، ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ، وأمرنا بالمعروف ونهانا عن المنكر ، قال : فأعجب النجاشي قوله ، فلما رأى ذلك عمرو بن العاص قال : أصلح الله الملك ، إنهم يخالفونك في ابن مريم ؟ فقال النجاشي لجعفر : ما يقول صاحبك في ابن مريم ؟ قال : يقول فيه قول الله : هو روح الله وكلمته ^(١) ، أخرجه من البتول ^(٢) العذراء التي لم يقربها بشر ، قال : فتناول النجاشي عوداً من الأرض ، فقال : يا معشر القسيسين والرهبان ، ما يزيد ما يقول هؤلاء على ما تقول في ابن مريم ما يزن هذه ، مرحباً بكم وبمن جئتم من عنده ، فأنا أشهد أنه رسول الله والذي بشر به عيسى بن مريم ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه ، امكثوا في أرضي ما شئتم ، وأمر لنا بطعام

(١) سمي المسيح عليه السلام : (روح الله) لأن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام فنفخ في درع مريم فحملت بعيسى عليه السلام ، وهذه الإضافة إلى الله للتفضيل ، وإلا فإن جميع الأرواح من خلقه تعالى . وسمي (كلمة الله) لأن الله خلقه بكلمة (كن) ، فكان بشراً من غير أب .

(٢) البتول من النساء : هي التي انقطع عن الرجال ، فلم تتزوج . وبه سميت مريم - رضي الله عنها - لتركها الزواج .

وكسوة ، وقال : ردوا على هذين هديتهما ، قال : وكان عمرو بن العاص رجلاً قصيراً ، وكان عمارة بن الوليد رجلاً جميلاً ، قال : وكانا لما قبلنا في البحر إلى النجاشي ، شربا الخمر ، قال : ومع عمرو بن العاص امرأته ، فلما شربا الخمر قال عمارة لعمرو : مر امرأتك فلتقبلني ، فقال له عمرو : ألا تستحي ، فأخذ عمارة فرمى به في البحر ، فجعل عمرو يناشده حتى أدخله السفينة ، فحقد عليه عمرو ذلك ، فقال عمرو للنجاشي بعدما قدما عليه : إنك إذا خرجت خلف عمارة في أهلك ، قال : فدعا النجاشي بعمارة فنفخ في إحليله^(١) ، فصار مع الوحش^(٢) .

(١) الإحليل : ذَكَرُ الرَّجُلِ .

(٢) جاء في رواية موسى بن عقبة لهذه القصة كما عند البيهقي في الدلائل 2 / 296 قال : «فمكر عمرو بعمارة ، فقال : يا عمارة إنك رجل جميل ، فاذهب إلى امرأة النجاشي ، فتحدث عندها إذا خرج زوجها ، فإن ذلك عون لنا في حاجتنا ، فراسلها عمارة حتى دخل عليها ، فلما دخل عليها انطلق عمرو إلى النجاشي ، فقال له : إن صاحبي هذا صاحب نساء ، وإنه يريد أهلك ، فاعلم ذلك ، فبعث النجاشي ، فإذا عمارة عند امرأته ، فأمر به فنفخ في إحليله ، ثم ألقى في جزيرة من البحر ، فجن واستوحش مع الوحش ، ورجع عمرو إلى مكة قد أهلك الله صاحبه وخيب مسيره ومنعه حاجته» .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه في المغازي باب ما جاء في الحبشة وأمر النجاشي وقصة إسلامه 14 / 346 - 348 ، والبيهقي 2 / 299 ، والحاكم 2 / 309 ، 310 بإسناد صحيح . وقد صححه الحاكم والبيهقي . وله شاهد بنحوه دون قصة عمارة من حديث ابن مسعود ، رواه

الفوائد والعبر :

١ أن الكفار لا يتركون وسيلة لحرب الإسلام وأهله إلا عملوها ، فهؤلاء المسلمون هاجروا إلى أرض نائية وراء البحار ولم يصدر منهم أذى للمشركين ومع ذلك حرص الكفار على صدهم عن دينهم .

٢ أنه السجود لا يجوز إلا لله تعالى ، سواء أكان سجود عبادة أم سجود تحية ، ومثل السجود : الركوع والانحناء ، فلا يجوز في شريعة الإسلام أن يفعل المسلم شيئاً من ذلك إلا لله تعالى ، وقد قال النبي ... : «ما ينبغي أن يسجد لأحد» ، وسئل ... عن الرجل يلقي أخاه أو صديقه أينحني له ؟ فقال ... : «لا» .

٣ من وسائل الدعوة إلى الله تعالى تذكير المدعو بما يؤمن به من الحق ، ليكون ذلك - بمشيئة الله - سبباً في قبوله للدعوة .

-
- أحمد 1/ 461 بإسناد حسن ، وقد حسنه الحافظ في الفتح 7/ 179 ، وقال ابن كثير في البداية 4/ 174 : «إسناد جيد ، وسياق حسن» ، وله شاهد ثالث من حديث أم سلمة ، رواه الإمام أحمد 5/ 290 ، 291 . مطولاً بإسناد حسن .
- (١) رواه ابن حبان في صحيحه (4162) وغيره بإسناد حسن .
- (٢) رواه الإمام أحمد 3/ 198 ، والترمذي (2728) وحسنه .

٤ - أن الغيرة على المحارم من أخلاق الرجال التي جبلوا عليها ، ولا يتخلى عن هذه الغيرة أو يقصر فيها إلا ديوث .

٥ - أن الهداية هبة من الله تعالى وفضل ، فقد يهدي جل وعلا على يدي المسلم البعيد في القرابة والمكان ولا يكتب الهداية على يديه لأقرب أقربائه .

٦ - سبب الخمر ، فهي أم الخبائث ، فهي سبب لفساد الدين والعقل والمال وسبب لحدوث العداوات بين الناس ، كما قال تعالى { إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون } [المائدة: 91] .

٧ - أن الله تعالى قد يعجل العقوبة للكفار ولكل من يحارب شرع الله تعالى ويؤذي المسلمين ، وقد يؤخر عقوبته جل وعلا استدراجاً له حتى يأخذه على حين غفلة دون أن يحدث توبة ، كما قال تعالى : { ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار } [إبراهيم: 42] .

* * *

الدرس الخامس عشر

قصة إسلام إياس بن معاذ

31 - عن محمود بن لبيد - رضي الله عنه - ، قال : لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني عبد الأشهل ، فيهم إياس بن معاذ ، يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج ^(١) ، سمع بهم رسول الله ... ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : (هل لكم في خير مما جئتم له ؟) فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : (أنا رسول الله بعثني إلى العباد ، أَدْعُوهم إلى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل عليّ الكتاب) قال : ثم ذكر لهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : فقال إياس ابن معاذ ، وكان غلاماً حدثاً : أي قوم ، هذا والله خير مما جئتم له . قال : فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من تراب البطحاء ، فضرب بها وجه إياس بن معاذ ، وقال : دَعْنَا منك ، فَلَعَمري لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسولُ الله ... عنهم ، وانصرفوا إلى المدينة ، وكانت وقعة بُعثت بين الأوس والخزرج .

(١) أي أنهم جاءوا يطلبون من قريش أن تعينهم وتناصرهم في حربهم التي بينهم وبين أبناء

قال : ثم لم يلبث إياس بن مُعاذ أن أهلك . قال محمود بن لبيد : فأخبرني مَنْ حضره من قومه عند موته : أنهم لم يزالوا يسمعونهُ يهللُ اللهُ تعالى ويكبرهُ ويحمده ويسبِّحهُ حتى مات ، فما كانوا يشكون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس ، حين سمع من رسول الله ... ما سمع^(١) .

العظات والعبر :

- 1 - من وسائل الدعوة الذهاب إلى المدعوين في مجالسهم وأماكن تواجدهم لإيصال الدعوة والخير إليهم .
- 2 - على الداعية الاهتمام بالدعوة إلى التوحيد والتحذير مما ينقضه أو ينقصه .
- 3 - التذكير بالقرآن والاستشهاد بنصوصه ونصوص سنة المصطفى ... من أهم وسائل الدعوة ، قال الله تعالى : { فذكر بالقرآن من يخاف وعيد } [ق: 45] .
- 4 - أن الانقياد لشرع الله ونصرة دينه هو أعظم أسباب النصر ، كما قال تعالى : { ولينصرنَّ اللهُ من ينصره إن الله لقوي عزيز } [الحج: 40] ، وهذا بلا شك

(١) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام 2/ 427 ، 428 ، وأحمد 5/ 427 ، والبخاري في تاريخه الكبير 1/ 442 ، والحاكم 3/ 180 ، 181 بإسناد حسن . وقد صححه الحافظ في الإصابة 1/ 120 .

خير من المعاهدات والأحلاف مع البشر . ولهذا قال رسول الله ... كما في هذا الحديث (هل لكم إلى خير مما جئتم له) .

5 - تحمل الأذى في ذات الله خلق من أخلاق المؤمنين والدعاة الصابرين ،
وسبب من أسباب الثبات على دين الله .

6 - أن من ثبت على دين الله ودعا إليه وصبر على الأذى فيه حري أن يوفق
للخاتمة الحسنة ، كما وفق إياس لذلك .

* * *

الدرس السادس عشر

إسلام عدّاس

32 - عن محمد بن كعب القرظي قال : لما انتهى رسول الله ... إلى الطائف ، عمد إلى نفر من ثقيف ، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم ، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود بن عمرو بن عمير ، وحبیب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف ، فجلس إليهم رسول الله ... فدعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام على من خالفه من قومه^(١) ، فقال له أحدهم : هو يمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك^(٢) ، وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك^{(٣) ؟!} ، وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً ، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ، ما ينبغي لي أن أكلمك^(٤) .

-
- (١) أي طلب منهم أن ينصروه ويمحوه ليدعوا إلى الإسلام بعد دخولهم فيه ، وأن يعينوه على مواجهة من لم يسلم من قريش وغيرهم .
- (٢) وهذا تكذيب منه لنبوة النبي ... ، وردّ سيء .
- (٣) وهذا ردّ أسوأ من رد سابقه .
- (٤) وهذا الرد من الثالث أقل سوءاً من ردّ صاحبيه ، وهو نوع من أنواع كفر الإعراض ، فهو

فقام رسول الله ... من عندهم وقد يئس من خير ثقيف^(١) ، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبونونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس ، وألجؤوه إلى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظل حبله من عنب^(٢) ، فجلس فيه ، وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف .

فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة ، وما لقي ، تحركت له رَجْمُهُمَا ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قطعاً من هذا العنب ، فضعه في هذا الطبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل ، فقل له يأكل منه ، فلما جاءه عدّاس قال رسول الله : من أي البلاد أنت يا عدّاس ؟ . قال : من أهل نينوى^(٣) . فقال رسول الله ... : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى ، فقال له عداس : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ فقال رسول الله : ذاك أخي ، كان نبياً وأنا نبي ، فأكبّ عدّاس على رسول الله يقبل رأسه ويديه وقدميه .

فقال أحد ابنا ربيعة لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما

أعرض عن النظر فيما دعاه إليه النبي

(١) أي يئس أن يجد عندهم خيراً ، وذلك أنه يئس من إسلام أحد منهم .

(٢) أي شجرة من عنب .

(٣) وهي مدينة من مدن العراق .

عدّاس قال له : ويلك يا عدّاس ! ما لك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟
 قال : يا سيدي ، ما في الأرض شيء خير من هذا ، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا
 نبي . قال له : ويحك يا عداس ، لا يصرفك عن دينك ، فإن دينك - وهو
 النصرانية - خير من دينه^(١) .

الفوائد والعبر :

1 - وجوب تحمل الأذى في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وتطبيق شرعه .

(١) رواه إسحاق كما في سيرة ابن هشام 2 / 419 عن يزيد بن أبي زياد ، عن محمد بن كعب . وفي
 إسناده ضعف يسير ، من أجل يزيد ، وهو مرسل .

وله شاهد من مرسل الزهري رواه عنه تلميذه موسى بن عقبة في مغازيه كما في السيرة لابن
 كثير 2 / 135 ، ومن طريق ابن عقبة رواه البيهقي في الدلائل 2 / 415 - 417 ، وهو
 مرسل صحيح ، وله شاهد آخر من مرسل سليمان التيمي في مغازيه كما في الروض الأنف
 2 / 234 ، والإصابة 2 / 459 . ولكثير من أجزاء هذا الحديث شواهد أخرى ، تنظر في
 الإصابة ، وطبقات ابن سعد 1 / 211 ، والمجمع 6 / 35 ، وفي بعض هذه الشواهد أن
 عدّاساً قال : «أشهد أنك عبده ورسوله» .

وبالجملة هذه الشواهد ضعفها ليس قوياً ، فيرتقي بها مرسل كعب إلى درجة الحسن لغيره .
 والله أعلم .

2 - أنه ينبغي للداعية أن يتحلّى بالصبر والعفو عن من أساء إليه من

المدعوين ، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما^(١) عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي ... فقالت : هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ فقال النبي ... : ((لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ؛ إذ عرضتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي^(٢) ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب^(٣) ، فرفعت رأسي ، فإذا بسحابة قد أظلنتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردوا عليك ، وقد أرسل الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم . فناداني ملك الجبال فسلم علي ، ثم قال : يا محمد ، فقال : ذلك فيما شئت ، إن شئت أطبق عليهم الأخشبين^(٤) . فقال النبي ... : ((بل أرجوا أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً)).

(١) صحيح البخاري : بدء الخلق (3231) ، وصحيح مسلم : الجهاد (1795) .

(٢) أي انطلقت إلى الجهة المقابلة لوجهي .

(٣) القرن الجبل الصغير المنقطع من جبل كبير ، والمراد قرن المنازل الذي هو ميقات أهل نجد .

(٤) الأخشبان : جبلان بمكة ، أحدهما أبو قبيس ، وجبل آخر مقابل له ، وينظر في شرح

عبارات هذا الحديث : شرح صحيح مسلم للنووي 155/12 ، الفتح 315/6 ، المرقاة

3 - في رد بني عبد ياليل السيء بيان لسفاهة الكفار وضلالهم وتلاعب

الشیطان بهم ، وهذا شأن كل من عصى الله تعالى ، فإن الشيطان يتلاعب به ويستحوذ عليه حتى يريه الباطل حقاً والحق باطلاً .

ولهذا يجب على كل عاقل أن يتبع شرع الله تعالى الذي أنزله خالق البشر الذي يعلم ما يصلحهم في عاجل أمرهم وآجله ، وأن يتعد عن معصية الله ، فهي عنوان السفه ، ويكفي أن صاحبها يحرم نفسه دخول الجنة ، ويعرضها لدخول نار جهنم من أجل معاصي لا يستفيد منها شيئاً ، وإنما هي طاعة لعدوه الشيطان الذي همه أن يدخل بني آدم معه في نار جهنم . نسأل الله السلامة والعافية .

4 - أن الغنى والمنصب وما يكون فيه الإنسان من الترف قد يكون من أعظم

الأسباب التي تصدّ عن اتباع الحق والسير على الصراط المستقيم ، فالله تعالى يختبر العباد بهذه المتع والزينة لينظر هل يقدمونها على طاعة الله أم لا ؟ كما قال تعالى : { إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملاً } [الكهف: 7] ، فكثير من الناس تتغلب عليهم هذه الشهوات فلا ينقادون للحق ؛ ولهذا جاء في هذا الحديث أن أغنياء أهل الطائف وزعماءهم لما ينقادوا للحق ، وكذلك عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، وفي المقابل نجد عداساً هذا العبد المملوك سارع للاعتراف بالحق والتصديق بنبوّة النبي

الدرس السابع عشر

خبر إسلام أوائل الأنصار بسبب استفتاح اليهود عليهم
وإخبارهم لهم بقرب بعثة النبي ...

33 - عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن رجال من قومه ، قالوا : إن مما دعانا إلى الإسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ، لما كنا نسمع من رجال يهود ، وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل الكتاب ، عندهم علم ليس لنا ^(١) ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فإذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : إنه قد تقارب زمان نبي يُبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وإرم ^(٢) ، فكنا كثيراً ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله ... أجبناه حين دعانا إلى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم إليه ، فآمنابه ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة : { ولما جاءهم كتابٌ من عند الله مصدقٌ لما معهم وكانوا من قبلُ يستفتحون

(١) أي أن اليهود عندهم علم ليس عند مشركي العرب ، لأن اليهود أهل الكتاب ، فهم عندهم علم لكن لم يعملوا به ، فهم مغضوب عليهم لأنهم لم يعملوا بعلمهم .

(٢) قيل : إن إرم : عاد الأولى ، وقيل : بينت مملكة عاد . ينظر تفسير ابن كثير لآية (7) من

{ على الذين كفروا ^(١) فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنةُ الله على الكافرين
[البقرة: 89] ^(٢) .

34 - وعن سلمة بن سلامة الأشهلي الأنصاري - رضي الله عنه - وكان من أصحاب بدر ، قال : كان لنا جار من يهود في بني عبد الأشهل ^(٣) ، قال : فخرج علينا يوماً من بيته قبل مبعث النبي ... بيسير ، فوقف على مجلس بني عبد الأشهل . قال سلمة : وأنا يومئذ أحدث من فيه سنأ ، عليّ بردة مضطبع فيها بفناء أهلي ، فذكر البعث والقيامة والحساب والميزان والجنة والنار ، فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثاً كائن بعد الموت ، فقالوا له : ويحك يا فلان ! ترى هذا كائناً أن الناس يبعثون بعد موتهم إلى دار فيها جنة ونار ويجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : (نعم والذي يحلف به ^(٤) ، لود أن له بحظه من تلك النار ^(٥) أعظم تنور في

(١) استفتاح اليهود على مشركي العرب هو ما ذكر في هذا الحديث من قول اليهود : إنه قد تقارب - أي قرب - زمان نبي - يعنون محمداً ... - يبعث الآن ، أي أنه قد حان وقت بعثته ، فاتبعه إذا بعث ، ونقتلكم معه .

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة : قصة الأخبار ، ص 63 ، ومن طريقه ابن جرير في تفسير الآية 89 من البقرة بإسناد حسن ، وسيأتي هذا الخبر مطولاً قريباً إن شاء الله تعالى .

(٣) (بنو عبد الأشهل) فخذ من الأنصار ، وكانوا بالمدينة .

(٤) أي أن اليهود أقسم أنه يود ... إلخ ، ولم يذكر سلمة الأمر الذي أقسم به اليهودي .

الدينار يحمونه ثم يدخلون إياه فيطبق به عليه وأن ينجو من تلك النار غداً) ، قالوا له : ويحك وما آية ذلك ؟ ^(١) قال : (نبي يبعث من نحو هذه البلاد) ، وأشار بيده نحو مكة واليمن ، قالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر إليّ وأنا من أحدثهم سنّاً ، فقال : (إن يستنفذ هذا الغلام عمره يدركه) ^(٢) .

قال سلمة : فوالله ما ذهب الليل والنهار ^(٣) حتى بعث الله تعالى رسوله ... ، وهو ^(٤) حي بين أظهرنا فأماناً به وكفر به بغياً وحسداً ، فقلنا : ويلك يا فلان ! أأنت بالذي قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : (بلى وليس به) ^(٥) .

(١) من عقائد اليهود أن كل واحد منهم سيدخل النار مدة يسيرة ثم يخرج منها ، كما أخبر الله عن ذلك بقوله : { وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة } [البقرة: 80] . فعند اليهود أنهم سيدخلون النار أياماً معدودة ، قيل : إنها الأيام التي عبدوا فيها العجل ، وقيل غير ذلك . ويزعمون أنهم سيخرجون بعد هذه الأيام المعدودة ، والحق أن مات منهم على دينه بعد بعثة النبي ... أو قبله وهو مشرك وعنده علم ، فهو خالد في نار جهنم ، أعادنا الله منها .

(٢) أي ما علامة صحة وجود البعث والجنة والنار والجزاء .

(٣) أي أن هذا الغلام - وهو سلمة - إن يكبر ولا يموت وهو صغير فسيذكرك مبعث هذا النبي لقرب مبعثه .

(٤) كأن هذا مثل يضرب لقرب حصول الشيء ، أي لم يجلس إلا مدة حتى بعث النبي

(٥) أي اليهودي .

(٦) في الرواية الأخرى : قال سلمة بن سلامة : ففضى الله أن جاء بالنبي ... المدينة ، فقلت :

الفوائد والعبر :

- 1 - أنه ينبغي للمسلم أن يتذكر دائماً نعمة الله عليه بهدياته إياه إلى الإسلام ، أن يشكر الله تعالى على ذلك بقلبه ولسانه وجوارحه .
- 2 - أن العداوة والبغضاء لا تمتنع المسلم من أن يعترف بما وعدوه من علم أو فضل .
- 3 - أن اليهود مغضوب عليهم ، لأن معهم علم لم يعملوا به ، ولهذا قال الله عنهم في الآية السابقة : { فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به } ، وهذا يدل على خبث اليهود وقسوة قلوبهم ، بل يدل على سفههم وقلة عقولهم ، إذ كيف يعلم أحدهم نبوة النبي ... وأنه إن مات غير مؤمن به كان من حطب جهنم خالداً فيها ، ومع ذلك بصر على الكفر به ويبقى على دين اليهود المحرف المنسوخ .
- 4 - أنه يجب على المسلم أن يحذر مما وقع فيه اليهود من عدم العمل بما علموا

هذا النبي قد جاء ، فقال اليهودي : أما والله إنه لأنه - أي أن هذا هو النبي الذي أخبرتكم عنه - قال سلمة : فقلت : ما لك عن الإسلام ؟ فقال : والله لا أدع اليهودية . ينظر المجمع 230 / 8 ، وعزاها للطبراني ، ويقارن بلوغ الأمانى 18 / 21 .

(1) رواه إسحاق في السيرة قصة الأحبار ، ص 63 ، 64 ، رقم (64) ، ومن طريقة الإمام أحمد

من الحق ، وأن يحذر من الوقوع فيما وقع فيه بعض الفرق المنتسبة إلى الإسلام من التشبه بهم في ذلك كبعض المتصوفة الذين يتعلمون العلم للبركة فقط كما يقولون .

5 - من أساليب الدعوة تذكير المدعو بما يؤمن به ويعتقده ويقنع به من الحق لعل ذلك يكون سبباً في قبوله للدخول في الإسلام أو التزامه بجميع أحكامه إن كان من المسلمين .

* * *

الدرس الثامن عشر

خبر إسلام أوائل الأنصار وبيعة العقبة الأولى

35 - عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه قالوا : لما لقيهم

رسول الله ... قال لهم : ((من أنتم ؟)) قالوا : نفر من الخزرج .

قال : ((أمن موالي يهود ؟)) قالوا : نعم^(١) . قال : ((أفلا تجلسون أكلمكم ؟))

قالوا : بلى . قال : فجلسوا معه ، فدعاهم رسول الله ... إلى الله - عز وجل - ،

وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، وكان مما صنع الله لهم في الإسلام أن

يهود كانوا معهم ببلادهم ، وكانوا أهل كتاب وعلم ، وكانت الأوس والخزرج أهل

شرك ، وأصحاب أوثان ، فكانوا إذا كان بينهم شيء ، قالت اليهود : إن نبياً

مبعوث الآن قد أظلم زمانه^(٢) ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وإرم .

فلما كلم رسول الله ... أولئك نفر ودعاهم إلى الله - عز وجل - قال بعضهم

لبعض يا قوم اعلموا والله أن هذا النبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه ،

فأجابوه لما دعاهم إلى الله عز وجل ، وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ،

(١) وذلك أن بينهم وبين اليهود تناصر وتحالفات .

(٢) أي أتى زمن بعثته .

وقالوا له : إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى الله عز وجل أن يجمعهم الله بك ، وسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك ، ونعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله عليك فلا رجل أعز منك .

ثم انصرفوا عن رسول الله ... راجعين إلى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وهم فيما يزعمون ستة نفر من الخزرج ، منهم من بني النجار : أسعد بن زرارة وهو أبو إمامة ، وعوف بن مالك بن رفاعة ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وقطبة بن عامر بن حديدة ، وعقبة بن عامر بن زياد ، وجابر بن عبد الله .

قال : فلما قدموا المدينة إلى قومهم ذكروا لهم رسول الله ... ودعوهم إلى الإسلام ، حتى فشا فيهم ، فلم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر من رسول الله حتى إذا كان العام المقبل أتى الموسم^(١) اثنا عشر رجلاً من الأنصار ، فلقوا رسول الله ... بالعقبة ، وهي العقبة الأولى ، فبايعوا رسول الله ... بيعة النساء ، قبل أن تُفترَضَ الحرب^(٢) .

(١) أي موسم الحج .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل 2 / 433 - 435 ، وأبو نعيم في الدلائل ص 253 ، وسنده حسن . وهذه البيعة هي البيعة التي لا ذكر للحرب فيها ، وهي التي يبايع بها النساء عادة لأنهن لا جهاد عليهن ، وقد ذكرها الله تعالى بقوله : { [المتحنة:] .

الفوائد والعبر :

١ في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد بن عبدالله ... ، وهو أخبار اليهود بوقت بعثته

٢ أن اليهود مغضوب عليهم ، لأنهم يعلمون الحق ولا يعملون به ، فهم كانوا يستفتحون على الذين كفروا - والاستفتاح هو ما ذكر في هذا الحديث - فلما بعث النبي ... وكان من العرب - وكانوا يحتقرون العرب - لم يسلموا بغياً وحسداً ، قال الله تعالى : { [البقرة: 89] ، ولهذا يدعو المسلم في كل صلاة عند قراءته للفتحة أن يجنبه الله طريقهم .

٣ أن الكفر والشرك ومعصية الله تعالى وعدم التمسك بأخلاقه سبب لحصول الفرقة وحصول الشقاق .

٤ أن التمسك بالإسلام والالتزام بأحكامه وأخلاقه التزاماً صحيحاً سبب للإلفة وذهاب الشحناء والفرقة والعداوات .

٥ أن من فقه شيئاً من أمور الإسلام وكان على بصيرة فيه شرع له أن يدعو إلى هذا الشيء الذي علمه ، ولا يشترط في الداعية أن يكون من العلماء ، فإن هذا من الشبهات التي يثبط بها الشيطان كثيراً من المسلمين عن الدعوة إلى الله تعالى ، فالصحيح أن من علم أمراً وجب عليه الدعوة إليه ، ولهذا رجع هؤلاء المسلمين من الأنصار وهم حديثي عهد بإسلام دعاة بين قومهم وأهل ديارهم ، قال الله تعالى :

{ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني } [يوسف: 108] ، فكل من
اتبع النبي ... وجب عليه أن يدعو إلى الله تعالى فيما عنده بصيرة فيه .

* * *

الدرس التاسع عشر

قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وقومهما بنو عبد الأشهل

36 - عن عبدالله بن أبي بكر بن حزم ، وعبدالله بن المغيرة بن معيقيب ، قالوا : بعث رسول الله ... مصعب بن عمير مع النفر الاثني عشر الذين بايعوه في العقبة الأولى إلى المدينة يفقه أهلها ، ويقرئهم قالوا : وكان منزله على أسعد بن زرارة ، وكان إنما يسمى بالمدينة المقرئ ، فخرج به يوماً أسعد بن زرارة إلى دار بني عبد الأشهل فدخل به حائطاً من حوائط بني ظفر ، وهي قرية لبني ظفر دون قرية بني عبد الأشهل - وكانا ابني عم - يقال لها بئر مرق فسمع بهما سعد بن معاذ وكان ابن خالته أسعد بن زرارة ، فقال لأسيد بن حضير : إئت أسعد بن زرارة فازدجره عنا فليكيف عنا ما نكره ، فإنه قد بلغني أنه قد جاء بهذا الرجل الغريب معه يتسفه به سفهاؤنا وضعفاؤنا ، فإنه لولا ما بيني وبينه من القرابة كفيتك ذلك .

فأخذ أسيد بن حضير الحربة ، ثم خرج حتى أتاهما ، فلما رآه سعد بن زرارة ، قال لمصعب بن عمير : هذا والله سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه ^(١) . قال : إن

(١) اجتهد في دعوته .

يقعد أكلمه .

فوقف عليها متشتماً ، فقال : يا أسعد ! مالنا ولك تأتينا بهذا الرجل الغريب يسفه به سفهاؤنا وضعفاؤنا ، فقال : أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته كف عنك ما تكره . فقال : قد أنصفتم ، ثم ركز الحربة وجلس ، فكلمه مصعب بن عمير وعرض عليه الإسلام ، وتلا عليه القرآن ، فوالله لعرفنا الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم لتسهله ، ثم قال : ما أحسن هذا وأجمله ، وكيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين ؟ قالوا : تغتسل ، وتطهر ثيابك ، وتشهد شهادة الحق ، وتصلي ركعتين ، ففعل . ثم قال لهما : إن ورائي رجلاً إن تابعكما لم يخالفكما أحد من قومه ، وهو سعد بن معاذ ، وسأرسله إليكما الآن .

ثم خرج حتى أتى سعد بن معاذ ، فلما رآه سعد بن معاذ مقبلاً قال : أحلف بالله لقد رجع عليكم أسيد بن حضير بغير الوجه الذي ذهب به ، ماذا صنعت ؟ قال : قد ازدجرتهما ، وقد بلغني أن بني حارثة يريدون أسعد بن زرارة ليقتلوه ليخفروك فيه ^(١) ، لأنه ابن خالتك ، فقام إليه سعد مغضباً فأخذ الحربة من يده ، قال : والله ما أراك أعنيت شيئاً ، ثم خرج فلما نظر إليه أسعد بن زرارة قد طلع عليها ، قال لمصعب : هذا والله سيد من وراءه من قومه إن هو تابعك لم يخالفك

أحد من قومه ، فاصدق الله فيه ، فقال مصعب بن عمير : إن يسمع مني أكلمه .
 فلما وقف عليها ، قال : يا أسعد ! ما دعاك إلى أن تغشاني بما أكره - وهو
 متشتم - أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما طمعت في هذا مني ، فقال له :
 أو تجلس فتسمع فإن رضيت أمراً قبلته ، وإن كرهته أعفيت مما تكره . قال :
 انصفتماي ، ثم ركز الحربة وجلس فكلمه مصعب وعرض عليه الإسلام ، وتلا
 عليه القرآن ، فوالله لعرفنا فيه الإسلام قبل أن يتكلم لتسهل وجهه . ثم قال : ما
 أحسن هذا وكيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين ؟ فقالوا له : تغتسل ، وتطهر
 ثيابك وتشهد شهادة الحق ، وتركع ركعتين ، فقام ففعل ثم أخذ الحربة وانصرف
 عنهما إلى قومه .

فلما رآه رجال بني عبد الأشهل ، قالوا : نقسم بالله لقد رجع إليكم سعد بغير
 الوجه الذي ذهب به من عندكم ، فلما وقف عليهم قال : يا بني عبد الأشهل : أي
 رجل تعلموني فيكم ؟ قالوا : نعلمك والله خيرنا وأفضلنا فينا رأياً ، قال : فإن كلام
 نسائكم ورجالكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله وحده ، وتصدقوا بمحمد ... ،
 فوالله ما أمسى في ذلك اليوم في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً^(١) .

(١) هذان المرسلان رواهما البيهقي في الدلائل 438/2 - 440 بسند حسن ، ولهما شاهد
 بنحوهما من مرسل عروة بن الزبير ، رواه أبو نعيم في الدلائل ص 261 - 266 بسند قريب

الفوائد والعبر :

- ١ - وجوب بعث الدعاة إلى البلدان والأقاليم لتعليم الناس دين الله تعالى ،
ولدعوة غير المسلمين إلى الدخول في دين الإسلام ، لإخراجهم من الظلمات إلى
النور .
- ٢ - أنه ينبغي للداعية أن يتحلى بالصبر والحلم ، فيتحمل ما قد يصدر من
المدعويين تجاهه من أذى ، كما قال تعالى : { وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر }
[العصر: 3] .
- ٣ - الاهتمام بسادات القبائل ومن لهم مكانة في المجتمع ، لأنه يرجى
بإسلامهم إسلام قومهم .
- ٤ - أنه ينبغي لكل مسلم أن يستغل مكانته بين قومه وأهل مجتمعه في الدعوة
إلى الله تعالى .

* * *

من الحسن ، ولهما شاهد آخر بنحوهما من مرسل الزهري ، رواه البيهقي في الدلائل

430 / 2 - 433 بسند حسن . فالخبر حسن لغيره بمجموع هذه المراسيل .

الدرس العشرون

خبر إسلام أكثر الأنصار وبيعة العقبة الثانية

37 - عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - قال : مكث رسول الله ...

بمكة عشر سنين يتبع الناس في منازلهم بعكاظ ^(١) ، ومجنته ^(٢) ، وفي المواسم بمنى يقول : (مَنْ يُؤْوِينِي ؟ مَنْ يَنْصُرِنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رَسُولَ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ ؟) . حتى إنَّ الرجلَ لَيَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ أَوْ مِنْ مُضَرَ فَيَأْتِيهِ قَوْمُهُ ، فيقولون : احذر غلامَ قريشٍ ، لا يَقْتِنُكَ . وَيَمْشِي بَيْنَ رِجَالِهِمْ وَهُمْ يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ ^(٣) ، حتى بَعَثَنَا اللهُ إِلَيْهِ مِنْ يَثْرِبَ ^(٤) ، فَأَوَيْنَاهُ وَصَدَّقْنَاهُ ، فَيَخْرُجُ الرَّجُلُ مَنَا ، فَيُؤْمِنُ بِهِ ، وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، فينقلب إلى أهله ، فيسلمون بإسلامه ، حتى لم يبقَ دارٌ من دور الأنصار إلا وفيها

(١) عكاظ : سوق بين مكة والطائف كانت تجتمع فيها العرب كل عام . ينظر معجم البلدان

. 142 /4

(٢) مجنته : سوق للعرب أيضاً وهو بأسفل مكة . ينظر معجم البلدان 57 /5 ، 58 .

(٣) أي أن المشركين من أهل مكة كانوا يشيرون إلى النبي ... إذا مشى بين رحلهم في تلك

الأسواق والمواسم يجذرون الناس منه .

(٤) وهي المدينة النبوية .

رهطاً من المسلمين يُظهرون الإسلام ، ثم ائتمروا جميعاً^(١) ، فقلنا : حتى متى نتركُ رسولَ الله ... يُطْرَدُ في جبال مكة ويخافُ ؟ فَرحَلْ إليه مِنَّا سبعون رجلاً حتى قدموا عليه في الموسم ، فواعدناه شِعْبَ العقبة ، فاجتمعناه عندها من رجل ورجلين حتى توافينا ، فقلنا : يا رسول الله ، علام بُايِعُكَ ؟ قال : (تُبَايِعُونِي على السمع والطاعة في النشاط والكسل ، والنفقة في العسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأن تقولوا في الله لا تخافون في الله لومة لائم^(٢)) ، وعلى أَنْ تَنْصُرُونِي ، فتمنعوني إذا قَدِمْتُ عليكم مَّا تَمْنَعُونَ منه أَنْفُسَكُمْ وأزواجكم وأبناءكم ، ولكم الجنة) . فقمنا إليه ، وأخذ بيده أسعدُ بنُ زُرارةَ ، وهو من أصغرهم فقال : رُوَيْدًا يا أَهْلَ يَثْرِبَ ، فَإِنَّا لم نضرب إليه أكبادَ الإبلِ^(٣) إلا ونحن نَعْلَمُ أنه رسولُ الله ، وإنَّ إخراجَه اليومَ مُفارقةَ العربِ كافةً ، وقتل خياركم ، وأن تعضكم السيوف^(٤) ، فإِذَا

(١) أي تشاوروا واتفقوا .

(٢) أي لا تتركوا قول الحق خوفاً من الناس .

(٣) أي لم نأت إليه على الإبل من مسافات بعيدة .

(٤) أي أن مبايعة النبي ... هذه البعثة - وهي بيعة العقبة الثانية وطلب أن يخرج إليهم في يثرب لينصروه ويحاربوا من عاداه أو حاربه في ذلك كله معادات لجميع العرب ، لأن كل العرب مشركون معادون للنبي ... ، وفيه أيضاً مخاطرة لأن تقع بينهم وبين جميع العرب حروب فيقتل خيارهم ويضربون بالسيوف في هذه الحروب .

أنتم قومٌ تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وإمّا أنتم قومٌ تخافون من أنفسكم خيفة ، فيئنونوا ذلك ، فهو أعدُّ لكم عند الله ^(١) . قالوا : أمط عنا يا أسعدُ ، فوالله لا ندعُ هذه البيعةَ أبداً ، ولا نستلقيها أبداً ^(٢) . قال : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذَ علينا وشرط ^(٣) ، ويعطينا على ذلك الجنة ^(٤) .

العظات والعبر :

(١) أي إن كنتم ستصبرون على كل هذه الأخطار والأمور العظام فعاهدوا النبي ... ، وبايعوه على أن يخرج إليكم وتحموه وتنصروه ، والله تعالى سيثيبكم على ذلك ، وإن كنتم تخشون أن تضعفوا أو تقصروا في حماية النبي ... ونصرته فبينوا هذه الخشية للنبي ... ولا تبايعوه على خروجه إليكم ونصرتكم له ، فهذا خير لكم من أن تبايعوه وتخرجوه ثم تقصرون في نصرته .

(٢) أي قال هؤلاء الأنصار لأسعد بن زراره أبعد عنا يدك التي أمسكت بها يد النبي ... ولا تحل بيننا وبين مبايعته ، فإننا لن نترك هذه البيعة ولن نطلب من النبي ... أن يعفينا منها ، بل نحن ماضون فيها حريصون عليها وسنوفي بها .

(٣) أي أخذ علينا العهد بأن نفي هذه البيعة ، واشترط لنفسه في هذه البيعة شروطاً .

(٤) رواه الإمام أحمد 3/ 322 ، 323 ، وابن حبان (6275 ، 7012) بإسناد حسن . وقد حسن إسناده الحافظ في الفتح : فضائل الأنصار باب وفود الأنصار 7/ 222 ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية 4/ 399 : (إسناد جيد على شرط مسلم) .

1 - أنه ينبغي للداعية أن يبحث عن من ينصره على من ناوأ دعوته ، ومن يعينه على نشر العقيدة الصحيحة ومحاربة الشرك كما فعل النبي ... ، وقد اقتدى به أئمة الإسلام في ذلك ، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما فعله الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فقد جد في البحث عن من يناصره في الدعوة إلى نبذ الخرافات وترك عبادة القبور ، حتى وفق الله الإمام محمد بن سعود لمناصرة هذه الدعوة ، فنصرهما الله تعالى على من ناوأهما ، وقمع الله بهما وبدولتهما الشرك ونشر التوحيد ، وما نراه اليوم في هذه الدولة من نشر للتوحيد والعقيدة الصحيحة في هذه الجزيرة بل وفي غيرها من بلاد المسلمين وغيرها والله الحمد هو امتداد الدعوة المباركة .

2 - أن من سنة الله في هذا الكون وجود الصراع بين أهل الحق وأهل الضلال ، وأن أعداء الحق من الكفار والفساق والظلمة يبذلون كل ما يستطيعون لحرب الدعوة الصحيحة ، ومن ذلك تشويه الدعاة إلى الله تعالى والتحذير منهم ، وادعاء أنهم أصحاب هوى وفتنة .

3 - أنه ينبغي للمسلم وللداعية على وجه الخصوص أن لا يقدم على أمر من أمور الدعوة أو غيرها حتى ينظر في أمره ، فينظر هل يستطيع القيام بهذا العمل أم لا ، وهل الوقت والمكان مناسب لذلك وما أشبه ذلك مما يترتب عليه صلاح هذا الأمر أو عدم صلاحه .

4 - فضل الأنصار - رضي الله عنهم - لإيثارهم طاعة الله والجنة على ما

سواهما ، ولتقديمهم أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل نصره رسول الله

* * *

الدرس الحادي والعشرون

قصة إسلام عبدالله بن عمرو بن حرام وخبر بيعة العقبة الثانية مفصلاً

38 - عن كعب بن مالك الأنصاري - رضي الله عنه - وكان ممن شهد العقبة

وبايع رسول الله - ... - قال : خرجنا في حجاج قومنا من المشركين ، وقد صلينا
وفقهنا ، معنا البراء بن معرور كبيرنا وسيدنا ، خرجنا نسأل عن رسول الله ... ،
وكنا لا نعرفه ، ولم نره قبل ذلك فلقينا رجلاً من أهل مكة ، فسألناه عن رسول الله
... فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا قال : فهل تعرفان العباس بن عبد المطلب عمه
؟

قال : قلنا : نعم ، قال : وقد كنا نعرف العباس - كان لا يزال يقدم علينا
تاجراً قال : فإذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس . قال : فدخلنا
المسجد فإذا العباس جالس ، ورسول الله ... جالس معه ، فسلمنا ثم جلسنا إليه ،
فقال رسول الله ... للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟
قال : نعم ، هذا البراء بن معرور سيد قومه ، وهذا كعب بن مالك .
قال : فوالله ما أنسى قول رسول الله ... : الشاعر ؟ قال : نعم .

قال : وخرجنا إلى الحج ، وواعدنا رسول الله ... بالعقبة^(١) من أوسط أيام التشريق^(٢) ، قال : فلما فرغنا من الحج ، وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله ... لها ، ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر ، سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، أخذناه معنا ، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا ، فكلمناه وقلنا له : يا أبا جابر ، إنك سيد من ساداتنا ، وشريف من أشرافنا ، وإنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً^(٣) ، ثم دعواناه إلى الإسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله ... إيانا العقبة . قال : فأسلم وشهد معنا العقبة ، وكان نقيباً .

قال : فمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا ، حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ... ، نسلل تسلل القطا مستخفين ، حتى إذا اجتمعنا في الشعب عند العقبة ، ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان من نسائنا . قال : فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله ... ، حتى جاءنا ومعه عمه

العباس بن عبد المطلب ، وهو يومئذ على دين قومه ، إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له ، فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا

(١) وهي بمنى بقرب الجمرة الكبرى ، التي تسمى «جمرة العقبة».

(٢) أي ليلة الثاني عشر من ذي الحجة .

(٣) أي : إننا حريصون ونحب لك أن تنجو مما تؤدي بك إليه معصية الله بعبادة الأصنام ، حيث أن من مات عليها كان مصيره جهنم يوم القيامة .

معشر الخزرج - وكانت العرب ، إنما يسمون هذا الحي من الأنصار : الخزرج خزرجهما وأوسها - إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من قومنا ، ممن هو على مثل رأينا فيه^(١) ، فهو في عز من قومه ، ومنعة في بلده ، وإنه قد أبى إلا الانحياز إليكم ، واللاحق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عزٍّ ومنعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ، فتكلم يا رسول الله ، فخذ لنفسك ولربك ما أحببت .

قال : فتكلم رسول الله ... ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله عز وجل ، ورغب في الإسلام ، ثم قال : ((أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم)).

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : نعم ، والذي بعثك بالحق نبياً ، لنمنعك مما نمنع منه أزرنا^(٢) ، فبايعنا يا رسول الله ... ، فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة^(٣) ، ورثناها كابراً عن كابر .

(١) أي ممن لم يقر بنبوته محمد ... وبقي على دين قومه .

(٢) أزرنا : نساءنا لأن العرب تكني عن المرأة بالإزار . وقيل : أراد : أنفسنا ، لأنه يكنى أيضاً عن النفس بالإزار . ينظر : النهاية مادة (أزر) .

(٣) الحلقة : السلاح عموماً .

قال : فاعترض القول ، والبراء يكلم رسول الله ... أبو الهيثم بن التيهان ، فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبلاً^(١) ، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا ؟ قال فتبسم رسول الله ... ثم قال : ((بل الدم الدم ، والهدم الهدم^(٢) أنا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتهم ، وأسالم من سالمتم)) ، وقال رسول الله ... : ((أخرجوا لي اثني عشر نقيباً^(٣) منكم يكونون على قومهم)) ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس .

قال : وكان أول من ضرب على يد رسول الله ... البراء بن معرور ، ثم بايع بعده القوم ، فلما بايعنا رسول الله ... صرخ الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قط : يا أهل الجباحب - المنازل - هل لكم في مذمم^(٤) والصباية^(٥) معه ، قد

(١) أي عهداً ومواثيق .

(٢) أي ذمتي ذمتكم ، وحرمتي حرمتكم ومصيري ومصيركم ، وهذا مثال معروف عند المعاهدة والمناصرة .

(٣) النقيب : العريف ، وهو شاهد القوم وكفيلهم .

(٤) مذمم : المذموم جداً ، يريد النبي

(٥) الصباية : جمع صابئ ، وكان يقال للرجل إذا أسلم في زمن النبي ... صابئ .

اجتمعوا على حربكم^(١) ، فقال رسول الله ... : «هذا أذب العقبة^(٢) ، هذا ابن أزيب ، أسمع أي عدو الله ، أما والله لأفرغن لك» .

ثم قال رسول الله ... : «ارفضوا^(٣) إلى رحالكم» قال : فقال له العباس بن عباد بن نضله : والله الذي بعثك بالحق : إن شئت لنميلن على أهل منى غدأ بأسيافنا؟ قال : فقال رسول الله ... : «لم تؤمر بذلك ، ولكن ارجعوا إلى رحالكم» . قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فمنا عليها حتى أصبحنا .

قال : فلما أصبحنا غدت علينا جلة قريش^(٤) ، حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، إنه قد بلغنا أنكم قد جئتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ، وإنه والله ما من حي من أحياء العرب أبغض إلينا ، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم . قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يلفون بالله ما كان من هذا شيء وما علمناه . قال : وقد صدقوا ، لم

(١) أذب العقبة : اسم شيطان .

(٢) في رواية الطبراني كما في المجمع 6 / 47 وهي مرسله : «يا معشر قريش هذه الخزرج والأوس تبايع محمداً على قتالكم» .

(٣) ارفضوا : تفرقوا .

(٤) أي كبارهم . وينظر في شرح عبارات وألفاظ هذا الحديث : النهاية ، الفتح الرباني

يعلموه . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض ، ثم قام القوم^(١) .

الفوائد والعبر :

- ١ - أن التكتّم على التصرفات التي يخشى من علم الأعداء بها ضرر على المسلمين أمر مطلوب وهو من أسباب نصر المسلمين على أعدائهم .
- ٢ - أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على دعوة أقاربه إلى التمسك بدين الإسلام وإلى البعد عن معصيته ليكون ذلك سبباً - بعد رحمة الله - في نجاتهم من النار .
- ٣ - أهمية هذه البيعة في الإسلام ، فقد كانت هي اللبنة الأولى في تأسيس الدولة الإسلامية وقيام كيان مستقل للمسلمين ينطلقون منه للدعوة إلى الله والجهاد في سبيله وإخراج الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام .
- ٤ - أهمية وضع الكفلاء والعرفاء من كبار العشائر وسادة القبائل ليكونوا مسؤولين في تنفيذ ما يطلب من قومهم ، وبذلك تنتظم الأمور وتتحدد المسؤوليات ، ولا تكون المسؤوليات عائمة مشتتة ، فهذا كله من أكبر أسباب نجاح

(١) رواه ابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام 440/2 - 443 ، والطيايبي (منحة 93/2 ، 94) ، وأحمد 460/3 - 462 ، وابن حبان (7011) ، والحاكم 441/3 . وإسناده حسن ، رجاله رجال الصحيح . وله شواهد كثيرة ، تنظر في الدلائل للبيهقي 450/2 - 455 ، والسيرة الذهبية 420/2 ، 421 .

الأمور المهمة وقيام كل فرد بمسؤوليته فيها .

٥ - عداوة الشيطان للحق وأهله .

٦ - أن الله ينصر المؤمنين ويصد عنهم كيد الشيطان وأعوانه إذا صدقوا في

تصرفهم الله تعالى والتوكل عليه .

* * *

الدرس الثاني والعشرون

قصة إسلام أحد الأعراب وقصة إسلام الراعي يوم الهجرة

39 - عن شداد بن الهاد - رضي الله عنه - أن رجلاً من الأعراب جاء إلى النبي ... فأمن به واتبعه ، ثم قال : أهاجر معك ، فأوصى به النبي ... بعض أصحابه ، فلما كانت غزوة خيبر غنم النبي ... فيها شيئاً ، فقسم وقسم له ، فأعطى أصحابه ما قسم له ، وكان يرعى ظهرهم ، فلما جاءهم دفعوه إليه فقال : ما هذا ؟ قالوا : قسم لك النبي ... ، فأخذه فجاء به إلى النبي ... فقال : ما هذا ؟ قال : ((قسمته لك)) ، قال : ما على هذا تبعتك ، ولكن اتبعتك على أن أرمى إلى ههنا - وأشار إلى حلقه - بسهم فأموت فأدخل الجنة ، فقال : ((إن تصدق الله يصدقك)) ، فلبثوا قليلاً ، ثم نهضوا في قتال العدو ، فأتى به النبي ... يُحمَل ، قد أصابه سهم حيث أشار ، فقال النبي ... : ((أهو هو ؟)) ، قالوا : نعم ، قال : ((صدق الله فصدقه)) ، ثم كفنه النبي ... في جُبة ثم قدمه فصلى عليه ، فكان مما ظهر من صلاته : ((اللهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك ، فقتل شهيداً ، أنا شهيد على ذلك)) .

(١) رواه النسائي في الجنائز : الصلاة على الشهداء 4 / 362 ، حديث 1952 (دار المعرفة) ،

40 - وعن قيس بن النعمان السكوني - رضي الله عنه - قال : انطلق رسول الله - ... - ومعه أبو بكر مستخفيان من قريش فمروا براع فقال له رسول الله - ... - : ((هل من شاة ضربها الفحل ؟)) قال : لا ، ولكن ههنا شاة قد خلفها الجهد^(١) ، قال : ((ائتني بها)) فأتاه بها فمسح ضرعها ودعا بالبركة فحلب فسقى أبا بكر ، ثم حلب فسقى الراعي ، ثم حلب فشرب ، فقال الراعي للنبي - ... - : تا لله ما رأيت مثلك ، من أنت ؟ قال : ((إن أخبرتكم تكتم علي ؟)) قال : نعم ، قال : ((أنا محمد رسول الله)) قال : أنت الذي تزعم قريش أنك صابئ ؟ قال : ((إنهم يقولون ذلك)) ، قال : فإني أشهد أنك رسول الله ، وأنه لا يقدر على ما فعلت إلا رسول ، ثم قال له : أتبعك . فقال له النبي - رضي الله عنه - : ((أما اليوم فلا . ولكن إذا سمعت أنا قد ظهرنا فأتنا)) ، فأتى النبي - ... - بعدما ظهر بالمدينة^(٢) .

وعبدالرزاق في الجهاد ، باب الصلاة على الشهيد 276 / 5 ، رقم (9597) ، والحاكم في ذكر شداد بن الهاد^(٣) 3 / 595 ، 596 ، والمزي في تهذيب الكمال لوحة 800 ، والبيهقي في الكبرى : الجنائز ، باب في المرتث 4 / 15 ، 16 عن ابن جريج ، أخبرني عكرمة بن خالد ، أن ابن أبي عمار أخبره ، عن شداد بن الهاد ... فذكره . وإسناده صحيح ، رجاله ثقات رجال مسلم ، عدا شداد بن الهاد ، وهو صحابي .

(١) أي من شدة ضعفها لم تستطع الخروج مع بقية الغنم للرعي .

(٢) رواه الطبراني في الكبير 18 / 343 ، 344 ، والحاكم 3 / 8 ، 9 وإسناده حسن . وقد

الفوائد والعبر :

- 1 - أن من صدق في طلب الخير وفقه الله تعالى له .
- 2 - أن قوة الايمان تحمل العبد على الحرص على الخير وتبعده عن الشر ، وتجعله يزهد في حطام الدنيا ، كما هي حال هذا الصحابي - رضي الله عنه - وبعبكسه ضعف الإيـان فهو يحمل صاحبه على الزهد في الخير ، ويجعله حريصاً على الدنيا وحطامها ، بل إن يحمله على طلبها من الحرام إما من الربا أو من الغش في البيع أو بيع المحرمات أو عن طريق أخذ المال من بيت مال المسلمين بغير وجه حق - وهو الغلول المحرم - ويحمله أيضاً على الوقوع في كثير من المحرمات .
- 3 - فضل الهجرة والشهادة في سبيل الله .
- 4 - أن استعمال الأسباب لا ينافي التوكل ، فهذا النبي - ... - وصاحبه أبو بكر استخفيا في طريقهما في الهجرة وكتما أمرهما لما يعلمان من عداوة قريش ، وقد روى عمرو بن أمية الضمري - رضي الله عنه - قال : قال رجل للنبي - ... - : أرسل ناقتي - أي أطلقها ولا أعقلها - وأتوكل ؟ فقال له النبي - ... - : «اعقلها وتوكل» .

صححه الحافظ في الإصابة 3 / 250 .

(١) رواه ابن حبان (731) ، والحاكم 3 / 623 ، وإسناده حسن في الشواهد ، وله طرق عند

- 5 - أنه ينبغي للمسلم وللداعية إلى الله تعالى استعمال أسلوب السرية عند الحاجة إلى ذلك ، وعندما يكون في ذلك مصلحة ظاهرة ، ولذلك أخفى النبي - ... - وصاحبه أمرهما وأشار النبي - ... - على الراعي بأن لا يتبعه في سفره ذلك وأن يؤخر مرافقته له إلى أن تنتصر دعوته - ... - ويظهره الله على أعدائه .
- 6 - في حديث إسلام الراعي معجزة من معجزات النبي - ... - ، ودليل من دلائل نبوته عليه الصلاة والسلام .

* * *

الطبراني يتقوى بها .

ينظر مجمع الزوائد 291/10 ، 303 .

الدرس الثالث والعشرون

أخبار إسلام الحبر عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - .

41 - عن عبدالله بن سلام - رضي الله عنه - قال : لما قدم رسول الله ... المدينة انجفل الناس إليه ^(١) ، وقيل قدم رسول الله ... ، قدم رسول الله ... ، قدم رسول الله ... ، فلما استثبت وجه رسول الله ... ^(٢) عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب ، وكان أول شيء تكلم به أن قال : ((أيها الناس أفشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلون الجنة بسلام)) ^(٣) .

(١) أي أسرعوا ، ومضوا إليه كلهم . ينظر الترغيب للمنزدي 1/477 ، 713 .

(٢) أي تحققت ، وتبينته . ينظر المرجع السابق .

(٣) رواه الإمام أحمد 5/451 ، والدرامي في صلاة الليل (1460) ، والترمذي في صفة القيامة

(2485) ، وابن ماجه في إقامة الصلاة 2/502 ، وفي دلائل النبوة 2/531 من طرق

كثيرة ، عن عوف بن أبي جميلة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبدالله بن سلام . وإسناده

صحيح ، رجاله ثقات ، رجال الشيخين . وصححه الترمذي ، والحاكم ، ووافقه

الذهبي ، ومحمد ناصر الدين في الإرواء (777) ، والأرنؤوط في تعليقه على سير أعلام

النبلاء 1/414 .

42 - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : أقبل نبي الله ... إلى المدينة^(١) وهو مردف أبا بكر ، وأبو بكر شيخ يعرف ، ونبي الله ... شاب لا يعرف^(٢) ، قال : فيلقى الرجل أبا بكر فيقول : يا أبا بكر ! من هذا الرجل الذي بين يديك ؟ فيقول : هذا الرجل يهديني السبيل ، قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعني الطريق ، وإنما يعني سبيل الخير ، فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم^(٣) ، فقال : يا رسول الله ! هذا فارس قد لحق بنا ، فالتفت نبي الله ... فقال : ((اللهم اصصره)) ، فصصره الفرس ثم قامت تحمحم ، فقال : يا نبي الله مرني بما شئت ، قال : ((قف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا)) ، قال : فكان أول النهار جاهداً على نبي الله ... ، وكان آخر النهار مسلحة له^(٤) ، فنزل رسول الله ... جانب الحرة ، ثم

(١) وهذا هو سفر هجرته ... إلى المدينة .

(٢) وذلك أن أبا بكر قد خرج فيه الشيب ، والنبي ... لم يخرج فيه الشيب ، وإلا فإن أبا بكر أصغر من النبي ... بأكثر من ستين ، وكان أبو بكر يعرف بالمدينة ، لأنه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة ، بخلاف النبي ... فإنه كان بعيد العهد بالسفر من مكة إلى المدينة . ينظر الفتح 7/ 250 ، 251 .

(٣) وهو سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي ، الصحابي المشهور ، وكان وقتئذ مشركاً .

(٤) أي يحفظه من العدو . ينظر جامع الأصول 7/ 602 ، وقد اختصرت قصة سراقه في هذه

بعث إلى الأنصار^(١) ، فجاءوا إلى نبي الله ... وأبي بكر فسلموا عليها وقالوا : اركبا آمنين مطاعين ، فركب نبي الله ... وأبو بكر ، وحفوا دونها بالسلاح ، فقتل في المدينة : جاء نبي الله ، جاء نبي الله ، فأشرفوا ينظرون ، ويقولون : جاء نبي الله ، فأقبل يسير حتى نزل جانب دار أبي أيوب ، فإنه ليحدث أهل^(٢) إذ سمع به عبد الله بن سلام وهو في نخل لأهله يخترف لهم ، فعجل أن يضع الذي يخترف لهم فيها ، فجاء وهي معه ، فسمع من نبي الله ... ، ثم رجع إلى أهله ، فقال نبي الله ... : ((أي بيوت أهلنا^(٣) أقرب ؟)) ، فقال أبو أيوب : أنا يا نبي الله هذه داري وهذا بابي ، قال : ((فانطلق فهيئ لنا مقيلاً)) ، قال : قوما^(٤) على بركة الله ، فلما جاء نبي الله ... جاء عبد الله بن سلام فقال : أشهد أنك رسول الله ، وأنت جئت بحق ، وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم ، فادعهم فاسألهم عني قبل

(١) لم يذكر في هذه الرواية قصة إقامته ... بقباء ، وبنائه مسجد بقاء .

(٢) الضمير يرجع إلى النبي ينظر الفتح 7 / 251 .

(٣) أراد ... بيوت أخواله بني النجار ، لأن جدته - والدة عبدالمطلب - منهم ، وفي حديث

البراء عن أبي بكر : ((فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه ، فقال : إني أنزل على أخوال

عبدالمطلب ، أكرمهم بذلك)). ينظر الفتح 7 / 116 ، 246 ، 251 .

(٤) فيه حذف تقديره : فذهب وهياً لهم مكاناً يقلون فيه ويرتاجون فيه ، ثم جاء .

أن يعلموا أني قد أسلمت ، فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ما ليس في^(١) ، فأرسل نبي الله ... فأقبلوا فدخلوا عليه ، فقال لهم رسول الله ... : ((يا معشر اليهود ! ويلكم ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً ، وأني جئتكم بحق فأسلموا)) ، قالوا : ما نعلمه ، قالوا : للنبي ... ، قالها ثلاث مرار . قال : ((فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟)) ، قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : ((أفأريتم إن أسلم ؟)) ، قالوا : حاشا لله ما كان ليُسلم^(٢) . قال : ((أفأريتم إن أسلم ؟)) ، قالوا : حاشا لله ما كان ليُسلم ، قال : ((أفأريتم إن أسلم ؟)) ، قالوا : حاشا لله ما كان ليُسلم ، قال : ((يا ابن سلام ! أخرج عليهم)) ، فخرج فقال : يا معشر اليهود ، اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله ، وأنه جاء بحق ، فقالوا : كذبت ، فأخرجهم رسول الله رواه البخاري^(٣) .

(١) أي سبوه وعابوه بما ليس فيه .

(٢) استبعدوا إسلامه ، ظنوا أنه سيعمل مثل عملهم من الاستمرار على دينهم الباطل ، مع علمهم أن محمد ... هو رسول الله حقاً ، كما قال تعالى : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ ، ولذلك أقسم النبي ... كما في هذا الحديث أنهم يعلمون أنه رسول الله حقاً وأنه جاءهم بالحق .

(٣) صحيح البخاري : مناقب الأنصار (3911) .

الفوائد والعبر :

- 1 - في الحديث الأول دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... ، وهو ظهور أمارات الصدق على وجهه عليه الصلاة والسلام .
- 2 - أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على الأعمال الصالحة التي هي سبب لدخول الجنة ومن أهمها : الصلاة - وبالأخص قيام الليل - والصدقة ، وإفشاء السلام .
- 3 - في الحديث الثاني دليل آخر من دلائل نبوة نبينا محمد ... - وهو شهادة علماء اليهود بنبوته ، وإن كان كثير منهم يكتنم ذلك حقداً وحسداً واحتقاراً للعرب .
- 4 - أن في المعارض منوحة عن الكذب ، ولهذا وري أبو بكر لما سئل عن النبي
- 5 - حفظ الله تعالى لنبيه ... ، فقد منعه جل وعلا من يريد أذاه ، بل جعله مدافعاً عنه بعد أن كان يريد أذاه .
- 6 - أن اليهود معهم علم ، ولكنهم لا يعملون به ، ولهذا فهم «مغضوب عليهم» كما أخبر ربنا جل وعلا في آخر سورة الفاتحة .
- 7 - أن اليهود أهل كذب أهل بهتان لغيرهم ، فيتهمون غيرهم مما هو بريء منه زوراً .

الدرس الرابع والعشرون

قصة إسلام سلمان الفارسي - رضي الله عنه - .

43 - عن عبدالله بن عباس - رضي الله عنهما - قال : حدثني سلمان الفارسي

حديثه من فيه ، قال : كنت رجلاً فارسياً من أهل أصبهان من أهل قرية منها يقال لها جي^(١) ، وكان أبي دهقان قريته^(٢) ، وكنت أحب خلق الله إليه ، فلم يزل به حبه إياي حتى حبسني في بيته كما تُحبس الجارية ، واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطنُ النار^(٣) الذي يوقدها لا يتركها تحبوس ساعة^(٤) . قال : وكانت لأبي ضيعة^(٥) عظيمة ، قال : فشغل في بنيان له يوماً فقال لي : يا بني إني قد شغلت في بنياني هذا

(١) وقد فتح المسلمون هذه القرية في زمن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة إحدى

وعشرين للهجرة . ينظر فتوح البلدان ، ص 308 ، والبداية والنهاية 7 / 114 .

(٢) الدهقان بكسر الدال وضمها : رئيس القرية . ينظر النهاية 2 / 145 ، بلوغ الأمان

. 262 / 22

(٣) أي أنه أصبح خازن النار التي يعبدها المجوس ، وخدامها ، فكان ملازماً لها لا يفارقها ، من

قطن في المكان إذا لزمه . النهاية 4 / 85 .

(٤) أي لا يترك لها يحمدها . المصباح 1631 .

(٥) الضيعة : العقار . المرجع السابق .

اليوم عن ضيعتي فاذهب فاطلعتها ، وأمرني فيها ببعض ما يريد . فخرجت أريد ضيعته ، فمررت بكنيسة من كنائس النصارى ، فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون ، وكنت لا أدري ما أمر الناس لحبس أبي إياي في بيته ، فلما مررت بهم وسمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون . قال : فلما رأيتهم أعجبتهن صلواتهم ، ورغبت في أمرهم ، وقلت : هذا والله خير من الدين الذي نحن عليه ، فوالله ما تركتهم حتى غربت الشمس ، وتركت ضيعة أبي ولم آتها ، فقلت لهم : أين أصل هذا الدين ؟ قالوا : بالشام ، قال : ثم رجعت إلى أبي وقد بعث في طلبي وشغلته عن عمله كله ، قال : فلما جئته قال : أي بني أين كنت ؟ ألم أكن عهدت إليك ما عهدت ، قال : قلت : يا أبت مررت بناس يصلون في كنيسة لهم ، فأعجبني ما رأيت من دينهم ، فوالله ما زلت عندهم حتى غربت الشمس . قال : أي بني ليس في ذلك الدين خير ، دينك ودين آبائك خير منه . قال : قلت : كلا والله إنه خير من ديننا . قال : فخافني^(١) ، فجعل في رجلي قيلاً ثم حبسني في بيته .

قال : وبعثت إلى النصارى فقلت لهم : إذا قدم عليكم ركب^(٢) من الشام تجار من النصارى فأخبروني بهم . قال : فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى

(١) أي خاف عليه أن يترك دينه .

(٢) الركب : أصحاب الإبل في السفر ، وهم عشرة فأكثر . بلوغ الأمانى 262 / 22 .

فأخبروني بهم . قال : فقلت لهم : إذا قضاوا حوائجهم وأرادوا الرجعة إلى بلادهم فأذنوني بهم . قال : فلما أرادوا الرجعة إلى بلادهم أخبروني بهم ، فألقيت الحديد من رجلي ، ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام ، فلما قدمتها قلت : مَنْ أفضل أهل هذا الدين ؟ قالوا : الأسقف^(١) في الكنيسة . قال : فجئته فقلت : إني قد رغبت في هذا الدين وأحببت أن أكون معك أخدمك في كنيستك ، وأتعلم منك وأصلي معك . قال : فادخل ، فدخلت معه ، قال : فكان رجل سوء يأمرهم بالصدقة ويرغبهم فيها ، فإذا جمعوا إليه منها أشياء اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين ، حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق^(٢) . قال : وأبغضته بُغضاً شديداً لما رأيته يصنع ، ثم مات فاجتمعت إليه النصارى ليدفنوه ، فقلت لهم : إن هذا كان رجل سوء ، يأمركم بالصدقة ويرغبكم فيها ، فإذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئاً ، قالوا : وما علمك بذلك ؟ قال : قلت : أنا أدلكم على كنزه ، قالوا : فدلنا عليه ، قال : فأريتهم موضعه ، قال : فاستخرجوا منه سبع قلال مملوءة ذهباً وورقاً ، قال : فلما رأوها قالوا : والله لا ندفنه أبداً ، فصلبوه ثم رجموه بالحجارة ، قم جاءوا برجل آخر فجعلوه بمكانه .

(١) الأسقف : من رؤساء النصارى في دينهم . المرجع السابق .

(٢) الورق : الفضة .

قال : يقول سلمان : فما رأيت رجلاً لا يصلي الخمس^(١) أرى أنه أفضل منه أزهد في الدنيا ولا أرغب في الآخر ولا أدأب ليلاً ونهاراً منه^(٢) ، قال : فأحبيته حباً لم أحبه من قبله ، وأقمت معه زماناً ، ثم حضرته الوفاة فقلت له : يا فلان إني كنت معك وأحبيتك حباً لم أحبه من قبلك ، وقد حضرك ما ترى من أمر الله ، فإلى من توصي بي ، وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم أحداً اليوم على ما كنت عليه ، لقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه ، إلا رجلاً بالموصل^(٣) وهو فلان ، فهو على ما كنتُ عليه ، فالحق به .

قال : فلما مات وغيب^(٤) ، لحقت بصاحب الموصل ، فقلت له : يا فلان إن فلاناً أوصاني عند موته أن ألحق بك ، وأخبرني أنك على أمره ، قال : فقال لي : أقم

(١) الي لا يصلي الخمس هو غير المسلم ، فالصلوات الخمس إنما شرعت في شريعة محمد ... ، ومراده - رضي الله عنه - أي لم أر شخصاً غير مسلم خيراً منه .

وهذا الرجل كان على دين النصارى الذي لم يحرف .

(٢) أي يكثر من العبادة في الليل والنهار .

(٣) الموصل : مدينة بالعراق ، على طرف دجلة . معجم البلدان 339 / 5 ، بلوغ الأمانى

. 263 / 22

(٤) أي دفن .

عندي ، فأقمت عنده فوجدته خير رجل ، على أمر صاحبه^(١) ، فلم يلبث أن مات ، فلما حضرته الوفاة قلت له : يا فلان إن فلاناً أوصى بي إليك ، وأمرني باللحوق بك ، وقد حضرك من الله عز وجل ما ترى ، فإلى من توصي بي ؟ وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلم رجلاً على مثل ما كنا عليه إلا رجلاً بنصيبين^(٢) ، وهو فلان ، فالحق به .

قال : فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين ، فجئته فأخبرته بخبري وما أمرني به صاحبي ، قال : فأقم عندي ، فأقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه ، فأقمت مع خير رجل ، فوالله ما لبثت أن نزل به الموت . فلما حضر قلت له : يا فلان إن فلاناً كان أوصى بي إلى فلان ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما نعلم أحداً بقي على أمرنا أمرك أن تأتبه إلا رجلاً بعمورية^(٣) ، فإنه بمثل ما نحن عليه ، فإن أحببت فأته ، قال : فإنه على أمرنا .

(١) أي على طريقة صاحبه الأول وسيرته وكثرة عبادته ، وزهده في الدنيا .

(٢) نصيبين مدينة بالعراق على شاطئ الفرات . معجم البلدان 5 / 223 ، بلوغ الأمان 263 / 22 .

(٣) عمورية : مدينة في بلاد الشام ، فتحها الخليفة العباسي المعتصم سنة 223 هـ . معجم البلدان 4 / 158 .

قال فلما مات وغيب^(١) لحقت بصاحب عمورية ، وأخبرته خبري ، فقال : أقم عندي ، فأقمت مع رجل على هدي أصحابه وأمرهم ، قال : واكتسبت حتى كان لي بقرات وغنيمة ، قال : ثم نزل به أمر الله ، فلما حضر قلت له : يا فلان إني كنت مع فلان فأوصى بي فلان إلى فلان ، وأوصى بي فلان إلى فلان ، ثم أوصى بي فلان إليك ، فإلى من توصي بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني ، والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس أمرك أن تأتيه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي^(٢) هو مبعوث بدين إبراهيم ، يخرج بأرض العرب مهاجراً إلى أرض بين حرتين بينهما نخل^(٣) ، به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ، ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة^(٤) ، فإن استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل .

قال ثم مات وغيب ، فمكثت بعمورية ما شاء الله أن أمكث ، ثم مر بي نفر من

(١) أي دُفن .

(٢) أي قُرب منك وقت مبعثه . بلوغ الأمانى 264 / 22 .

(٣) الحرة : أرض ذات حجارة سود ، كأنها أحرقت بالنار ، والمدينة المنورة واقعة بين حرتين ، وبها نخل . المرجع السابق .

(٤) خاتم النبوة : جزء صغير بارز كقدر بيضة الحمامة أو أكبر ، لونه لون جسده ... ، وقد يميل إلى الحمرة قليلاً ، عليه شعرات ، وهو في أعلى ظهره ... ، عند نغض كتفه الأيسر . ينظر

كلب^(١) تجاراً ، فقلت لهم : تحملوني إلى أرض العرب وأعطيكم بقراتي هذه وغنيمتي هذه ؟ قالوا : نعم . فأعطيتهموها وحملوني ، حتى إذا قدموا بي وادي القرى^(٢) ظلموني ، فباعوني من رجل من يهود عبداً^(٣) ، فكنت عنده ورأيت النخل ورجوت أن تكون البلد الذي وصف لي صاحبي ، ولم يحق لي في نفسي^(٤) ، فبينما أنا عنده قدم عليه ابن عم له من المدينة من بني قريظة ، فابتاعني منه ، فاحتملني إلى المدينة ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فعرفتها بصفة صاحبي ، فأقمت بها ، وبعث الله رسوله فأقام بمكة ما أقام لا أسمع له بذكر ، مع ما أنا فيه من شغل الرق^(٥) ، ثم هاجر إلى المدينة ، فوالله إنني لفي رأس عذق^(٦) لسيدي أعمل فيه بعض العمل ، وسيدي

(١) أي من قبيلة كلب ، من العرب .

(٢) وهو واد بين خيبر والمدينة ، كثير القرى ، ومن أجلها سُمي بهذا الاسم . معجم البلدان

(٣) أي قالوا : إنني عبد ، فباعوني إلى اليهودي .

(٤) أي رجوت أن يكون هذا البلد هو مهاجر النبي ... ، ولكن لم أستيقن أنه هو .

المرجع السابق .

(٥) أي شغلني الرق عن ذلك .

(٦) العذق : النخلة بحملها . المرجع السابق .

جالس ، إذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه ، فقال : فلان^(١) قاتل الله بني قيلة^(٢) ، والله إنهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم ، يزعمون أنه نبي ، قال : فلما سمعتها أخذتني العرواء^(٣) حتى ظننت أني سأسقط على سيدي ، قال : ونزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ قال : فغضب سيدي ، فلكمني لكمة شديدة ، ثم قال : مالك ولهذا ؟ أقبل على عملك .

قال : قلت : لا شيء ، إنما أردت أن أستثبت عما قال ، وقد كان عندي شيء^(٤) قد جمعته ، فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به إلى رسول الله ... وهو بقباء ، فدخلت عليه فقلت له : إنه قد بلغني أنك رجل صالح ، ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة ، وهذا شيء كان عندي للصدقة ، فرأيتكم أحق به من غيركم ، قال : فقربته إليه ، فقال رسول الله ... لأصحابه : ((كلوا)) وأمسك يده ، فلم يأكل ، قال : فقلت في نفسي : واحدة^(٥) ، ثم انصرفت عنه ، فجمعت شيئاً ، وتحول رسول الله

(١) أي يا فلان .

(٢) بنو قيلة : الأوس والخزرج ، قبيلتنا الأنصار ، وقيلة : جدة لهم . النهاية 4 / 134 .

(٣) العرواء : الرعدة . النهاية 3 / 226 .

(٤) أي شيء مما يؤكل .

(٥) أي هذه واحدة من صفات النبي ... التي أخبرني بها اليهودي صاحب عمورية .

... إلى المدينة ، ثم جئت به فقلت له : إني رأيتك لا تأكل الصدقة ، وهذه هدية أكرمتك بها ، قال : فأكل رسول الله ... منها ، وأمر أصحابه فأكلوا معه ، قال : فقلت في نفسي : هاتان اثنتان ، ثم جئت رسول الله ... وهو ببيع الغرقد^(١) ، قال : وقد تبع جنازة من أصحابه ، عليه شملتان^(٢) له ، وهو جالس في أصحابه ، فسلمت عليه ، ثم استدرت أنظر إلى ظهره هل أرى الخاتم الذي وصف لي صاحبي ؟ فلما رأي رسول الله ... استدرت عرف أنني أستثبت في شيء وُصف لي^(٣) ، قال : فألقى رداءه عن ظهره ، فنظرت إلى الخاتم فانكبت عليه أقبله وأبكي ، فقال لي رسول الله ... : ((تحول))^(٤) فتحولت ، فقصصت عليه حديثي كما حدثتك يا ابن عباس .

قال : فأعجب رسول الله ... أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله ... بدرأ وأُحدأ^(٥) ، قال : ثم قال لي رسول الله ... : كاتب

(١) وهي مقبرة المدينة .

(٢) الشملة : كساء يشتمل به الإنسان ، أي يتلفف به . بلوغ الأمانى 265 / 22 .

(٣) أي أتأكد من وجوده ، ومن صفته .

(٤) أي انتقل إلى أن تكون أمامي ، لأكلمك .

(٥) أي أن سلمان - رضي الله عنه - بعد إسلامه رجع للعمل عند سيده اليهودي ، فشغله الرق

عن الجهاد ، لأن الرقيق يشتغل بخدمة سيده وعمله .

يا سليمان^(١) ، فكاتبته صاحبي على ثلاثمائة نخلة أحبيها له بالفقير ، وبأربعين أوقية^(٢) ، فقال رسول الله ... لأصحابه : ((أعينوا أحاكم)) ، فأعانوني بالنخل ، الرجل بثلاثين ودية ، والرجل بعشرين ، والرجل بخمس عشرة ، والرجل بعشر ، يعين الرجل بقدر ما عنده ، حتى اجتمعت لي ثلاثمائة ودية ، فقال رسول الله ... : ((اذهب يا سلمان فَفَقَّرْ^(٣) لها ، فإذا فرغت فائتني أكون أنا أضعها بيدي ، ففقرت لها وأعانني أصحابي ، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته ، فخرج رسول الله ... معي إليها ، فجعلنا نقرب له الوادي ويضعه رسول الله ... بيده ، فوالذي نفس سلمان بيده ما ماتت منها ودية واحدة^(٤) ، فأدبت النخل وبقي عليّ المال ، فأُتي رسول الله ... بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي ، فقال : ((ما فعل الفارسي

(١) أي اشتر نفسك من سديك اليهودي .

(٢) المعنى أنه اشترى نفسه بأن يحضر لسيدته ثلاثمائة فسيلة نخل وتسمى ((ودية)) ، ويفقر لها ، أي يحفر لكل فسيلة حفرة ، ويركزها فيها ، ويسقيها حتى تحيا ، ويعطيه زيادة على ذلك أربعين أوقية ، والأوقية : أربعون درهماً ، والدرهم 118 جرام ، فيكون مجموع الأواق : 4752 جرام ، أي أكثر من 4 كيلو جرام ونصف ذهباً . ينظر المصباح 669 / 2 ، والمقادير الشرعية للكردني ص 117 .

(٣) أي احفر لكل فسيل - وهو صغار النخل - حفرة تغرس فيه . ينظر النهاية 463 / 3 .

(٤) وهذا من بركته

المكاتب ؟)) ، قال : فدُعيت له ، فقال : ((خذ هذه فأدبها ما عليك يا سلمان)) ،
 فقلت : وأين تقع هذه يا رسول الله مما عليّ ؟ ^(١) قال : ((خذها فإن الله عز وجل
 سيؤدّي بها عنك)) ، قال : فأخذتها فوزنت لهم منها ، والذي نفس سلمان بيده
 أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم ، وعُتقت فشهدت مع رسول الله ... الخندق ، ثم لم
 يفتني معه مشهد ^(٢) .

(١) أراد - رضي الله عنه - أن هذه البيضة من الذهب قليلة بالنسبة إلى الأربعين أوقية التي طلبها
 اليهودي في دين الكتابة .

(٢) رواه ابن إسحاق في السيرة : إسلام سلمان ص 66 - 70 ، ومن طريقه الإمام أحمد 5 / 438
 - 444 ، وابن سعد 4 / 75 - 80 ، والطبراني في الكبير 6 / 222 - 226 ، رقم
 (6065) ، والخطيب في تاريخه 1 / 164 - 169 ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، الفصل
 التاسع عشر ص 213 - 219 ، والبيهقي في دلائل النبوة ، باب ما جاء في أخبار الأخبار
 والرهبان 2 / 92 - 98 ، والذهبي في سير أعلام النبلاء 1 / 506 - 511 عن عاصم بن
 عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد عن ابن عباس به . وإسناده حسن ، ابن إسحاق))
 صدوق ، مدلس)) ، وقد صرح بالتحديث ، وشيخه (ثقة) من رجال الشيخين ، ومحمود
 بن لبيد صحابي صغير .

وقال البيهقي 9 / 336 : ((رجال رجال الصحيح ، غير ابن إسحاق ، وقد صرح بالسباع
 .))

وقد وردت روايات أخرى لهذا الحديث تنظر في أكثر المراجع السابقة ، وفي الدراية لابن

الفوائد والعبر :

- ١ في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... حيث أخبر بصفته بقايا الموحدين من علماء أهل الكتاب ، وأخبروا بمكان هجرته ، فكانت كما أخبروا .
- ٢ أن الهداية بيد الله تعالى يهبها لمن يشاء من عباده لمن يعلم أنه أهل لها فيهيئ له أسبابها ، ويوفقه للسبيل المؤدي إليها ولو كان في بلاد بعيدة ، ولا يهيئها لمن لا يستحقها ، ولو كان أقرب الناس إلى أنبيائه ورسوله^(١) .

حجر ، كتاب الكراهية 2 / 240 ، 241 ، رقم (979) .

- (١) قال العلامة ابن القيم في الفوائد 73 - 76 : «نجائب النجاة مهياة للمراد ، وأقدام المطرود موثقة بالقيود ، هبت عواصف الأقدار في بيدااء الأكوان ، فتقلب الوجود ، ونجم الخير ، فلما ركدت الريح إذا أبو طالب غريق في لجة الهلاك ، وسلمان على ساحل السلامة ، والوليد بن المغيرة يقدم قومه في التيه ، وصهيب قد قدم بقافلة الروم ، والنجاشي في أرض الحبشة : لبيك اللهم لبيك ، وبلال ينادي : الصلاة خير من النوم ، وأبو جهل في رقدة المخالفة .
- لما قضي في القدم بسابقة سلمان عرج به دليل التوفيق عن طريق آباءه في التمجس ، فأقبل يناظر أباه في دين الشرك ، فلما علاه بالحجة لم يكن له جواب إلا القيد ، وهذا جواب يتداوله أهل الباطل من يوم عرفوه ...» ثم ذكر بعض ما حصل من أهل الباطل من أذى لبعض أهل الحق ثم ذكر بقية قصة سلمان بأسلوب أدبي جميل مختصر ثم قال : «يا محمد أنت تريد أبا طالب ، ونحن نريد سلمان ، أبو طالب إذا سئل عن اسمه قال : عبد مناف ، وإذا

- ٣ في هذه القصة ما يدل على ظلم اليهود وجحدهم للحق .
- ٤ أنه ينبغي مساعدة المسلم ليعتق من الرق .
- ٥ عظم بركة النبي

* * *

انتسب افتخر بالأبء ، وإذا ذكرت الأموال عد الإبل ، وسلمان إذا سئل عن اسمه قال :
عبدالله ، وعن نسبه قال : ابن الإسلام ، وعن ماله قال : الفقر ، وعن حانوته قال :
المسجد ، وعن كسبه قال : الصبر ، وعن لباسه قال : التقوى والتواضع ، وعن وساده
قال : السهر ، وعن فخره قال : (سلمان منا) ، وعن قصده قال { يريدون وجه الله }
[الأنعام: 52] ، وعن سيره قال : إلى الجنة ، وعن دليله في الطريق قال : إمام الخلق وهادي
الأئمة ...» .

الدرس الخامس والعشرون

خبر إسلام أبي طلحة الأنصاري

44 - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : جاء أبو طلحة يخطب أم

سليم فقالت : إنه لا ينبغي لي أن أتزوج مشركاً أما تعلم يا أبا طلحة أن أهتكم التي تعبدون ينحتها عبد آل فلان النجار ، وأنكم لو شعلتم فيها ناراً لا احترقت ؟ قال : فانصرف عنها وقد وقع في قلبه من ذلك موقعاً ، قال : وجعل لا يجيئها يوماً إلا قالت له ذلك ، قال : فأتاها يوماً ، فقال : الذي عرضت عليّ قد قبلت . قال : فما كان لها مهر إلا إسلام أبي طلحة^(١) .

45 - وعن ثابت ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : خطب أبو

طلحة أمّ سُلَيْمٍ فقالت : والله ما مثلك يا أبا طلحة يُرَدُّ ولكنك رجل كافر وأنا امرأة مسلمة ولا يحل لي أن أتزوجك ، فإن تُسَلِّم فذاك مهري ، وما أسألك غيره ، فأسلم فكان ذلك مهرها . قال ثابت : فما سمعت بامرأة قط كانت أكرم مهرًا من أم سليم : الإسلام . فدخل بها فولدت له^(٢) .

(١) رواه ابن سعد 8 / 426 ، 427 بإسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيحين .

(٢) رواه النسائي في النكاح (3341) بإسناد حسن .

الفوائد والعبر :

- ١ - أن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه ، فلا يجوز للكافر أن يتزوج بمسلمة ، قال الله تعالى : { ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا } [البقرة: 221] ، وقال جل وعلا : { ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا } [النساء: 141] .
- ٢ - سفاهة المشرك ، حيث يعبد ما لا ينفعه ولا يضره ، ويترك عبادة الخالق الرازق الغني سبحانه وتعالى ، ومثل المشرك جميع الكفار ، قال الله تعالى عنهم : { والذين كفروا يمتنعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم } [محمد: 12] ، وقريب منهم الفاسق المكثّر من معصية الله المصّر عليها ، قال الله تعالى : { ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون } [الأعراف: 179] ، وثبت عن النبي ... أنه قال : «ما من يوم تستقبل شمسك الله إلا ويسبح الله فيه كل شيء إلا الشياطين وأغبياء بني آدم» .
- ٣ - أنه ينبغي لكل مسلم ومسلمة استعمال جميع الوسائل الممكنة والمباحة في الدعوة إلى الله تعالى .

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (960) ، وأبو نعيم في الحلية 6 / 111 . وإسناده حسن .
وينظر السلسلة الصحيحة (2224) .

٤ - عظم أجر من أسلم على يديه أحد المشركين ، حيث يرجى أن يكون له من الأجر مثل جميع أعمال هذا الذي أسلم على يديه ، ولهذا وغيره كان مهر أم سليم من أكرم مهر عرف في التاريخ .

* * *

الدرس السادس والعشرون

إسلام اثنين من شجعان المشركين

46 - عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : خرج رسول الله قبل بدر . فلما كان بحرة الوبرة^(١) أدركه رجل قد كان يذكر منه جرأة ونجده^(٢) ، ففرح أصحاب الرسول ... حين رأوه . فلما أدركه قال لرسول الله ... جئت لأتبعك وأصيب معك^(٣) قال له رسول الله ... ((تؤمن بالله ورسوله ؟))قال لا ، قال : ((فارجع فلن أستعين بمشرك)).

قالت : ثم مضى ، حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل . فقال له كما قال أول مرة . فقال له النبي ... كما قال أول مرة . قال : ((فارجع فلن أستعين بمشرك)).

قال : ثم رجع فأدركه بالبيداء^(٤) ، فقال له كما قال أول مرة ((تؤمن بالله ورسوله ؟))قال : نعم . فقال له رسول الله ... ((فانطلق)). رواه مسلم^(٥) .

(١) وهي حرة قريبة من المدينة النبوية .

(٢) أي قوة وشجاعة . ينظر جامع الأصول 8 / 213 .

(٣) أي ليسير معه في جيشه ، ويصيب معه من الغنائم .

(٤) وهي الصحراء .

(٥) صحيح مسلم : الجهاد (1817) .

47 - وعن نافع الباهلي - رحمه الله - قال : قال العلاء بن زياد العدوي لأئس بن مالك - رضي الله عنه - : يا أبا حمزة : سن أي الرجال كان نبي الله ... إذ بعث ؟ قال : ابن أربعين سنة . قال : ثم كان ماذا ؟ قال : ثم كان بمكة عشر سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، فتمت ستون سنة ، ثم قبضه الله إليه ^(١) قال : سن أي الرجال هو يومئذ ؟ قال : كأشب الرجل وأحسنه وأجمله وألحمه .

قال : يا أبا حمزة ، وهل غزوت مع رسول الله ... ؟ قال : نعم ، غزوت معه يوم جنين ، فخرج المشركون بكثرة ، فحملوا علينا حتى رأينا خيلنا وراء ظهورنا ^(٢) ، وفي المشركين رجل يحمل علينا فيدقنا ويحطمنا ^(٣) ، فلما رأى ذلك رسول الله ... نزل ^(٤) ، فهزمهم الله فولوا مدبرين ، فقام رسول الله ... حين رأى الفتح ،

(١) المشهور : أن النبي ... بقي بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة ، فيكون عمره لما توفي ... ثلاثاً وستين سنة .

(٢) أي أن المشركين لما باغتوا المسلمين ورشقوهم بالنبال تقهقرت خيل المسلمين حتى كانت خلف المشاة .

(٣) أي يضرب ويكسر في المسلمين ، وهذا يدل على شجاعته .

(٤) في رواية مسلم (1776) لحديث البراء « فأقبل القوم إلى رسول الله ... ، وأبو سفيان بن الحارث يقوده ببغلته ، فترل ودعا ، واستنصر ، وهو يقول : «أنا النبي لا كذب أنا بن عبدالمطلب اللهم نزل نصرك » قال البراء : كنا والله إذا حمى البأس نتقي به ... ، وإن

فجعل يجاء بهم أسارى رجلاً رجلاً ، فيبايعونه على الإسلام ، فقال رجل من أصحاب النبي ... : إن عليّ نذر لأن جيء بالرجل الذي كان يحطمننا منذ اليوم لأضربن عنقه .

قال : فسكت رسول الله ... ، وجيء بالرجل ، فلما رأى نبي الله ... قال : يا نبي الله تبت إلى الله ، يا نبي الله تبت إلى الله ، قال : فأمسك رسول الله ... فلم يبايعه ، ليوفي الآخر بنذره .

قال : فجعل الآخر ينظر إلى النبي ... ليأمره بقتله ، وجعل يهاب النبي ... أن يقتله ، فلما رأى نبي الله أنه لا يصنع شيئاً بايعه ، فقال يا نبي الله نذري ؟ قال : ((لم أمسك عنه منذ اليوم إلا لتوفي نذرك)) فقال : يا رسول الله ألا أو مضت إلى^(١) ؟ قال : ((إنه ليس لنبي أن يومض))^(٢) .

الفوائد والعبر :

الشجاع منا الذي يحاذي به .

(١) قال في جامع الأصول 8 / 228 : ((الإماض : الإشارة إلى الشيء)).

(٢) رواه الإمام أحمد 3 / 151 . بإسناد حسن . ورواه أبو داود (3194) بزيادة ونقص وسنده

صحيح .

وينظر السلسلة الصحيحة (1723) .

1 - بيان شجاعة النبي

2 - أنه ينبغي للمسلمين في حال القتال وغيره التوكل على الله تعالى ، وألا يعجبوا بكثرتهم ولا قوة عتادهم وسلاحهم فهذا من أسباب الانكسار والهزيمة ، ولهذا لما أعجب المسلمون بكثرتهم في هذه الغزوة - غزوة حنين - انكسروا في أول الأمر ، ولكن لما ثبت النبي ... ومن معه من الصحابة متوكلين على الله نصرهم الله تعالى .

3 - أن المعاصي - ومنها العجب - من أسباب تأخر النصر من الله تعالى للمسلمين ، ومن أسباب حلول الهزائم بهم ، فيجب على المسلمين البعد عن جميع المعاصي التي هي سبب لعقوبات الله تعالى العاجلة والآجلة .

4 - احترام الصحابة للنبي ... وهيتهم له .

5 - أنه يجب على المسلم أن يفي بنذره إن كان يستطيع ذلك ، ويستحب لغيره من المسلمين أن يعين أخاه المسلم على الوفاء بنذره .

6 - أنه ينبغي للمسلم أن يتحلى بأفضل الأخلاق والآداب ، وأن يتعد عن كل عمل أو خلق فيه حط من قدر المسلم أو إخلال بمروءته ولو كان مباحا .

* * *

الدرس السابع والعشرون

إخبار إسلام جبير بن مطعم - رضي الله عنه - .

48 - عن جبير بن مطعم بن عدي - رضي الله عنه - قال : سمعت النبي

... يقرأ في المغرب بالطور ، فلما بلغ هذه الآية : { أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون * أم خلقوا السماوات والأرض بل لا يوقنون * } أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون { [الطور: 35 - 37] كاد قلبي أن يطير ، رواه البخاري ومسلم^(١) وزاد البخاري في رواية أخرى : ((وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي))^(٢) .

49 - وعن جبير أيضا - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ... في أسارى

بدر : ((لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء التننى^(٣) لتركتهم له)) رواه

(١) صحيح البخاري (4854) ، وصحيح مسلم (463) ، وزيادة : (فلما بلغ ... إلخ) ليست عند مسلم ، وإنما أخرجها البخاري عن الحميدي ، عن سفيان ، قال : حدثني عن الزهري ، عن محمد بن جبير ، عن أبيه فذكره . ثم قال : قال سفيان : فأما أنا فإنها سمعت الزهري يحدث عن محمد بن جبير عن أبيه سمعت النبي ... يقرأ في المغرب بالطور ، لم أسمع زادا الذي قالوا لي .

(٢) صحيح البخاري (4023) .

(٣) قال في جامع الأصول 205/8 : (التننى : أراد بهم الأسرى ، لأنهم كفار مشركون ،

البخاري ومسلم^(١) ورواه الطبراني ، وزاد : فأسلم عند ذلك جبير^(٢) .

الفوائد والعبر :

1 - أن من أوجه إعجاز القرآن تأثيره على من استمعه أو قرأه ، فهذا المطعم بن عدي جاء ليفتدي من أسر من أقاربه في وقعة بدر وهو يحمل من الحقد على الإسلام وأهله ما يحمل ، فما هو إلا أن سمع القرآن حتى وقر الإيمان في قلبه ، وهذا وجه واحد من أوجه أعجاز القرآن الكريم الكثيرة ، وقد أوصلها بعضهم إلى أكثر من خمسة وأربعين وجهاً ، وهذا الكتاب العزيز هو أعظم معجزة بنينا محمد ... ، وهو معجزته الخالدة ، فقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله ليّ ، فأرجوا أن أكون أكثرهم تابِعاً يوم القيامة)) رواه البخاري ومسلم^(٣) .

والمشركون نجس ، فاستعار لهم التن مجازاً) .

(١) صحيح البخاري (4024) .

(٢) المعجم الكبير (1507) وفي إسناده ضعف ، وقال الهيثمي في المجمع 377/9 : ((إسناده حسن)).

(٣) صحيح البخاري (4981) ، وصحيح مسلم (152) . قال في جامع الأصول 523/8 : ((ليس شيء من كتب الله المنزلة كان معجزاً إلا القرآن)).

- 2 - أن من الأخلاق الحميدة التي حث عليها الشرع المطهر : مكافأة من أسدى إليك معروفاً ، ولهذا قال النبي ... في شأن المطعم بن عدي - والد جبير - ما قال ، لأنه كانت له يد عند النبي ...^(١) .
- 3 - أن جميع الكفار والمشركين أنجاس نجاسة معنوية ، لكفرهم بالله أو برسله أو بكتبه ، وكذبهم على الله وعلى أنبيائه ، وحرهم لدين الله الحق ، أو لإشراكهم مع الله غيره من مخلوقاته ، كما هو صريح في حديث أسرى بدر ، وكما في قوله تعالى : { إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا } [التوبة: 28] .

* * *

(١) ورد هذا في بعض روايات هذا الحديث عند الطبراني (1506 ، 1508) .

الدرس الثامن والعشرون

قصة إسلام عمير بن وهب - رضي الله عنه - .

50 - عن عروة بن الزبير رضي الله عنها قال : جلس عمير بن وهب

الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر ، بعد مصاب أهل بدر بيسير ، وكان عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، ومن كان يؤذي رسول الله ... وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهو بمكة ، وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر ، فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : (والله إن في العيش بعدهم خير) .

قال له عمير : صدقت ، أما والله لولا دَيْنُ علي ليس عندي قضاؤه ، وعيال أخشى عليهم الضيعة^(١) بعدي ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإن لي فيهم علة^(٢) ابني أسير في أيديهم .

قال : فاغتنمها صفوان بن أمية فقال :

علي دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالي أواسيهم^(٣) ما بقوا ، لا يسعني

(١) الضيعة : الضياع والتشتت .

(٢) العلة : السبب ، ومراده أن النبي ... وأصحابه لن يستنكروا مجيئه إليهم ، لأن ابنه أسير عندهم ، فسيقتدون أن جاء لعداء ابنه .

(٣) أواسيهم : أقوم على أمرهم وأنفق عليهم .

شيء ويعجز عنهم ، فقال له عمير : فاكتم عليّ شأني وشأنك .

قال : سأفعل :

قال : ثم أمر عمير بسيفه ، فشخذ وسم ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ راحلته على باب المسجد متوشحاً سيفه ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر وهو الذي حرش بيننا ، وحزرننا للقوم يوم بدر .

ثم دخل عمر على رسول الله ... فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه .

قال : ((فأدخله عليّ)) ، قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة^(١) سيفه في عنقه فلبيه بها^(٢) ، وقال لمن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله ... فأجلسوا عنده ، واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فإنه غير مأمون .

ثم دخل به على رسول الله ... ، فلما رآه رسول الله ... وعمر أخذ بحمالة سيفه في عنقه قال : ((أرسله يا عمر ، ادن يا عمير)).

(١) حمالة السيف : ما يربط به السيف على الجسم .

(٢) لبيه بها : أي لفها عليه ، وأمسكه بها .

فدنا ، ثم قال : انعموا صباحاً ، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله ... ((قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة)).

فقال : أما والله يا محمد إن كنت بها لحديث عهد .

قال : ((فما جاء بك يا عمير ؟))قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم

فأحسنوا فيه .

قال : ((فما بال سيف في عنقك ؟))قال : قبحها الله من سيوف ! وهل أغنت

عنا شيئاً ؟

قال : ((اصدقني ، ما الذي جئت له ؟))قال : ما جئت إلا لذلك .

قال : (بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القلب

من قريش ، ثم قلت : لولا دين عليّ وعيال عندي لخرجت حتى أقتل محمداً ،

فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له ، والله حائل بينك

وبين ذلك) .

قال عمير : أشهد أنك رسول الله ، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا

به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا

وصفوان ، فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ، فالحمد لله الذي هداني للإسلام ،

وساقني هذا المساق ، ثم شهد شهادة الحق .

فقال رسول الله ... : (ففهموا أحاكم في دينه ، وعلموه القرآن ، وأطلقوا

أسيره) ففعلوا .

ثم قال : يا رسول الله ، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله - عز وجل - وأنا أحب أن تأذن لي ، فأقدم مكة ، فأدعوهم إلى الله ، وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم . قال : فأذن له رسول الله ... فلحق بمكة . وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير بن وهب ، يقول : أبشروا يوقعة تأتيكم الآن في أيام ، تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف أن لا يكلمه أبداً ، ولا ينفعه بنفع أبداً^(١) .

الفوائد والعبر :

1 - وجوب الحذر من كيد الأعداء من المشركين وغيرهم وأنهم لا يتركون

(١) رواه ابن اسحاق - كما في السيرة لابن هشام 661/1 - 663 قال حدثني محمد جعفر ، عن عروة بن الزبير . وإسناده صحيح مرسل ، ورواه موسى بن عقبة كما في الإصابة 36/3 عن ابن شهاب مرسلًا وإسناده صحيح ، ورواه الطبراني في الكبير 61/17 ، 62 بنحوه مع اختلاف في بعض ألفاظه من طريق أبي عمران الجوفي ، قال : لا أعلمه إلا عن أنس . وإسناده حسن لولا شك أبي عمران . وهذه الروايات يشد بعضها بعضاً ، فالحديث حسن لغيره بمجموع طرقه .

وسيلة لإطفاء نور الله إلا فعلوها .

2 - في الحديث معجزة من معجزات نبينا محمد ... ودليل من دلائل نبوته .

3 - حفظ الله لأوليائه ونصره لهم .

4 - وجوب العناية بالداخلين في الإسلام بتعليمهم القرآن وأحكام الإسلام ،

ليسخ الإيمان في قلوبهم ويعبدوا الله على بصيرة ، فيسلموا - بمشيئة الله - من

الفكر بعد الإسلام ومن تيارات البدع والخرافة التي يدعوا إليها أهل الأهواء

وأحاب الفرق الضالة .

5 - أنه يستحب تأليف قلب من دخل في الإسلام حديثاً ليقوى إيمانه ، ولما في

ذلك من دعوة لغيره إلى الإسلام .

6 - أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على استعمال ألفاظ التحية الإسلامية وأن

يبتعد عن استعمال تحية أهل الكفر ، كما أنه يجرم على المسلم التشبه بالكفار في ما هو

خاص بهم ، ويعظم خطر التشبه بهم إذا قلدهم المسلم في شيء من أمور دينهم

الباطل .

7 - في قول عمر عن عمير ما يدل على حقارة المشرك ، فالإنسان بغير الإسلام

في أحط المنازل ، ومن أكرمه الله بالإسلام وبالتمسك بشرائعه ارتفع إلى أعلى

المنازل ، كما قال تعالى : { ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها * قد أفلح

من زكاها * وقد خاب من دساها } [الشمس: 5 - 10] . فمن أطاع الله فقد زكى

نفسه - أي طهرها ورفعها بالطاعة - ومن عصى الله فقد دس نفسه - أي أضلها وأغواها وجعلها خاملة منحطة رذيلة . وإذا وصل إلى درجة الكفر - سواء أكان كفره أصلياً أم بالردة بترك الصلاة أم بغير ذلك - فقد وصل إلى أحط المنازل بل إلى ما هو أحط من حال البهائم ، كما قال تعالى : { والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم } [محمد: 12] ، وكما في قوله سبحانه { أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً } [الإسراء: 44] .
 وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

* * *

الدرس التاسع والعشرون

قصة إسلام زيد بن سعدة - رضي الله عنه - .

51 - عن عبدالله بن سلام قال : إن الله لما أراد هدى زيد بن سعدة قال زيد بن سعدة : ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في وجه محمد ... حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما منه ^(١) ، يسبق حلمه جهله ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فكنت ألطف له لأن أخالطه ، فأعرف حلمه من جهله . قال زيد بن سعدة : فخرج رسول الله ... يوماً من الحجرات ومعه علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فأثاه رجل على راحلته كالبدوي ، فقال : يا رسول الله ! قرية بني فلان قد أسلموا ، ودخلوا في الإسلام ، وكنتُ حدثتهم إن أسلموا أتاهم الرزق رغداً ، وقد أصابتهم سنة وشدة وقحوظ من الغيث ، فأنا أخشى يا رسول أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً ^(٢) ، فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تعينهم به فعلت ، فنظر إلى رجل إلى جانبه أراه علياً - رضي الله عنه - فقال : يا رسول الله ما بقي منه شيء ^(٣) ،

(١) أي لم أتأكد من وجودهما لديه . ينظر النهاية 2/ 6 ، 7 .

(٢) خشي أن يرددوا عن الإسلام ، ويرجعوا إلى الشرك ، ظناً منهم أن هذا القحط بسبب إسلامهم .

(٣) أي أن النبي ... نظر إلى علي - رضي الله عنه - ليعرف منه هل بقي عنده شيء من المال ،

قال زيد ابن سعة : فدنوت إليه فقلت : يا محمد ! هل لك أن تبيعني تمرأ من حائط بني فلان إلى أجل كذا وكذا؟ فقال : ((لا يا يهودي ، ولكني أبيعك تمرأ معلوماً إلى أجل كذا وكذا ، ولا تُسمي حائط بني فلان))، قلت : نعم ، فبايعني ، فأطلقت همياني^(١) ، فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا ، فأعطاه الرجل ، فقال : ((اغد عليهم فأعنعهم بها)).

فقال زيد بن سعة : فلما كان قبل محل الأجل بيومين أو ثلاث ، أتيته فأخذت بمجامع قميصه وردائه^(٢) ، ونظرت إليه بوجه غليظ ، فقلت له : ألا تقضيني يا محمد حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبدالمطلب لمطل^(٣) ، ولقد كان لي بمخالطتكم علم ، ونظرت إلى عمر وإذا عيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير ، ثم رماني ببصره ، فقال : يا عدو الله ! أتقول لرسول الله ... ما أسمع ، وتصنع به ما أرى !

فكأنه كان هناك فيء للمسلمين ينفق على من احتاج منهم منه - ونحو ذلك - وكان على يد علي - رضي الله عنه .

(١) الهميان : كيس تجعل فيه النقود ، ويشده الإنسان على وسطه . المصباح 2 / 641 .

(٢) أي أن زيد بن سعة أمسك بمجامع قميص ورداء النبي ... وهما عليه .

(٣) المعنى : أنكم معشر بني عبدالمطلب تماطلون في سداد ما عليكم من الديون والحقوق . قال ذلك ليختبر حلم النبي

فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر قوته لضربت بسيفي رأسك^(١) . ورسول الله ... ينظر إلى عمر في سكون وتؤدة ، ثم قال : ((يا عمر أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا ، أن تأمرني بحسن الأداء ، وتأمره بحسن التباعة^(٢) ، اذهب به يا عمر واعطه حقه وزده عشرين صاعاً من تمر مكان ما رُعتهُ)).

قال زيد : فذهب بي عمر - رضي الله عنه - فأعطاني حقي ، وزادني عشرين صاعاً من تمر ، فقلت : ما هذه الزيادة يا عمر؟ فقال : أمرني رسول الله ... أن أزيدك مكان مارعتك ، قلت : وتعرفني يا عمر؟ قال : لا ، من أنت؟ قلت : أنا زيد بن سعنة ، قال : الحبر؟ قلت : الحبر^(٣) ، قال : فما دعاك أن فعلت برسول الله ... ما فعلت ، وقلت له ما قلت؟ قلت : يا عمر! لم تكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في وجه رسول الله ... حين نظرت إليه ، إلا اثنتين لم أخبرهما^(٤) منه : يسبق حلمه جهله ، ولا يزيده الجهل عليه إلا حليماً ، فقد خبرتهما ، فاشهد يا عمر أني قد رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً ، وأشهد أن شطر مالي -

(١) هذا كله من كلام عمر - رضي الله عنه - .

(٢) أي كان الأولى أن تأمرني بحسن القضاء ، وتأمر زيدا بحسن الخلق عند طلب حقه ، والتيسير في ذلك .

(٣) الحبر : العالم .

(٤) قوله : ((لم أخبرهما)) أي لم أتأكد من وجودهما لديه . ينظر النهاية 2/ 6 ، 7 .

وإني أكثرها مالا - صدقة على أمة محمد ، فقال عمر - رضي الله عنه - : أو على بعضهم فإنك لا تسعهم^(١) ، قلت : أو على بعضهم ، فرجع عمر وزيد إلى رسول الله ... ، فقال زيد : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... ، وآمن به وصدقه وبايعه وشهد معه مشاهد كثيرة ، ثم توفي زيد في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر ، رحم الله زيداً^(٢) .

(١) أي أن مالك لن يكفي جميع أمة محمد ... - وهم المسلمون - لكثرتهم .
 (٢) رواه أبو داود كما في دلائل النبوة لإسماعيل بن محمد التيمي (341) ، والطبراني في الكبير (5147) ، ومن طريقه المزني في تهذيب الكمال في ترجمة حمزة بن يوسف ، لوحة (334) ، عن عبد الوهاب بن نجدة الحوطي ، ثنا الوليد بن مسلم ، ثنا محمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام ، عن أبيه ، عن جده ، عن عبد الله بن سلام . ورجاله ثقات ، عدا محمد بن حمزة ، وهو «صدوق» ، وعدا «حمزة بن يوسف» ، وهو «مقبول» ، وقال المزني : «هذا حديث حسن مشهور في دلائل النبوة» ، وقال الهيثمي في المجمع 8 / 240 : «رواته ثقات» .

ورواه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان في البر والإحسان ، باب الصدق (288) ، والطبراني (5147) ، والحاكم في معرفة الصحابة 3 / 604 ، 605 ، وأبو نعيم في دلائل النبوة ، ص 52 ، 53 ، والبيهقي في دلائل النبوة ، باب استبراء زيد ابن سعدة أحوال النبي ... 6 / 278 ، 279 من طرق عن محمد بن المتوكل - وهو ابن أبي السري - عن الوليد به . وابن المتوكل «صدوق ، له أوهام كثيرة» ، وقال الحافظ في الإصابة 1 / 549 : «رجال

الفوائد والعبر :

- 1 - في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد
 - 2 - أن الحلم عند أخطاء الآخرين خلق رفيع ، وهو صفة من صفات النبي
-
- الإسناد موثقون ، وقد صرح الوليد فيه بالتحديث ، ومداره على محمد بن أبي السري ...)) ، وقال الحاكم : ((هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه ، وهو من غرر الحديث)).
- ولهذا الحديث شاهدان مرسلان رواهما يونس بن بكير - كما في السيرة لابن إسحاق - (تحقيق محمد حميد الله 272 ، 273) عن عبدالرحمن بن أمين الكناني ، قال : حدثني محمد بن علي بن الحسين بن علي ، وحدثني الزهري قالاً ... فذكره بنحوه دون ذكر قتله في غزوة تبوك ، ودون ذكر اسم اليهودي الذي أسلم .
- وعبدالرحمن بن أمين ((ضعيف)) كما في اللسان 3 / 442 .
- وروى مرسل الزهري ابن سعد في ذكر صفة رسول الله ... في التوراة والإنجيل 1 / 361 عن يزيد بن هارون ، أخبرنا جرير ، حدثني من سمع الزهري فذكره بنحو مرسله السابق . وإسناده ضعيف ، لعدم ذكر اسم شيخ جرير . وقد ذكره الحافظ في الإصابة شاهداً لرواية عبدالله بن سلام .
- ولهذا الحديث شواهد فيما يتعلق بصفته ... في التوراة ، تنظر عند ابن سعد في الموضوع السابق ، وله أيضاً شاهد عند البيهقي 6 / 280 ، وفيه من لم أعرفه .
- وبالجملة رواية عبدالله بن سلام ضعفها ليس قوياً ، فتتقوى بشواهد المذكورة ، عدا ما يتعلق بوفاته في غزوة تبوك ، وقد أنكر هذه الجملة الذهبي في التلخيص .

. . . .

3 - أن ينبغي لصاحب الحق كالدائن ونحوه أن يحسن التعامل عند طبه حقه ممن عليه الحق ، وأن يكون سمحاً عند الاقتضاء .

4 - أن ينبغي للمدعى ومن عليه حق لغيره أن يصدق في نية الوفاء وأن يحسن عند القضاء .

5 - قوة إيمان هذا الصحابي - زيد بن سعه - عند إسلامه ، ولهذا تبرع بنصف ماله صدقة على المسلمين .

* * *

الدرس الثلاثون

إسلام قبيلة «عبد القيس» و قدوم وفدهم

52 - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال : إن ناساً من عبد القيس قدموا على رسول الله ... ، فقالوا : يا رسول الله إنا حي من ربيعة ، وبيننا وبينك كفار مضر ، ولا نقدر عليك إلا في أشهر الحرم ^(١) ، فمرنا بأمرنا أمر به من وراءنا ، وندخل به الجنة ، إذا نحن أخذنا به . فقال رسول الله ... «أمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع ، اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وصوموا رمضان ، وأعطوا الخمس من الغنائم ^(٢) ، وأنهاكم عن أربع ، عن الدباء ، والحتم ، والمزفت ، والنقير» ^(٣) . قالوا : يا نبي الله ! ما علمك بالنقير ؟ قال «بلى ،

(١) أي لا نستطيع الوصول إليك إلا في الأشهر الحرم ، وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب ، لأن الكفار لا يقاتلون فيها .

(٢) قيل : إن قوله : «وأعطوا الخمس» ، معطوف على قوله «أمركم بأربع» ، أي أمركم بأربع وبأن تعطوا الخمس» ينظر : الفتح 1/ 133 .

(٣) الدباء : واحد دبابة ، وهو القرع . والمراد الإناء الذي يتخذ من القرع ، والحتم هي الجرة التي تصنع من الطين ، والمزفت هو الإناء المطلي بالزفت أو القار ، والنقير هو جذع النخلة ينقر ويتخذ إناء . ينظر : جامع الأصول 5/ 146 ، الفتح 1/ 134 . والمراد بالنهي عن

جذع تنقرونه ، فتقذفون فيه من القطيعاء ﴿١﴾ - أو قال : من التمر - ثم تصبون فيه من الماء ، حتى إذا سكن غليانه شربتموه . حتى إن أحدكم - أو إن أحدهم - ليضرب ابن عمه بالسيف ﴿٢﴾ ، قال وفي القوم رجل أصابته جراحة كذلك . قال وكنت أحبها حياء من رسول الله فقلت : ففيم نشرب يا رسول الله ؟ قال ﴿٣﴾ في أسقية الأدم ، التي يلاث على أفواهما ﴿٤﴾ قالوا : يا رسول الله ! إن أرضنا كثيرة الجردان . ولا تبقى بها أسقية الأدم . فقال نبي الله ... ﴿٥﴾ (وإن أكلتها الجردان . وإن أكلتها الجردان ، وإن أكلتها الجردان) قال : وقال نبي الله ... لأشج عبد القيس ﴿٦﴾ إن فيك لخصلتين يحبهما الله ، الحلم والأناة ﴿٧﴾ رواه مسلم (٤) .

- هذه الأربع النهي عن وضع النبيذ فيها ، والنبيذ هو أن يطرح في الإناء الذي فيه ماء عنب أو تمر أو شعير أو قمح ، ثم يترك فترة من الزمن ، ثم يشرب قبل أن يتخمر .
- (١) قال في جامع الأصول 5/ 149 : «القطيعاء : نبيذ معروف يتخذ من الحنطة» .
- (٢) أي أن هذا النبيذ ترك مدة أطول أو بسبب أن الإناء يسرع النبيذ فيه إلى التخمر أصبح النبيذ الذي فيه مسكراً بسبب تحوله إلى خمر .
- (٣) أي في الأسقية التي من الجلد ، والتي تغلق أفواهما بالوكاء .
- (٤) صحيح مسلم (18) . وله شاهد أخصر منه من حديث ابن عباس عند البخاري (53 ، 4368) ، ومسلم (17) .

الفوائد والعبر :

- ١ - وجوب عبادة الله ، وتحريم الشرك الذي هو أعظم الذنوب ، فقد روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قلت : يا رسول الله أي الذنب أكبر عند الله ؟ قال : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك»^(١) .
 - ٢ - وجوب إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأداء خمس الغنيمة .
 - ٣ - تحريم الانتباز في الأواني التي يسرع تخمر النبيذ فيها .
 - ٤ - أن الخمر أم الخبائث ، ولها أضرار كثيرة على المجتمع وعلى العقل وعلى الجسد ، ومن أضراره على المجتمع ما يحصل من أذى من قبل شارب الخمر إذا سكر من اعتداء على أبدان أو أموال أو أعراض من حوله ، لأنه يفقد عقله ، فيكون كالمجنون ، كما قال الشاعر :
- جانب الخمرة واحذر وقعها
كيف يسعى في جنون من عقل
- ٥ - أنه يجب على المسلم طلب الحلال والبعد عن الحرام ولو أنفق بعض أمواله أو أتعب جسده في سبيل ذلك .
 - ٦ - أن من الأخلاق المحمودة التي يجبها الله تعالى الحلم وعدم العجلة .

(١) صحيح البخاري (6861) ، وصحيح مسلم (86) .



الدرس الحادي والثلاثون

بقية أخبار وفد «عبد القيس»

53 - عن أبي القموص زيد بن علي - رحمه الله - قال : حدثني أحد الوفد الذين وفدوا على رسول الله ... من عبد القيس ، قال : وأهدينا له فيما نهدي نوطاً^(١) أو قربة من تغضوض أو برني^(٢) ، فقال : ((ما هذا ؟)) قلنا : هذه هدية . قال : وأحسبه نظر إلى تمرة منها فأعادها مكانها ، وقال : ((أبلغوها آل محمد))^(٣) ، قال : فسأله القوم عن أشياء ، حتى سألوه عن الشراب^(٤) ، فقال : ((لا تشربوا في دباء ولا حنتم ولا نقير ولا مزفت^(٥) ، اشربوا في الحلال الموكى عليه))^(٦) فقال له قائلنا : يا رسول الله ، وما يدريك ما الدباء والحنتم والنقير والمزفت ؟ قال : ((أنا لا أدري ما

(١)

(٢)

(٣) أي أن النبي ... أمرهم أن يرسلوا هذه الهدية إلى أهله .

(٤) أي سألوه ماذا يشربون من النبيذ - والنبيذ هو أن يطرح التمر أو الشعير أو الزبيب في ماء ويترك فترة من الزمن ، ثم يشرب قبل أن يتخمر .

(٥) هذه الأربع من الأواني .

(٦) أي انتبذوا في آنية الجلود التي تغلق أفواهاها بالوكاء .

هيه^(١)؟ أي هجر أعز؟ «قلنا : المشقر^(٢) . قال : «فوالله ، لقد دخلتها وأخذت إقليدها^(٣) ، ووقفت على عين الزارة^(٤)» .

ثم قال : «اللهم اغفر لعبد القيس إذ أسلموا طائعين غير كارهين ، غير خزايا ولا موتورين^(٥) ، إذ بعض قومنا لا يسلمون حتى يخزوا ويوتروا^(٦)» . قال : وابتهل وجهه هاهنا من القبلة ، حتى استقبل القبلة - يدعو لعبد القيس - ثم قال : «إن خير أهل المشرق عبد القيس^(٧)» .

54 - عن هانئ بن يزيد - رضي الله عنه - أنه لما وفد إلى رسول الله ... مع قومه سمعهم يكنونه بأبي الحكم ، فدعاه رسول الله ... فقال «إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكْم ، فلم تُكْنَى أبا الحكم ؟» فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضيَ كلا الفريقين ، فقال رسول الله ... «ما أحسن هذا ، فما لك

(١) هذا استفهام تقريرى ، والمعنى : أننى أعرفها معرفة جيدة .

(٢) المراد : أن النبي ... سأل عن حصون هجر - وهي الأحساء - أيها أفضل . فأجابوه بأن أفضلها حصن «المشقر» .

(٣) الإقليد يطلق على المفتاح .

(٤) الزارة : قرية بالبحرين .

(٥) الموتورون : الذين أصابهم قتل وجراح ونحوهما .

(٦) رواه الإمام أحمد (17829) بإسناد صحيح ، ورواه أبو داود (3695) وغيره مختصراً .

من الولد؟ قال : لي شريح ومسلم وعبدالله ، قال ((فمن أكبرهم))؟ قلت : شريح ، قال : ((أنت أبو شريح)).

الفوائد والعبر :

- ١ - استحباب هدية المسلم لأخيه المسلم ، واستحباب قبولها .
- ٢ - تحريم كل مسكر .
- ٣ - تحريم كل ما يؤدي إلى مفسدة ، وهو ما يعرف في الشرع بـ ((سد الذريعة)) ، فكل وسيلة تؤدي إلى محرم فهي محرمة تحريم الوسائل ، ولهذا منع النبي ... من شرب النبيذ الذي يوضع في الأواني التي يسرع فيها النبيذ إلى التخمر ، لئلا يشربوا ما هو مسكر من حيث لا يعلمون .
- ٤ - أن قبول الإسلام وقبول الحق ممن دعا إليه من أول وهلة دليل على فضل من قبلها وأنه خير ممن كثير ممن تردد في قبولها أول الأمر .
- ٥ - أنه لا ينبغي تسمية أحد أو تكتيته باسم من أسماء الله تعالى ، وبالأخص إذا روعي معنى هذا الاسم عند التسمية .
- ٦ - استحباب تكتية الرجل أو المرأة بأكثر أولاد كل منهما .



الدرس الثاني والثلاثون

قصة إسلام فرات بن حيان العجلي ، وخبر إسلام حرملة الأنصاري بعد نفاقه

55 - عن فرات بن حيان العجلي - رضي الله عنه - أن النبي ... أمر بقتله ، وكان عيناً لأبي سفيان^(١) وحليفاً ، فمرَّ بحلقة من الأنصار ، فقال : إني مسلم . فقال رجل من الأنصار : يا رسول الله ، إنه يقول : إنه مسلم ، فقال ((إن منكم رجالاً نكلهم إلى إيمانهم^(٢) ، منهم فرات بن حيان^(٣)) .

56 - وعن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : كنت عند النبي ... إذ جاءه حرملة ابن زيد ، فجلس بين يدي رسول الله ... ، فقال : يا رسول الله الإيـان هاهنا وأشار بيده إلى لسانه ، والنفاق هاهنا وأشار بيده إلى صدره ، ولا يذكر الله إلا قليلا ، فسكت عنه النبي ... ، فردد ذلك عليه ، وسكت حرملة ، فأخذ النبي ... بطرف لسان حرملة ، فقال : ((اللهم اجعل له لساناً صادقاً وقلباً شاكراً ، وارزقه

(١) أي جاسوساً لأبي سفيان في حروبه . تنظر ترجمته في الإصابة 3 / 196 .

(٢) أي نصدقهم في قولهم ((نحن مؤمنون)).

(٣) رواه الإمام أحمد (18965) ، وأبو داود (2652) وغيرهما . وسنده صحيح .

حبي وحب من يحبني ، وصير أمره إلى خير)) فقال حرملة : يا رسول الله إن لي إخواناً منافقين كنت فيهم رأساً ، أفلا أدلك عليهم ؟ فقال النبي ... : ((لا ، من جاءنا كما جئتنا استغفرنا له كما استغفرنا لك ، ومن أصر على ذنبه فالله أولى به ، ولا تحرق على أحد سرّاً)) .

الفوائد والعبر :

١ أن من أظهر الإسلام وجب قبول علانيته ، وتوكل سريرته إلى من يعلم السرائر جل وعلا .

٢ أن المنافق من أسفه الناس وأقلهم عقلاً ، كما قال تعالى : { وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء إلا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون } [البقرة: 13] ، كما أنه يتصف بالجبن والهلع ، ولذلك أظهر الإيمان وأبطن

(١) رواه الطبراني في الكبير (3475) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (2248) ورجاله حديثهم لا ينزل عن درجة الحسن ، عدا ((أبو ذبحة)) فلم أصف على ترجمته ، وقال الهيثمي 9/ 410 : ((رجاله رجال الصحيح)) ، وقال الحافظ في الإصابة 1/ 319 : ((إسناده لا بأس به)) . وله شاهد من حديث أم الدرداء عند القضاعي في مسند الشهاب (934) ، وشاهد آخر من حديث أبي الدرداء عند الطبراني ، قال في المجمع 9/ 902 : ((فيه راو لم يسم ، وبقية رجاله ثقات)) .

الكفر ، فهو يخاف من القتل وأن تسلب أمواله لكفره فيظهر الإسلام ، وليس عنده شجاعة فيقاتل مع الكفار ، فيلجأ إلى النفاق ، قال تعالى عنهم : { ولكنهم قوم يفرقون * لو يجدون ملجئاً أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يمحون { [براءة: 56، 57] ، والفرق : الخوف .

٣ أن من أسر بمعصيته ، ولم يطلع عليها الناس لا يشرع التجسس عليه ، ولو كانت كفراً أو بدعة ، لكن ينبغي مناصحته مناصحة عامة ، وحسابه على الله تعالى .

* * *

الدرس الثالث والثلاثون

خبر إسلام رجلين استشهدا ولم يصليا لله قط

57 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه كان يقول : حدثوني عن رجل دخل الجنة ولم يصل لله قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه من هو؟ فيقول : أصيرم بني عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وقش . قال الحصين - أحد الرواة - فقلت لمحمود بن لبيد : كيف كان شأن الأصيرم؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله ... إلى أحد ، بداله في الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل في عرض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، قال : فبينما رجال من بني عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم في المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ما جاء به؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الأمر^(١) ، فسأله ما جاء به؟ فقالوا : ما جاء بك يا عمرو؟ أحذب على قومك أم رغبة في الإسلام؟ قال : بل رغبة في الإسلام آمنت بالله ورسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفي ، فعدوت مع رسول الله ... ، ثم قاتلت معه حتى أصابني ما أصابني ، ثم لم يلبث أن مات في

(١) أي أنه منكر للإسلام ولم يسلم .

أيديهم . فذكروه لرسول الله ... ، فقال : ((إنه لمن أهل الجنة))^(١) .

58 - وعن البراء بن عازب - رضي الله عنهما - قال : أتى النبي ... رجل

مقنع بالحديد^(٢) ، فقال : يا رسول الله أقاتل أو أسلم ؟ فقال النبي ... : ((أسلم ثم

قاتل)) ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت عبده ورسوله . ثم تقدم فقاتل حتى

قتل . فقال النبي ... : ((عمل هذا يسيراً وأجر كثيراً)) رواه البخاري ومسلم^(٣) .

الفوائد والعبر :

1 - سعة فضل الله على عباده ، فهو جل وعلا يثيب الثواب الجزيل على العمل

اليسير تفضلاً منه وكرماً .

2 - فضل الإخلاص في الأعمال ، وأنها سبب لنيل الثواب ، ومغفرة الله تعالى

لعبده .

3 - أن الأعمال بالخواتيم ، وقد ثبت عن النبي ... أن الرجل ليعمل عمل

(١) رواه ابن إسحاق - كما في السيرة لابن هشام 90/3 - بإسناد حسن . وقد حسنه الحافظ في

الإصابة 519/2 . ورواه بنحوه أبو داود (2537) ، والحاكم 28/3 بإسناد حسن .

وحسنه الحافظ في الإصابة .

(٢) أي قد غطى جسده بالسلاح من درع وغيره .

(٣) صحيح البخاري (2808) ، وصحيح مسلم (1900) .

أهل الجنة فيما يبدوا للناس وهو من أهل النار ، وأن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدوا للناس وهو من أهل الجنة ، رواه البخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد^(١) ، وروى البخاري ومسلم أيضاً^(٢) عن عبدالله بن مسعود قال : حدثنا رسول الله ... وهو الصادق المصدوق^(٣) : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد ، فوالله الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها)).

قال النووي في شرح هذا الحديث : ((من لطف الله تعالى وسعة رحمته أنقلب الناس من الشر إلى الخير في كثرة ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففي غاية الندرة ونهاية القلة ، وهو نحو قوله تعالى : إن رحمتي سبقت غضبي وغلبت غضبي)).

* * *

(١) صحيح البخاري (2898) ، وصحيح مسلم (112) .

(٢) صحيح البخاري (3208) ، وصحيح مسلم (2643) .

(٣) أي الصادق في قوله ، والذي يصدق له في القول ، والذي يصدق الله تعالى في وعده . ينظر

الفتح 478 / 11 .

(٤) شرح مسلم للنووي 192 / 16 .

الدرس الرابع والثلاثون

خبر إسلام بعض الجن بالمدينة النبوية

59 - عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة أنه قال : دخلت على أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - في بيته ، قال : فوجدته يصلي ، فجلست انتظره حتى قضى صلاته ، فسمعت تحريكاً في عراجين في ناحية البيت ^(١) ، فالتفت فإذا حية ، فقمتم لأقتلها ، فأشار إلي أن اجلس ، فلما انصرف ، أشار إلى بيت في الدار ، وقال : أترى هذا البيت ؟ قال : فقلت : نعم ، قال : إنه كان فيه فتى منا حديث عهد بعرس ، فخرجنا مع رسول الله ... إلى الخندق ، فكان ذلك الفتى يستأذنه بأنصاف النهار ، ويرجع إلى أهله ، قال : فاستأذن النبي ... يوماً فقال له : (خذ سلاحك ، فإني أخشى عليك قريظة) ^(٢) فأخذ سلاحه ثم ذهب ، فإذا هو بامرأته بين البابين ، فهياً لها الرمح ليطعنها به ^(٣) ، وأصابته الغيرة ، فقالت : أكفف عنك رمحك

(١) قال ابن الأثير : (العراجين : جمع عرجون ، وهو ساعد العذق ، والمراد به هنا : الأخشاب التي تسقف بها السقوف) .

(٢) وذلك أن يهود بني قريظة قد نقضوا العهد ، فخاف النبي ... أن يغدروا به .

(٣) قال القرطبي : (أي ماله إليها إرهاباً ومبالغة في الزجر ، وحملة عليه فرط الغيرة ، وما كان بالذي يطعنها) .

حتى ترى ما في بيتك ، فدخل ، فإذا حية عظيمة منطوية على فراشه ، فأهوى إليها ، فانتظمتها فيه ، ثم خرج به ، فركزه في الدار ، فاطربت الحية في رأس الرمح ، وخر الفتى^(١) صريعاً فما يدرى أيهما كان أسرع موتا الفتى أم الحية ، قال : فجئنا رسول الله ... ، فذكرنا ذلك له وقلنا : أدع الله أن يحييه ، فقال : (استغفروا لصاحبكم) ثم قال : (إن بالمدينة جنا قد أسلموا ، فإن رأيتم منها شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام^(٢) ، فإن بدا لكم بعد ذلك ، فاقتلوه ، فإنما هو الشيطان)^(٣) . رواه مسلم^(٤) .

الفوائد والعبر :

- (١) أي أن هذا الفتى الأنصاري طعن الحية بالرمح حتى خرج الرمح من جانب الحية الآخر ، فنشبت الحية في الرمح ، ثم أخذ الرمح وفي رأسه الحية ، فركزه في داخل بيته ، فتحركت الحية وهي في رأس الرمح ، فهاتت ، ومات الفتى أيضا عند موت هذه الحية .
- (٢) أي يحذره ويخرج عليه ، فيقول مثلاً : أنت في حرج إن عدت إلينا فلا تلومينا أن نضيق عليك بالطرده والقتل .
- (٣) قال النووي : (قال العلماء : معناه : وإذا لم يذهب بالإنذار علمتهم أنه ليس من عوامر البيوت ، ولا ممن أسلم من الجن ، بل هو شيطان ، فلا حرمة عليكم ، فأقتلوه ، ولن يجعل الله له سبيلاً للانتصار عليكم بثأره بخلاف العوامر ومن أسلم . والله أعلم .)
- (٤) صحيح مسلم : (2236) .

1 - في خوفه ... على هذا الفتى من يهود بني قريظة ما يدل على ما بلغ أذى اليهود للمسلمين في داخل المدينة ، وذلك أنهم قد نقضوا عهدهم مع النبي ... ، وتهددوا المسلمين حال انشغالهم بحفر الخندق وما بعد ذلك لما وصلت الأحزاب ، وهذا كله يدل على خبث اليهود ونقضهم للعهود وعداوتهم الشديدة للمسلمين وبغضهم لهم ، وأنهم لا يتركون فرصة للقضاء على الإسلام وأهله إلا استغلوها ، فيجب على المسلمين أن يحذروا من كيد اليهود - ومثلهم جميع الكفار - في كل وقت ، سواء كيدهم الحربي أو الثقافي أو غيرهما .

2 - في هذا الحديث ما يدل على غيرة المسلم على عرضه وأهله ، فهذا الفتى لما رأى زوجته عند الباب أخذته الغيرة ، فتهددها وزجرها بتصويب الرمح إليها ، وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه قال : قال سعد بن عباد - رضي الله عنه - : لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف فير مصفح ، به فبلغ ذلك رسول الله ... : فقال : (أتعجبون من غيرة سعد ؟ فوالله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المنذرين والمبشرين ، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة)^(١) ولذلك فإنه

(١) صحيح البخاري (7416) ، وصحيح مسلم (1499) ، وله شاهد من حديث أبي هريرة

يجب على المسلم أن يكون غيوراً على أهله من زوجة وبنات وغيرهن ، فلا يرضى أن تختلط نساؤه بالرجال الأجانب ، ولا يرضى أن تحدث الرجل الأجنبي من غير حاجة ، ولا في حال خلوة بينهما ، ولا أن تصافح الرجل الأجنبي ، ولا أن تخرج أمام الرجال وقد ظهر شيء من بدنهما ، سواء اليد أو غيرها ، أو تلبس ما يسمى (الكاب) الذي يبرز رأس وجسم المرأة ، ومثله العباءة التي تلبس على الكتفين فهذا لا ينبغي أن يرضاه غيور لنسائه ، والله المستعان .

3 - استحباب قتل الحيات التي ليست في البيوت مطلقاً ، لما فيها من الأذى والسم القاتل ، أما التي في البيوت فإن كانت في مدينة النبي ... فإنها لا تقتل حتى تنذر ثلاثة أيام ، فإن لن تختف ونذهب فتقتل ، وذلك لأنه يخشى أن تكون من الجن الذين أسلموا بالمدينة ، فإذا لم تذهب بعد الإنذار ثلاثة أيام علم أنها من الشياطين - وهم الجن الذين لم يسلموا - أو من الحيات اللاتي لم يتشكل الجن في صورهن .

أما الحيات اللاتي في بيوت غير المدينة النبوية ، فقليل : إنها تقتل بدون إنذار ، وقليل : لا بد من إنذارها ثلاثاً .

وقد روي مسلم عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ... يقول : اقتلوا

الحيات ، واقتلوا ذا الطفتين والأبتر ، فإنها يلتمسان البصر ، ويستسقطان الحبالى^(١) . فلبث لا أترك حية أراها إلا قتلها ، فيينا أنا طارد حية يوما من ذوات البيوت مر بي زيد بن الخطاب أو أبو لبابة وأنا أطاردها ، فقال : مهلاً يا عبد الله . فقلت : إن رسول الله ... أمر بقتلهن . قال : إن رسول الله ... نهى عن قتل ذوات البيوت^(٢) .

* * *

(١) الطفتان : خطان أبيضان على ظهر الحية ، والأبتر : قصير الذنب ، أو الذي ليس له ذنب . ومعنى (يستسقطان الحمل) : أن المرأة الحامل إذا نظرت إليهما وخافت أسقطت الحمل غالباً ، وقيل : إنهما إذا لدغا المرأة أسقطت الحمل من أثر سمهما .
(٢) صحيح مسلم (2233) .

وينظر في شرح العبارات السابقة ، وبيان الفوائد المستنبطة : المعلم 3/ 109 ، 110 ، المفهم 5/ 536 - 538 ، إكمال المعلم 7/ 170 - 172 ، شرح النووي 14/ 229 - 236 ، جامع الأصول 10/ 230 - 233 ، شرح الأبى وشرح السنوسي 6/ 49 - 53 .

الدرس الخامس والثلاثون

صلح الحديبية وخبر إسلام المغيرة بن شعبة

60 - عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان ، يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالا : خرج رسول الله ... زمن الحديبية حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي ... : «إن خالد بن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين»^(١) ، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش^(٢) فانطلق يركض نذيراً لقريش ، وسار النبي ... حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته . فقال الناس : حل حل ، فألحت فقالوا : خلأت القصواء^(٣) ، خلأت

(١) الغميم : مكان بين رابغ والجحفة ، والطليعة مقدمة الجيش ، وذلك أن قريشاً لما علمت بخروج رسول الله ... ومن معه يريدون العمرة خرجت في جيش كبير لمنعهم من العمرة ومن دخول مكة ، فأخبر النبي ... بجيش قريش ، وبطليعته بقيادة خالد ، فأمر الصحابة أن يتجهوا ذات اليمين - وهي الجهة التي فيها خالد ومن معه .

(٢) القتره : الغبار الأسود .

(٣) الثنية هي كالعقبة في الجبل ، أو كالطريق فيه . وهذه الثنية قريبة من الموضع الذي فيه جيش قريش . وحل : كلمة تقال للناقة إذا تركت السير لتسير . وألحت : تبادت في عدم القيام . وخلأت : الخلاء للإبل كالحران للخيل .

القصواء ، فقال النبي ... : ((ما خلأت القصواء ، وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل))، ثم قال : ((والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها)). ثم زجرها فوثبت ، قال : فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمذ قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً^(١) ، فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وشكوا إلى رسول الله ... العطش . فانتزع سهماً من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال يمحش لهم بالري حتى صدروا عنه^(٢) ، فبينما هم كذلك إذ جاء بدليل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة وكانوا عيبة نصح رسول الله ...^(٣) من أهل تهامة فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي^(٤) نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل^(٥) وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت . فقال

(١) الثمد : الماء القليل ، والمراد هنا : البئر التي فيها ماء قليل . والتبرض : أخذ الماء قليلاً قليلاً .

(٢) نزحوه : أخذوا جميع ما فيه من الماء . والكنانة : الجعبة التي توضع فيها السهام . ويمحش : يفور . وصدروا عنه : رجعوا رواء بعد وردهم .

(٣) أي موضع النصح له والأمانة على سرّه .

(٤) يريد بني كعب وبني عامر ، وهما فخذان من قريش ، وكان أهل من مكة منهما .

(٥) أعداد : جمع عد ، وهو الماء الذي لا انقطاع له ، والعوذ : جمع عائد ، وهي الناقة ذات اللبن . والمطافيل : الأمهات اللاتي معهن أطفالهن . ومراده أنهم خرجوا بذوات اللبن من

رسول الله ... : «إنا لم نجئ لقتال أحد ، ولكننا جئنا معتمرين ، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم ، فإن شاؤا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس ، فإن أظهر ، فإن شاؤا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلا فقد جموا^(١) وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي^(٢) ، ولينفذن الله أمره^(٣) . فقال بديل : سأبلغهم ما تقول . قال : فانطلق حتى أتى قريشاً ، قال : إنا قد جئناكم من هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً ، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا . فقال سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء . وقال ذوو الرأي منهم : هات ما سمعته يقول ، قال : سمعته يقول كذا وكذا ، فحدثهم بما قال النبي ... فقام عروة بن مسعود فقال : أي قوم ، أستمم بالولد؟ وألست بالوالد؟ قالوا : بلى ، قال :

الإبل للترود بلبنها لعزمهم طول البقاء لصدده ... ، أو أنهم خرجوا بالنساء معهن أطفالهن من أجل طول المقام .

(١) أي إن شاءت قريش صالحتهم مدة من الزمن ، ويخلون بيني وبين سائر الناس ، فإن انتصرت على غيرهم وتبعوني كانوا هم بالخيار ، إن شاؤوا تبعوني كغيرهم ، وإلا كانوا قد استراحوا وتقووا في فترة الصلح .

(٢) السالفة : صفحة العنق . قال ابن الجوزي في كشف المشكل : «إنما عنى الهلاك ، لأن السالفة لا تنفرد عما يليها إلا بالقتل» .

(٣) أي لينصرن دينه .

فهل تتهموني؟ قالوا : لا ، قال : أستم تعلمون أني استنفرت أهل عكاظ فلما بلحوا علي^(١) جئتم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا : بلى ، قال : فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد ، اقبلوها ودعوني آتة ، قالوا : آتته ، فأتاه فجعل يكلم النبي ... ، فقال النبي ... نحواً من قوله لبديل . فقال عروة عند ذلك : أي محمد ، رأيت إن استأصلت أمر قومك ، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك^(٢) ؟ وإن تكن الأخرى^(٣) ، فإنني والله لأرى وجوهاً^(٤) ، وإني لأرى أشواباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك^(٥) . فقال له أبو بكر رضي الله عنه : امصص بظر اللات^(٦) ،

(١) أي امتنعوا من المجيء معي لنصرتكم .

(٢) الاستئصال : الإهلاك . ومثله : الاجتياح . وأراد بقوم النبي ... قريشاً ، لأن النبي ... قرشي منهم .

(٣) أراد انهزام المسلمين وغلبة قريش ، وقتل المسلمين .

(٤) الوجوه : الأعيان . أراد أن قريشاً خرجت بأشرافها وشجعانها . وفي بعض نسخ البخاري المطبوعة : «لأرى» وهو تصحيف .

(٥) قال في كشف المشكل : «الأشواب والأوشاب والأوباش والأشايب : الأخلاط من الناس من قبائل شتى»، وخليقاً : أي حقيقاً . والمعنى : أي لا يبعد منهم أن يفروا .

(٦) البضر : قطعة من اللحم تبقى في فرج المرأة بعد ختانها . واللات : الصنم الذي كان يعبد عروة وقومه ثقيف . وهذه كلمة تقولها العرب عند الشتم .

أنحن نفر عنه وندعه؟ فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، قال: أما والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي^(١) لم أجرك بها لأجبتك. قال: وجعل يكلم النبي... فكلما تكلم كلمة أخذ بلحيته^(٢)، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي... ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية النبي... ضرب يده بنعل السيف، وقال له: آخر يدك عن لحية رسول الله...، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة، فقال: أي غدر، أأست أسعى في غدرتك؟ وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم. فقال النبي...: ((
أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء^(٣)) ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي... بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله... نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده. وإذا أمرهم ابتدروا أمره. وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه^(٤) وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يجدون إليه النظر تعظيماً له. فرجع عروة إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على

(١) أي لولا معروف سابق منك لي. قيل: إن أبا بكر أعانه بعشر من الإبل في دية كانت عليه.

(٢) كان من عادة العرب عند المحادثة أن يلمس أحدهم لحية من مجادته، لاسيما عند الملاطفة وكان من مجادته نظيراً له، وإنما منعه المغيرة لأنه ليس نظيراً للنبي... .

(٣) أي لا أتعرض لمال الكفار، لأنه أخذ غدرًا، وكان المغيرة طلب من النبي... أن يقسمه.

(٤) أي يتسابقون إلى بقية وضوء النبي... .

الملك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي . والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ... محمداً . والله إن يتنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده . وإذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ، وما يحدون النظر إليه تعظيماً له . وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ، فقال رجل من بني كنانة : دعوني آتة ، فقالوا : آتته . فلما أشرف على النبي ... وأصحابه قال رسول الله ... : ((هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له)) ، فبعثت له ، واستقبله الناس يلبون ^(١) . فلما رأى ذلك قال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت . فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ^(٢) فما أرى أن يصدوا عن البيت . فقام رجل منهم ^(٣) يقال له : مكرز بن حفص ، فقال : دعوني آتة ، فقالوا : آتته . فلما أشرف عليهم قال النبي ... : ((هذا مكرز ،

(١) البدن : هي الإبل التي ساقها النبي ... وأصحابه هدياً ليذبحوه في الحرم ، ابعثوها : أي أثيروها لتمشي أمام هذا الرجل الكناني ، وزاد الصحابة التلبية ليشعروه أنهم أتوا حجاجاً لا محاربين .

(٢) التقليد : هو أن يعلق في عنق الهدي شيء ليعلم أنها هدي . والأشعار هو أن يطعن في جانب سنام البعير المهدي الأيمن حتى يسيل منه الدم ، ليعلم أنه هدي .

(٣) أي من قريش ، وهو من بني عامر بن لؤي .

وهو رجل فاجر^(١) ، فجعل يكلم النبي ... فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل بن عمرو ، قال معمر : فأخبرني أيوب ، عن عكرمة : أنه لما جاء سهيل بن عمرو قال النبي ... : ((قد سهل لكم من أمركم)). قال معمر : قال الزهري في حديثه : فجاء سهيل بن عمرو فقال : هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً ، فدعا النبي ... الكاتب فقال النبي ... اكتب : ((بسم الله الرحمن الرحيم)) : فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هي ، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي ... : ((اكتب باسمك اللهم)) . ثم قال : ((هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله)) ، فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك . ولكن اكتب : محمد بن عبدالله ، فقال النبي ... : ((والله إني لرسول الله وإن كذبتوني ، اكتب : محمد بن عبدالله)). قال الزهري : وذلك لقوله : ((لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها)). فقال له النبي ... : ((على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به)). فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة^(٢) ، ولكن ذلك من

(١) في رواية ((غادر)) وكأن هذا أقرب ، فقد حدث منه عدة غدرات فيما سبق . أما الفجور

فمقولته عند مجيء أبي جندل يدل على خلاف ذلك .

(٢) أي قهراً .

العام المقبل ، فكتب . فقال سهيل : وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا قال المسلمون : سبحان الله ، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فيبينها هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف في قيوده ^(١) . وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين ، فقال سهيل : هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه ^(٢) أن ترده إلي . فقال النبي ... : «إنا لم نقض الكتاب بعد» . قال : فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً . قال النبي ... : «فأجزه لي» ^(٣) ، قال : ما أنا بمجيز ذلك لك . قال : «بلى فافعل» . قال : ما أنا بفاعل . قال مكرز : بل قد أجزناه لك . قال أبو جندل : أي معشر المسلمين ، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله ... رواه البخاري ^(٤) .

(١) المعنى : يمشي مشياً بطيئاً بسبب القيد .

(٢) أي أول ما أطلب تنفيذه مما صالحتك عليه .

(٣) المعنى : أمض لي فعلي فيه فلا أرده إليك .

(٤) صحيح البخاري : الشروط (2731، 2732) ، وينظر في شرح ألفاظ هذا الحديث وجمله :

الروض الأنف 4/39 - 58 ، كشف المشكل 4/51 - 63 ، شرح الطيبي 8/67 -

71 ، فتح الباري 5/333 - 345 ، عمدة القاري 14/6 - 13 ، حاشية السندي على

المسند 31/221 - 226 ، 254 - 257 .

الفوائد والعبر :

- ١ في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... لما فار الماء بسبب وضعه ... سهمه في الشمد .
- ٢ -الندب إلى صلة الرحم والنصيحة للأقارب ولهذا عرض ... على قريش ما عرض من أمر الصلح أول الأمر .
- ٣ ثبات النبي ... وقوته في تنفيذ حكم الله وتبليغ أمره^(١) .
- ٤ حشروعية التبرك بآثار النبي ... ، وهذا من خصائصه ، فلا يجوز إلحاق غيره من الصالحين .
- ٥ حرص الصحابة - رضي الله عنه - على تنفيذ أوامر النبي ... وتوقيرهم له .
- ٦ -استحباب الفأل الحسن بالأسماء الحسنة ونحوها .
- ٧ جواز مصالحة المشركين إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين .
- ٨ -يستفاد من قصة المغيرة - كما قال بعض أهل العلم - أنه لا يجزأ أخذ أموال الكفار عند الأمن ، كما في حال المرافقة في السفر ونحو ذلك^(٢) .

(١) الفتح 5/ 339 .

(٢) كشف المشكل 4/ 55 ، الفتح 5/ 341 ، عمدة القاري 14/ 11 .



الدرس السادس والثلاثون

تكملة صلح الحديبية وخبر إسلام أبي بصير ورفقته

61 - عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم في قصة صلح الحديبية قالاً : قال عمر بن الخطاب : فأتيت نبي الله ... فقلت : أأنت نبي الله حقاً؟ قال : «بلى»، قلت : «بلى»، قلت : أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : «بلى»، قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن ^(١)؟ قال : «إني رسول الله ، ولست أعصيه ، وهو ناصري». قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال : «بلى ، فأخبرتكم أنا نأتيه العام؟» قال : قلت : لا ، قال : «فإنك آتية ومطوف به» ^(٢). قال : فأتيت أبا بكر ، فقلت : يا أبا بكر ، أليس هذا نبي الله حقاً ، قال : بلى ، قلت : أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : بلى ، قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال : أيها الرجل ، إنه لرسول الله ... وليس يعصي ربه وهو ناصره ،

(١) أي الحالة الدون ، والتي فيها شيء من الضعف ، يشير إلى ما في هذا الصلح من شروط فيها إجحاف على المسلمين في نظره .

(٢) وذلك أن النبي ... قد أري في المنام أنه يعتمر بالبيت هو وأصحابه ، فأخبرهم بذلك ، ورؤيا الأنبياء حق ، وهذا - كما ذكر أهل التفسير - ما أشار إليه ربنا جل وعلا بقوله : { ولقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق } [الفتح: 27] .

فاستمسك بغيره^(١) فوالله إنه على الحق ، قلت : أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى ، أفأخبرك أنك تأتيه العام ؟ قلت : لا . قال : فإنك آتية ومطوف به . قال الزهري : قال عمر : فعملت لذلك أعمالاً^(٢) . قال : فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ... لأصحابه : ((قوموا فانحروا ثم احلقوا)) ، قال : فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات^(٣) ، فلما لم يقيم منهم أحد دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس فقالت أم سلمة : يا نبي الله ، أتحب ذلك ؟ اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة ، حتى تنحر بدنك ، وتدعو حالقك فيحلقك . فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك . نحر بدنه ، ودعا حالقه فحلقه . فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا . ثم جاءه نسوة مؤمنات ، فأنزل الله تعالى : { يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم

(١) الغرز : هو ما يوضع فوق البعير ، ويستمسك به الراكب فوقه ، والمراد هنا : عدم مخالفته

...

(٢) أي عمل عمر أعمالاًصالحة من صلاة وصيام وصدقة وإعتاق لتقابل هذا الموقف وهذه

المعارضة لحكم النبي ... لعل الله أن يكفره عنه .

(٣) وذلك أن الصحابة كانوا يريدون العمرة في سفرتهم تلك ، فلما تم الصلح على تأجيلها بعد

عام ، أصابهم غم وحزن ، ولم يبادروا إلى الحلق ، قيل : كان ذلك رجاء أن يأتي أمر يبطل

هذا الصلح فيتمون عمرتهم .

المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن { [المتحنة: 10] حتى بلغ : { بعصم الكوافر } فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . فتزوج إحدهما معاوية بن أبي سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية . ثم رجع النبي ... إلى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم ، فأرسلوا في طلبه رجلين ، فقالوا : العهد الذي جعلت لنا . فدفعه إلى الرجلين ، فخرجا به حتى بلغا ذا الخليفة ، فنزلوا يأكلون من تمر لهم ، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً ، فاستله الآخر فقال : أجل والله ، إنه لجيد ، لقد جربت به ثم جربت . فقال أبو بصير : أرني أنظر إليه ، فأمكنه منه ، فضربه حتى برد ، وفر الآخر حتى أتى المدينة ، فدخل المسجد يعدو ، فقال رسول الله ... حين رآه : ((لقد رأى هذا ذعراً)) ، فلما انتهى إلى النبي ... قال : قتل صاحبي وإني لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله قد والله أوفى الله ذمتك ، قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم . قال النبي ... : ((ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد)) . فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم ^(١) ، فخرج حتى أتى سيف البحر ، قال : وينفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير ، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم

(١) ويل أمه : كلمة تعجب . والمُسْعِر : الموقد . وقوله : ((لو كان أعوان)) يشير إلى أنه ... لن يعين أبا بصير ، وإشارة إلى أنه ... على موقفه الأول بتسليمه إلى الكفار إن طلبوا ذلك .

عصابة ، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش إلى النبي ... تناشده الله والرحم لما أرسل : فمن آتاه فهو آمن ، فأرسل النبي ... إليهم فأنزل الله تعالى : { وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم } حتى بلغ { الحمية حمية الجاهلية } [الفتح: 24 - 26]^(١) كانت حميتهم أنهم لم يقرروا أنه نبي الله ولم يقرروا بسم الله الرحمن الرحيم . وحالوا بينهم وبين البيت . رواه البخاري^(٢) .

الفوائد والعبر :

- ١ - عظمة تصديق النبي ... بوعد الله تعالى .
- ٢ - في هذا الحديث ما يدل على أفضلية أبي بكر على سائر الصحابة إيماناً ورأياً وعلماً .
- ٣ - أنه ينبغي للإنسان أن يستسلم لشرع الله ، وأن يعتقد أنه حق كله ، وأن كل ما جاء به النبي ... عن ربه جل وعلا حق لا مرية ولا شك فيه ، وأن فيه تحقيقاً لمصالح العباد العاجلة والآجلة ، وأن جميع ما جاء في النصوص الشرعية كله حق

(١) بطن مكة هو الحديبية ، وهي قرية من مكة .

(٢) صحيح البخاري : الشروط (2731، 2732) .

يجب قبوله ، سواء ما كان في أمر الاعتقاد أو الأحكام أو الآداب أو الأخبار أو غيرها ، وما رأته بعض العقول البشرية مخالفاً للحق فهو لقصور فهمها ومحدودية إدراكها ، ولا يجوز أن يعرض على عقول البشر لإقرارها أو تأويلها فهذا من الاستهانة العظيمة بالنصوص الشرعية ، والله المستعان .

٤ - أن من وقع في مخالفة شرعية استحب له أن يقابلها بأعمال صالحة لعلها أن تكون كفارة لما وقع فيه من التقصير .

٥ - أن من حصره عدو أو غيره عن إتمام عمرته أو حجته شرع له حلق شعره وذبح هديه إن كان معه هدي في المكان الذي أحصر فيه .

٦ - أن الزوجة الصالحة ذات الرأي الحسن خير معين لزوجها عند حاجته إلى من يعينه برأي أو غيره .

٧ - أن الفعل إذا انضم إلى القول كان أبلغ من القول المجرد^(١) .

٨ - قدرة الله تعالى النافذة ، فقد جعل تعالى هذا الصلح فتحاً مبيناً ، فدخل بسببه في الإسلام أضعاف أضعاف المسلمين قبله ، وأنزل فيه { إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً } ، وأيضاً جعل الشرط الذي اعتبره الكفار مكسباً واعتبره جل الصحابة غبناً جعله مصدر أذى للكفار حتى ذهب الكفار في آخر الأمر يطلبون من النبي ...

ويتوسلون إليه أن يقبل ترك هذا الشرط وأن يطلب ممن أسلم من مشركي مكة أن يبقى عنده في المدينة النبوية .

٩ - أن معاهدة إمام المسلمين للمشركين لا تشمل من ليس تحت يده من المسلمين^(١) .

* * *

الدرس السابع والثلاثون

خبر إسلام جماعة من النساء بعد صلح الحديبية

62 - عن عروة بن الزبير : أنه سمع مروان والميسور بن مخرمة رضي الله

عنهما يخبران عن أصحاب رسول الله ... قال : لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل بن عمرو على النبي ... : أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وخليت بيننا وبينه . فكره المؤمنون ذلك وامتعضوا منه ^(١) ، وأبى

سهيل إلا ذلك فكاتبه النبي ... على ذلك فرد يومئذ أبا جندل إلى أبيه سهيل بن عمرو ، ولم يأته أحد من الرجال إلا رده في تلك المدة وإن كان مسلماً . وجاءت المؤمنات مهاجرات وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله ... يومئذ وهي عاتق ^(٢) ، فجاء أهلها يسألون النبي ... أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن { إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن } إلى قوله : { ولا هم يحلون لهن } [المتحنة: 10] .

(١) أي أنفوا ، وشق عليهم ، وتوجعوا منه .

(٢) قال في النهاية (مادة : عتق) : «العاتق : الشابة أول ما تدرك ، وقيل : هي التي لم تبين من والديها ولم تزوج ، وقد أدركت وشبت» .

قال عروة : فأخبرتني عائشة أن رسول الله ... كان يمتحنهن بهذه الآية : { يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن } إلى { غفور رحيم } قال عروة : قالت عائشة : فمن أقر بهذا الشرط^(١) منهن قال لها رسول الله ... : ((قد بايعتك)) ، كلاماً يكلمها به ، والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ، وما بايعهن إلا بقوله^(٢) . رواه البخاري^(٣) .

الفوائد والعبر :

١ أن من كره شيئاً مما حكم به النبي ... أو مما جاء به عن اجتهاد لا يكفر ، فهؤلاء الصحابة الذين رضي الله عنهم أصحاب بيعة الرضوان كرهوا هذا الحكم مع أن النبي ... كما في الرواية الأخرى لما كلمه عمر : ((إني رسول الله ولست

(١) وهو أنها لم تأت ولم تخرج من بلدها بغضاً لزوج ، ولا رغبة عن أرض إلى أرض ، ولا لالتماس دنيا ، وأنها لم تخرج إلا حباً لله ولرسوله ينظر تفسير ابن جرير وتفسير ابن كثير للآية السابقة .

(٢) أي يبايعهن بالقول لا بالمصافحة ، فيقول لها : ((قد بايعتك)).

(٣) صحيح البخاري (2711 - 2713) . ورواه مسلم (1866) أخصر منه من حديث

عائشة .

أعصيه ، وهو ناصري ((رواه البخاري^(١)) ، وإنما يكفر من كره دين الله ، كما هي حال الكفار والمنافقين ، كما قال تعالى : { ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم } [محمد: 9]^(٢) .

٢ أنه يحرم على الرجل أن تمس يده أو أي شيء من جسده يد أو أي شيء من جسد امرأة أجنبية عنه ليست من محارمه ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((لأن يطعن أحدكم بمخيطة من حديد خير له من أن يمسه امرأة لا تحل له))^(٣) .

* * *

(١) صحيح البخاري (2731 ، 2732) .

(٢) ينظر رسالة «تسهيل العقيدة الإسلامية» الباب الثاني (كفر البغض) لكاتب هذه الأسطر .

(٣) رواه الطبراني 20/211 ، 212 ، والرويانى فى مسنده كما فى السلسلة الصحيحة (226)

الدرس الثامن والثلاثون

أخبار إسلام خزاعة

63 - عن زكريا بن أبي زائدة ، قال : كنت مع أبي إسحاق فيما بين مكة والمدينة ، فسايرنا رجل من خزاعة ، فقال له أبو إسحاق : كيف قال رسول الله ... : ((لقد رعدت هذه السحابة بنصر بني كعب ؟)) فقال له الخزاعي : ((لقد وصلت بنصر بني كعب)) ثم أخرج إلينا رسالة رسول الله ... إلى خزاعة ، وكتبها يومئذ ، وكان فيها : ((بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى بديل ويسر وسروات بني عمرو^(١) . فأني أحمد اليكم الله الذي لا إله إلا هو . اما بعد ذلكم ، فاني لم أثر بالكم^(٢) ، ولم أضع نصحتكم . وإنكم من اكرم أهل تهامة عليّ ، واقربه رحما ، انتم ومن تبعكم من المطيين ، وإني قد أخذت لمن هاجر منكم مثل ما أخذت لنفسي ولمن كان بأرضه غير ساكن مكة إلا حاجا أو معتمرا^(٣) وإني إن سألت فإنكم

(١) السروات : الأشراف .

(٢) الإلُّ : قيل هو القرابة ، وقيل : غير ذلك . ينظر تفسير الآية (8) من التوبة في تفسيري ابن جرير وابن كثير . وكانت أم بني عبد مناف من خزاعة . ينظر الروض الأنف 4 / 146 .

(٣) أي من أسلم في مكانه قبل فتح مكة لا هجرة عليه وله ماللمها جريرين من الحقوق ، إلا من أسلم بمكة فتجب عليه الهجرة ، لأنها في هذا الوقت بلد كفر يحارب أهلها الإسلام ، فمن

غير خائفين من قبلي ولا مخوفين . أما بعد فقد أسلم علقمة ابن علاثة ، وابنا هوذة ، وهاجرا وبايعا على من اتبعهما وأخذا لمن اتبعهما مثل ما أخذنا لأنفسهما . وان بعضنا من بعض في الحل والحرم . وأني ما كذبتكم ، وليحييكم ربكم» .

64 - وعن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم - رضي الله عنهم - قالوا : ((

كان في صلح رسول الله يوم الحديبية بينه وبين قريش أنه من شاء يدخل في عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل)) فتواثبت خزاعة ، فقالوا : نحن ندخل في عقد محمد ... وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن ندخل في عقد قريش وعهدهم ، فمكثوا في تلك الهدنة نحو السبعة والثمانية عشر شهراً . ثم إن بني بكر الذين كانوا دخلوا في عقد قريش وعهدهم وثبوا على خزاعة الذين دخلوا في عقد رسول الله وعهده ليلاً بماء لهم يقال له : الوتير قريب من مكة^(١) ، فقالت قريش : ما يعلم بنا محمد ، وهذا الليل وما يرانا

أسلم بها ولم يهاجر فليس له ماللمها جريرين من الحقوق .

(١) رواه ابن أبي شيبة في المغازي (371) ، وابن سعد 1 / 272 ، وابن أبي عاصم كما في الإصابة في ترجمة بديل ، وأبو عبيد في الأموال (515 ، 516) ، ومن طريق ابن زنجويه (747 ، 748) ، والطبراني في الكبير (1187 ، 1188) من طرق كثيرة في كل منها ضعف ، فالحديث حسن لغيره بمجموع هذه الطرق .

(٢) قال في معجم البلدان البلدان (مادة : زتر) : ((الوتير : اسم ماء بأسفل مكة لخزاعة ...

أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع^(١) والسلاح ، فقاتلوهم معه للضعن على رسول الله ...^(٢) ، فركب عمرو بن سالم إلى رسول الله ... عندما كان من أمر خزاعة وبني بكر بالوتير حتى قدم المدينة على رسول الله ... يخبره الخبر ، وقد قال أبيات الشعر ، فلما قدم على رسول الله ... أنشده إياها :

الهم إني ناشدا محمداً	حلف أبينا وأبيه الأتلا ^(٣)
كنت لنا أباً وكنا ولداً	ثم أسلمنا فلم ننزع يداً ^(٤)
فانصر رسول الله نصراً أعتدا ^(٥)	وادع عباد الله يأتوا مدداً ^(٦)
فيهم رسول الله قد تجرداً	أن سيم خسفاً وجهه تربداً ^(٧)
في فيلق ^(٨) كالبحر يجري مزبداً	إن قريشاً أخلفوك الموعدا

وقالوا في تفسيره : الوتير : ما بين عرفة إلى إدام .

- (١) الكراع : الخيل .
- (٢) أي لحقد قريش على النبي ... أعانوا بني بكر على خزاعة ، لأن خزاعة خلفاء للنبي
- (٣) الأتلا : القديم .
- (٤) أي لم ننقض عهدنا فترجع عن الإسلام .
- (٥) أي حاضرأ .
- (٦) المدد : العون .
- (٧) سيم خسفاً : طلب منه وكلفه ، والخسف : الذل . وتربداً : تغير بسبب الغضب .
- (٨) الفيلق : الجيش .

وزعموا أن لست أرجو أحداً^(١)

ونقضوا ميثاقك المؤكدا

قد جعلوا لي بكداء مرصداً^(٢)

فهم أذل وأقل عدداً

وقتلونا ركعاً سجداً

هم بيتونا بالوتير هجداً^(٣)

فقال رسول الله ... : «نصرت يا عمرو بن سالم»، فما برح رسول الله ... حتى

مرت عنانة في السماء ، فقال رسول الله ... : «(إن هذه السحابة لتستهل^(٤) بنصر بني

كعب»، وأمر رسول الله ... الناس بالجهاز ، وكتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يُعَمِّي

على قريش خبره حتى يبغتهم في بلادهم^(٥) .

الفوائد والعبر :

(١) الظاهر أن مراده : ان قريشاً زعمت أن لا أحد ينصر خزاعة ، فخزاعة لا تؤمل من أحد أن ينصرها .

(٢) كداء : موضع بمكة . والرصد : الذي يترصد للأمر ويطلبه ، والكمين .

(٣) هجد : جمع هاجد ويطلق على النائم .

(٤) استهلال السحاب بالمطر : شدة انصبابه . ولعل المعنى : أن نظرهم من إمطار هذه السحابة .

(٥) رواه ابن إسحاق في المغازي كما في الإصابة 2 / 529 ، ومن طريقه البيهقي في الدلائل 5 / 5

— 7 بإسناد حسن ، وله شواهد كثيرة مرسله وملتصلة تنظر في المغازي لابن أبي شيبة

ص 319 — 322 ، والدلائل 5 / 9 — 13 ، والمجمع 6 / 161 ، 162 .

- 1 - أن للمسلم على المسلم حق النصح له ، وإن كانت له قرابة نسب زاد حقه في ذلك .
- 2 - وجوب الهجرة على من كان في أرض لا يستطيع فيها إظهار شعائر دينه ، أو يخشى عليه الفتنة في دينه .
- 3 - جواز بقاء من أسلم في بلده ولو كان بلد كفر إذا كان لا يخشى على نفسه ولا على دينه ويستطيع إظهار شعائر دينه .
- 4 - أن المسلمين اخوة بعضهم من بعض ، وإن اختلفت بلدانهم أو تباعدت أزمانهم ، أو اختلفت أنسابهم .
- 5 - جواز عقد الصلح مع الكفار عند حاجة المسلمين إلى ذلك .
- 6 - أن من نقض العهد بما يخالف مقتضى العقد فقد انتقض عهده ، فيجوز قتله ومباغته بالحرب .
- 7 - أنه ينبغي للمسلمين أن يعدوا العدة لحرب أعدائهم ، وذلك بفعل أسباب النصر من تجهيز الجيوش ووضع الخطط ومباغته الأعداء ونحو ذلك مع التوكل على الله وسؤاله النصر .

الدرس التاسع والثلاثون

اسلام الغلام اليهودي وأبي رافع القبطي

65 - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان غلام يهودي يخدم النبي ... ، فمرض ، فأثاه النبي ... يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له : «أسلم» ، فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم ... ، فأسلم ، فخرج النبي ... وهو يقول : «الحمد لله الذي أنقذه من النار» رواه البخاري^(١) .

66 - وعن أبي رافع القبطي - رضي الله عنه - قال : بَعَثَنِي قريش إلى رسول الله ... ، فلما رأيت رسول الله ... ألقى في قلبي الإسلام ، فقلت : يا رسول الله ، إني والله لا ارجع إليهم أبداً ، فقال رسول الله ... «إني لا أخيسُ بالعهد^(٢) ، ولا أحبس البرد^(٣) ، ولكن ارجع فإن كان في نفسك الذي في نفسك الآن فارجع» قال : فذهبت ، ثم أتيت النبي ... فأسلمت^(٤) .

(١) صحيح البخاري : الجنائز (1356) .

(٢) أي لا أنقص العهد ، ينظر جامع الأصول 2/ 652 .

(٣) البرد : جمع بريد . وهو الرسول أو السفير الوارد عليك من جهة . والمراد : لا أحبسهم عن أصحابهم ، ولا أمعنهم من العودة إليهم . ينظر المرجع السابق .

(٤) رواه أبو داود في الجهاد باب في الإمام يُستَجَنُّ به في العهود (2758) بإسناد صحيح .

الفوائد والعبر :

- 1 - وجوب دعوة غير المسلمين ولو كانوا صغاراً أو كان أحدهم في مرض الموت ، لعل الله تعالى أن ينقذهم بهذه الدعوة من النار .
- 2 - أن البقاء على الكفر سبب لدخول النار ، وأن دخول الإسلام ولو كان في مرض الموت إذا لم تبلغ الروح الحلقوم سبب للنجاة منها .
- 3 - أن القدوة الحسنة والتطبيق العملي لتعاليم الإسلام وأخلاقه من أعظم الدعوة إلى الله تعالى ، فهذا أبو رافع أسلم بمجرد رؤيته للنبي ... ، ولا شك أنه وجد منه حسن الخلق وحسن التعامل مما كان سبباً في محبته للإسلام وأهله ، ورغبته في الدخول فيه ، وفي المقابل فإن سوء الخلق وعدم تطبيق أحكام الإسلام وأخلاقه من أعظم الصد عن الإسلام ، فإن الكفار إذا رأوا من ينتسب إلى الإسلام ولا يطبق أحكامه ولا أخلاقه ، ويتصف بسوء الخلق ، ويقع في الفواحش ورذائل الأمور ربما يصدّهم ذلك عن الدخول في الإسلام ، فيبوء هذا المسلم العاصي بإثمته وإثم من صدّه عن الإسلام .
- 4 - أن الوفاء بالوعد وعدم نقضه واجب على المسلم ، سواء كان هذا العهد مع مسلم أو مع كافر .
- 5 - أنه يجب إحسان معاملة السفراء والرسول ولو كانوا كفاراً .

الدرس الأربعون

قصة إسلام أسيد بن سعية ، وثعلبة بن سعية ، وأسد بن عبيد

67 - عن عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال : هل تدري

عما كان إسلام أسيد وثعلبة ابني سعية ، وأسد بن عبيد ، نفر من هذل ، لم يكونوا من بني قريظة ولا النضير ، كانوا فوق ذلك ^(١) فقلت : لا ، قال : فإنه قدم علينا رجل من الشام من يهود يقال له ابن الهبيان ، فأقام عندنا ، والله ما رأينا رجلاً قط لا يصلي الخمس خيراً منه ^(٢) ، فقدم علينا قبل مبعث رسول الله ... بسنين ، فكنا إذا قحطنا وقل علينا المطر نقول : يا ابن الهبيان اخرج فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا أمام مخرجكم صدقة ، فنقول : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مدين من شعير ، فنخرجه ، ثم نخرج إلى ظاهر حرتنا ، ونحن معه ، فيستسقي ، فوالله ما يقوم من مجلسه حتى تمر الشعاب ^(٣) ، قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ، ولا ثلاثة ، فحضرته الوفاة فاجتمعنا إليه فقال : يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض

(١) هؤلاء الثلاثة كلهم من بني هذل - كما في هذه الرواية - وهم من أبناء عمومة بني قريظة .

ينظر السيرة لابن هشام 3/ 238 ، الأنساب 5/ 629 .

(٢) أي ليس من المسلمين ، يقول : لم نر شخصاً غير مسلم خيراً منه .

(٣) أي أنهم يمطرون ، وتسيل الشعاب .

الخمير والخمير إلى أرض البؤس والجوع^(١)؟ قالوا : أنت أعلم ، قال : فإنما أخرجني أتوقع خروج نبي قد أظل زمانه ، هذه البلاد مهاجرة ، فأتبعه ، فلا تسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود ، فإنه يبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري والنساء ممن خالفه ، فلا يمنعكم ذلك منه ، ثم مات ، فلما كانت الليلة التي فتحت فيها قريظة ، قال أولئك الفتية الثلاثة ، وكانوا شباباً أحياناً : يا معشر يهود ، والله إنه الذي كان ذكر ابن الهيمان ، فقالوا : ما هو به ، قالوا : بلى والله إنه لصفته ، ثم نزلوا فأسلموا وخلصوا أموالهم وأولادهم^(٢) وأهاليهم^(٣) .

- (١) أي ما الذي أخرجني من الشام التي هي أرض الخمر - وهو الشجر الملتف - إلى الصحراء القاحلة ، وهي جزيرة العرب ، ومنها المدينة النبوية . وينظر لسان العرب 4 / 257 .
- (٢) أي أخلصوا أموالهم وأولادهم وزوجاتهم ، وذلك أن من أسلم من بني قريظة ترك له النبي ... ماله وأولاده وأهله .
- (٣) رواه ابن إسحاق في السيرة : قصة الأخبار ، ص 85 عن عاصم بن عمر به . وعاصم تابعي ثقة ، والشيخ القرظي الظاهر أنه أدرك ابن الهيمان ، بدليل قوله : (قدم علينا) ، وقوله : (فأقام عندنا) ، ونحو ذلك . وجميع بني قريظة قتلوا لما حكم فيهم سعد بن معاذ ، ولم ينج من رجالهم إلا من أسلم منهم ، وعليه فهو صحابي ، فيكون الإسناد حسناً ، وله ثلاثة شواهد ، في كل منها ضعيف ، يتقوى بها ، وهي عند الطبراني (1388) والبيهقي في الدلائل 3 / 307 ، 410 ، وينظر المجمع 6 / 327 .

الفوائد والعبر :

اشتملت قصة إسلام هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم على فوائد وعبر كثيرة ،

أهمها :

1 - أن طاعة الله سبحانه وتعالى سبب لرحمته ، فقد ذكر في هذه القصة ما يدل

على أن الصدقة سبب لنزول الغيث ، فطاعة الله سبحانه وتعالى وتقواه سبب لكل خير وفلاح في الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : { ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه

من حيث لا يحتسب } [الطلاق: 2] وقال سبحانه : { ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض } [الأعراف: 96] ، وقال نوح عليه السلام

لقومه : { فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا

ويمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً } [نوح: 11] .

في المقابل فإن معصية الله سبب لكل شقاء في الدنيا والآخرة ، قال الله تعالى : {

وما أصابكم من مصيبة فيما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير } [الشورى: 30] ، فكل

ما يصيب الإنسان من المصائب فهو بسبب ذنب فعله ، كما قال تعالى : { وما

أصابك من سيئة فمن نفسك } [النساء: 79] . ولذلك فإنه ينبغي للمسلم أن يحرص

على المواظبة على طاعة الله وعلى العبد عن معصيته ، ليفوز بسعادة الدنيا

والآخرة .

2 - في هذه القصة ذكر لشهادة بعض اليهود بنوة النبي ... ، وهذا من دلائل

نبوته عليه الصلاة والسلام حيث بشر به أنبياء بني إسرائيل (اليهود) وأخبروا بصفاته ويزمن بعثته وبمكان هجرته ... ونقل ذلك عنهم علماء اليهود ، وكانوا قبل بعثته ... ييسير يخبرون بقرب مبعثه كما في هذه القصة وغيرها ، وكانوا يستفتحون على المشركين من عباد الأصنام فيقولون : إنه قد قرب مبعث نبي وستبعه وسنتصر عليكم .

وكانوا يظنون أن هذا النبي منهم ، فلما بعث ... وكان من العرب حملهم الحسد واحتقار العرب على أن كذبوه وجحدوا نبوته وعادوه وحاربوه مع علمهم بأنه نبي حقاً ، وهذا ما أخبر الله تعالى عنهم به في كتابه ، قال الله تعالى : { ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين } [البقرة: 89] .

وهذا كله يدل على خبث اليهود ، فهم معهم علم ولكن لم يعملوا به ، ولم يؤمنوا بالنبي ... بغيا وحسداً ، ولهذا فهم مغضوب عليهم ، أما النصارى فهم ضالون ، لأنه ليس عندهم علم ، ولذلك فإن المسلم يدعو الله في صلاته في كل يوم سبع عشرة مرة على الأقل عند قراءته للفتحة أن يجنبه طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين .

الدرس الحادي والأربعون

أخبار إسلام جماعة من دوس

68 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي ... ، فقال : إن دوساً قد هلكت ، عصت ، وأبت ، فادع الله عليهم . فقال النبي ... : «اللهم اهد دوساً وأت بهم» رواه البخاري^(١) .

69 - وعن عراك بن مالك الغفاري أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه ، والنبي ... بخير ، وقد استخلف سباع بن عرفطة على المدينة ، قال : فانتهيت إليه وه ويقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى { كهيعص } ، وفي الثانية { ويل للمطففين } ، قال : فقلت لنفسي : ويل لفلان إذا اکتال بالوافي وإذا كال كال بالناقص ، قال : فلما صلى زودنا شيئاً حتى أتينا خيبر وقد افتتح النبي ... خيبر ، قال : فكلم المسلمين فأشركونا في سهامهم^(٢) .

70 - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : لما قدمت على النبي ... قلت

(١) صحيح البخاري : المغازي باب قصة دوس والطفيل (4392) .

(٢) رواه الإمام أحمد (8552) ، وابن خزيمة (1039) ، وابن حبان (7156) ، والحاكم

في الطريق :

يا ليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجّت
 وأبق غلام لي^(١) في الطريق ، فلما قدمت على النبي ... فبايعته ، فبينما أنا عنده إذ
 طلع الغلام ، فقال لي النبي ... : ((يا أبا هريرة هذا غلامك)) ، فقلت : هو لوجه
 الله ، فأعتقته ((رواه البخاري^(٢) .

الفوائد والعبر :

- ١ - ينبغي للداعية الصبر على المدعويين ولو رفضوا قبول الدعوة في أول الأمر ، ولا ينبغي له أن يدعو عليهم ، بل يدعو لهم .
- ٢ - استحباب الإطالة في صلاة الفجر .
- ٣ - وجوب العدل في حال التعامل مع الناس في كل الأمور ، وتحريم الغش والظلم في ذلك .
- ٤ - أنه ينبغي للمسلم أن يتدبّر القرآن عند قراءته أو سماعه ، وأن يتعظ بمواعظه ، ويأتمر بأوامره ، ويجتنب مناهيه ، لتصلح حاله ، ويفوز بسعادة الدنيا

(١) أي أن غلام أبي هريرة - وهو عبد مملوك له - هرب منه .

(٢) صحيح البخاري : الموضوع السابق (4393) .

والآخرة .

٥ أن من الأخلاق الحسنة والمندوب إليها شرعاً العفو عن الآخرين ،
وبالأخص عن أخطاء من هم تحت يد الإنسان من مملوكين وخدم ونحوهم ، فهذا
أبو هريرة لم يعاقب عبده لما أبق عنه ، بل عفا عنه ، وزاد على ذلك بإعتاقه .

* * *

الدرس الثاني والأربعون

قصة إسلام ثمامة بن أثال - رضي الله عنه - .

71 - عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال ((بعث النبي ... خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال ، فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فخرج إليه النبي ... فقال : ماذا عندك يا ثمامة ؟ فقال عندي خير ، يا محمد إن تقتل تقتل ذادم ، وإن تنعم تنعم على شاكراً⁽¹⁾ ، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت . فترك حتى كان الغد ، ثم قال له : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : ما قلت لك : إن تنعم تنعم على شاكراً . فتركه حتى كان بعد الغد ، فقال : ما عندك يا ثمامة ؟ فقال : عندي ما قلت لك . فقال أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ، ثم دخل المسجد ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمد رسول الله . يا محمد ، والله ما كان على الأرض أبغض إلي من وجهك ، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك ، فأصبح دينك أحب

(1) أي إن تقتلني رجلاً له مكانة ورياسة في قومه ، يدرك قاتله تأره بقتله له ، وإن تنعم علي بإطلاقي من الأسر تنعم على شخص يشكر لك معروفك . ينظر المفهم 3/ 584 ، 585 ،

الدين إلي ، والله ما كان من بلاد أبغض إلي من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي . وإن خيلك أخذتني ، وأنا أريد العمرة ، فماذا ترى ؟ فبشره رسول الله ... وأمره أن يعتمر . فلما قدم مكة قال له قائل : صبوت ؟ قال : لا والله ، ولكن أسلمت مع محمد ... ولا والله لا يأتيكم حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ... رواه البخاري ومسلم^(١) .

الفوائد والعبر :

- 1 - أنه ينبغي للمسلم أن يعامل عموم الكفار بالمعاملة الحسنة وبالأخص إذا رجي إسلام الكافر ، فحسن الخلق أسلوب من أهم أساليب الدعوة إلى الله تعالى .
- 2 - تجلّى في محبة شامة لرسول الله ... ولدين الإسلام هذه المحبة العظيمة أثر من آثار قوة الإيمان ، فهذا الأثر العظيم ظهر أثره على أفعاله وتصرفاته رضي الله عنه ، ولذلك ثبت في زمن الردة على الإسلام ، ولم يتبع مسيلمة الكذاب مع أنه من قومه بني حنيفة ، بل إنه قاتل المرتدين ، وهكذا يصنع الإيمان الصادق ، أما كون الشخص يدعي الإيمان وهو مصر على معصية الله مستكثر منها فهذا يدل على كذبه فيما ادعاه ، ويدل على ضعف إيمانه .

(١) صحيح البخاري (4372) ، وصحيح مسلم (1764) .

3 - كما أن في محبة ثمامة لرسول الله ... هذه المحبة العظيمة ما يشير إلى حق من حقوق النبي ... على الأمة ، لأن الله أخرجها به من الظلمات إلى النور ، فيجب على كل مسلم أن يحب النبي ... أكثر مما يجب نفسه وولده ووالده وزوجته وماله وكل شيء ، قال الله تعالى : { قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضوها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره إن الله لا يهدي القوم الفاسقين } [التوبة: 24] ، وقال النبي ... ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين)) رواه البخاري ومسلم^(١) ، وروى البخاري أن عمر بن الخطاب قال : يا رسول الله أنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي فقال رسول الله ... ((لا والذي نفسي بيده ، حتى أكون أحب إليك من نفسك)) فقال عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي . فقال النبي ... : ((الآن يا عمر))^(٢) .

4 - أنه ينبغي للمسلم أن يعتز بدينه ، لأنه على الحق ، وغيره على الضلال ، بل إن الكفر - ومثله النفاق - سفه وضياع كما قال تعالى : { والذين كفروا يتمتعون

(١) صحيح البخاري (15) وصحيح مسلم (44) واللفظ لمسلم .

(٢) صحيح البخاري : الإيذان والنذور (6632) . والمعنى لا يكفي لبلوغ الرتبة العليا في الإيذان

حتى يكون كذلك .

ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثواً لهم { [محمد: 12] ، ولهذا أعتز ثامة رضي الله عنه بإسلامه أمام الكفار .

5 - أنه ينبغي للمسلمين أن يستغلوا ويستعملوا جميع الوسائل الممكنة لإضعاف الأعداء ، وبالأخص الأعداء الحربيين ، ومن تلك الوسائل ما يسمى في العصر الحاضر بـ ((المقاطعة الاقتصادية)) وهو ما استعمله ثامة كما في هذا الحديث .

* * *

الدرس الثالث والأربعون

قصة إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد رضي الله عنهما

72 - عن عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي - رضي الله عنه - قال :
لما انصرفنا من الأحزاب عن الخندق ، جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون مكاني ،
ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون ، والله إني لأرى أمر محمد يعلو الأمور علواً
كبيراً ، وإني قد رأيت رأياً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق
بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا ، كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون
تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد
عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . فقالوا : إن هذا الرأي . قال : فقلت لهم : فاجمعوا
له ما نهدي له . وكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأُدُم^(١) ، فجمعنا له أدماً كثيرة ،
فخرجنا حتى قدمنا عليه ، فوالله إنا لعنده إذ جاء عمرو بن أمية الضمري ، وكان
رسول الله ... قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه^(٢) قال : فدخل عليه ثم خرج من
عنده ، قال : فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية ، لو قد دخلت على النجاشي

(١) وهي الجلود .

(٢) أي أرسله النبي ... ليأتي بالمهاجرين إلى الحبشة .

فسأله إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها^(١) حين قتلت رسول محمد .

قال : فدخلت عليه ، فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحباً بصديقي ، أهديت لي من بلادك شيئاً؟ قال : قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت لك أدماً كثيراً . قال : ثم قدمته إليه ، فأعجبه واشتهاه ، ثم قلت له : أيها الملك إني قد رأيت رجلاً خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا . قال : فغضب ثم مديده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه^(٢) ، ثم قلت : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه . فقال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى^(٣) لتقتله؟! قال : قلت : أيها الملك ، أكذاك هو؟ فقال : ويحك يا عمرو ، أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده . قال : قلت : فبايعني له على

(١) الظاهر أن مراده : أن قريشاً ترى أني فعلت نيابة عنها أمراً عظيماً ظهر أثره .

(٢) أي خوفاً من النجاشي ، وكأن من عادة الحبشة إذا غضب أحدهم أن يضرب أنف نفسه ، إظهاراً للغضب .

(٣) الناموس في اللغة : صاحب سر الخير . ويقابله : الجاسوس ، وهو صاحب سر الشر . والمراد هنا : جبريل عليه السلام ، سمي بذلك لأن الله تعالى خصه بالوحي .

الإسلام . قال : نعم . فبسط يده وبايعته على الإسلام ، ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي^(١) عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

ثم خرجت عامداً لرسول الله ... لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبيل الفتح ، وهو مُقبِلٌ من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسم^(٢) ، وإن الرجل لنبي ، أذهب والله أسلم ، فحتى متى ؟ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأسلم . قال : فقدمنا على رسول الله ... ، فقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت ، فقلت : يا رسول الله ، إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي . ولا أذكر ما تأخر ، قال : فقال رسول الله ... : ((يا عمرو ، بايع ، فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها)) قال : فبايعته ثم انصرفت^(٣) .

(١) أي تغير .

(٢) أي تبين الطريق ، وذلك أنه عرف أن دعوة النبي ... حق .

(٣) رواه الإمام أحمد (17777) ، والبخاري في تاريخه 311/2 ، 312 ، والطحاوي في المشكل

(507) ، والحاكم 3/297 ، 298 ، و454 وسنده حسن في الشواهد ، وقال الساعاني في

الفتح الرباني 21/139 : ((سنده جيد)).

وروى الإمام أحمد بعد روايته السابقة عن ابن إسحاق قال حدثني من لا أتهم أن عثمان بن

طلحة كان معها حين أسلم .

الفوائد والعبر :

- ١ يتبغى للقاضي أن يحدّر من كل أمر قد يكون سبباً في عدم تحريه العدل ، كقبول الهدية ممن لم يكن يهدي إليه قبل توليه القضاء ، ونحو ذلك .
- ٢ أن سجود الاحترام كان جائزاً في بعض الشرائع السماوية السابقة ، ولكنه محرم في دين الإسلام ، ومثله الركوع والانحناء ، فقد ثبت عن النبي ... أنه سئل عن الرجل يلقي أخاه أينحني له ؟ قال : « لا » .
- ٣ اهتمام النبي ... بالمسلمين ولو كانوا في أرض بعيدة ، ولهذا يجب على المسلم أن يهتم بأمور المسلمين في كل مكان .
- ٤ في هذا الخبر دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... ، حيث شهد النجاشي -

وروى هذا الحديث بطوله الواقدي في مغازيه 741 / 2 ، 744 ، ومن طريقه البيهقي في الدلائل 343 / 4 - 346 . والواقدي وإن كان متروك الحديث لكنه اعتبر بروايته جمع من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية في الصارم المسلول ، والذهبي في الميزان في المغازي والسير .

وبالجملة فهذا الحديث بمجموع هذه الأسانيد حسن أو قريب منه ، ويشهد له قصة إسلام عمرو وحده الآتية إن شاء الله تعالى .

(١) رواه الإمام أحمد 3 / 198 ، والترمذي (2728) ، وحسنه الترمذي ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (160) .

رضي الله عنه - بنبوّة النبي ... ، وأن الوحي الذي ينزل عليه يشبه الوحي الذي كان ينزل على نبي الله موسى - عليهما السلام - ، وكان النجاشي من علماء النصارى قبل إسلامه .

٥ - حفظ الله تعالى لعباده المؤمنين .

* * *

الدرس الرابع والأربعون

قصة إسلام عمرو بن العاص وبيعته مفصلة

73 - عن شماسة المهري ، قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت^(١) ، فبكى طويلاً وحول وجهه نحو الجدار ، فجعل ابنه يقول : يا أبتاه أما بشرك رسول الله ... بكذا؟ أما بشرك رسول الله ... بكذا؟ فأقبل بوجهه ، وقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإني قد كنت على أطباق ثلاث^(٢) . لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ... مني ، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ... فقلت : ابسط يمينك فلأبایعك ، فبسط يمينه ، قال : فقبضت يدي ، فقال : ((مالك يا عمرو ؟)) قال : قلت : أريد أن أشرط ، قال : ((تشرط بماذا ؟)) قلت : أن يغفر لي قال : ((أما علكت أن الإسلام يهدم ما قبله^(٣) ، وأن الهجرة تهدم ما قبلها وأن الحج يهدم ما قبله ؟)) ، وما

(١) أي عند موته حال احتضاره .

(٢) أي على ثلاثة أحوال .

(٣) أي يغفر لصاحبه جميع ما عمل من معاصي في حال كفره .

كان أحد أحب إلي من رسول الله ... ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له^(١) ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأني لم أكن أملاً عيني منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء ما أدري ما حالي فيها ، فإذا أنا مت ، فلا تصحبني نائحة^(٢) ولا نار ، فإذا دفنتموني فشنوا التراب شنأ^(٣) ، ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها ، حتى أستأنس بكم ، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي^(٤) . رواه مسلم^(٥) .

الفوائد والعبر :

- 1 - بيان فضل الإسلام ، وبيان فضل الحج ، وبيان فضل الهجرة ، وأن كل واحد من هذه الأمور الثلاثة سرب لمغفرة الذنوب .
- 2 - أنه يستحب لمن عند المريض الذي حضره الموت أن يذكره بأعماله

(١) أي لم أكن أطيل النظر إليه احتراماً له .

(٢) النائحة : التي ترفع صوتها عند المصيبة ، وهذا محرم .

(٣) أي صبوا علي التراب . وروي «سنوا» بالسين المهملة ، والمعنى : صبوا بسهولة . ينظر شرح

مسلم للنووي 2/ 137 - 139 .

(٤) وهما الملكان اللذان يسألان العبد عن ربه ونبيه ودينه . وهما منكر ونكير عليها السلام .

(٥) صحيح مسلم : الإيذان باب كون الإسلام يهدم ما قبله (121) .

الصالحة ، كما يستحب له أن يذكره بآيات وأحاديث الرجاء ، ليلقى الله تعالى وهو يحسن الظن به ، وليفرح بلقاء الله تعالى .

3 - شدة عداوة المشركين للمسلمين وبغضهم لهم ولرسول الله ... ، فينبغي

للمسلم الحذر منهم .

4 - محبة الصحابة للنبي ... وتعظيمهم له .

5 - تحريم النياحة على الميت .

6 - ثبوت سؤال الملكين - منكر ونكير - للميت في قبره ، فينبغي للعبد أن

يستعد لذلك ، وذلك بالإيمان بالله ، وعمل الصالحات ، وترك المعاصي ، ليستطيع الإجابة على أسئلة الملكين^(١) .

* * *

(١) ينظر شرح النووي لصحيح مسلم 2/ 138 ، 139 .

الدرس الخامس والأربعون

قصة إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبدالله بن أبي أمية

74 - عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : مضى رسول الله ... عام الفتح حتى نزل مرَّ الطهران في عشرة آلاف من المسلمين فسبَّعتْ سُليْم ، وألَّفتْ مُزَيْنَةَ^(١) وفي كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب رسول الله ... المهاجرون والأنصار فلم يتخلف منهم أحد ، وقد عميت الأخبار على قريش ، فلا يأتيهم خبر عن رسول الله ... ، ولا يدرون ما هو صانع .

وكان أبو سُفيان بن الحارث ، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة لقد لقيَا رسول الله ... بثينة العقاب^(٢) ، فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه ، فكلمته أم سلمة فيها ، فقالت : يا رسول الله ابن عمك ، وابن عمتك صهرك^(٣) ، فقال : ((لا حاجة لي بهما : أما ابن عمي فهتك عرضي ، وأما ابن عمتي وصهري فهو الذي قال لي بمكة ما قال^(٤))) ، فلما خرج الخبر إليهما بذلك ومع أبي سفيان بن الحارث ابن له

(١) أي كان رجال سليم في هذه الغزوة سبعائة رجل ، ورجال مزينة ألف رجل .

(٢) وفي رواية (نبق العقاب) وهي موضع قرب الجحفة .

(٣) فعبد الله أمه عاتكة عمه النبي ... ، وهو أخو أم سلمة زوج النبي ... لأبيها .

(٤) قال السهيلي في الروض الأنف 4 / 153 : (يعني حين قال له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ

فقال : والله ليأذنن لي رسول الله ... أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشاً أو جوعاً ، فلما بلغ ذلك رسول الله ... رقى لهما ، فدخلا عليه ، فأنشده أبو سفيان قوله في إسلامه واعتذاره مما كان مضى منه ، فقال :

لعمرك أني يوم أحمل راية	لتغلب خيل اللات خيل محمد ^(١)
لكالمدلج الحيران أظلم ليله	فهذا أوأني حين أهدى وأهتدي ^(٢)
هدائي هاد غير نفسي ودلني	إلى الله من طردت كل مطرد ^(٣)
أصد وأناى جاهدا عن محمد	وأدعى وإن لم أنتسب من محمد ^(٤)
هم ما هم من لم يقل بهواهم	وإن كان ذا رأي يلم ويفند ^(٥)
أريد لأرضيهم ولست بلائط	مع القوم ما لم أهد في كل مقعد ^(٦)

سلما إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتي بصك وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله قد أرسلك».

- (١) احمّل راية : كني بذلك عن شهوده الحرب ودعوته إليهما ، وأراد بخيل اللات : جيش الكفر والشرك ، وخيل محمد : أراد بها جيش المسلمين .
- (٢) المدلج : الذي يسير ليلا .
- (٣) مطرد : مصدر بمعنى الطرد .
- (٤) أصد : أ منع الناس عن الدخول في الإيمان ، وأناى : أبعث بنفسي عنه ، وجاهدا : مجتهدا .
- (٥) يفند : ينسب إلى الفند ، وهو الكذب ، أو يلام .
- (٦) لانط : ملصق .

فقل لثقيف لا أريد قتالكم
 وقل لثقيف تلك: غيري وأوعدي
 فما كنت في الجيش الذي نال عامراً
 ولا كان عن جري لساني ولا يدي
 قبائل جاءت من بلاد بعيدة
 نزاع جاءت من سهام وسردد^(٣)
 قال: فلما أشد رسول الله ... : ((من طردت كل مطرد)) ضرب رسول الله ...
 في صدره وقال: ((أنت طردتني كل مطرد))^(٤).

الفوائد والعبر :

1 - أن الرحمة والعفو من الأخلاق السامية التي ينبغي للمسلم أن يحرص عليها ، فقد قال الله تعالى : { فمن عفا وأصلح فأجره على الله } [الشورى: 40] .
 وروى الترمذي وصححه الترمذي وصححه عن النبي ... قال : ((الراحمون يرحمهم

(١) أوعدي : هدي .

(٢) أي جراء لساني ويدي ، وفعلها .

(٣) سهام وسردد : موضعان أو واديان في اليمن .

(٤) رواه الطبراني (7264) ، والحاكم 3/ 43 ، 44 ، والبيهقي في الدلائل 5/ 27 ، 28 وسنده حسن . وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي . ينظر في شرح روايات هذا الحديث وتصحيح بعض ألفاظه : شرح ألفاظه : شرح السيرة لأبي ذر ص 368 ، الروض الأنف 4/ 155 ، شرح المواهب 2/ 301 ، 302 ، تاريخ الإسلام (المغازي ص 536) .

الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ، الرحم شُجْنَةٌ من الرحمن ، فمن وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعته الله ﴿١﴾ . وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن الأقرع بن حابس أبصر النبي ... يقبّل الحسن ، فقال : إن لي عشرة من المولد ما قبّلت واحداً منهم ، فقال رسول الله ... : ((إنه من لا يرحم لا يرحم)) .

2 - أن من يعادي أولياء الله من الأنبياء والدعاة والصالحين يسير في ضلال وحيرة كما الكفار والمنافقين ، وذلك لأنه يجارب شريعة خالقه ورازقه ، يجارب دين من بيده ملكوت كل شيء ، ومن إذا أراد شيئاً قال له : ((كن)) فيكون ، العزيز الجبار القوي القادر ، ولكنه جل وعلا حكيم ، يمهل ولا يهمل ، وقد يستدرج بعض الكفار والمنافقين فيعطيههم من متاع الحياة وزخرفها ويسلط عليهم شياطين الإنس والجن ليستمروا على معصيته والعداء لدينه حتى يأخذهم سبحانه وتعالى أخذ عزيز مقتدر ، ثم يعذبهم في قبورهم وفي يوم القيامة وفي نار جهنم خالدين مخلدين فيها ، كما قال تعالى : { ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار } [إبراهيم: 42] ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((إذا رأيت الله يعطي

(١) رواه الترمذي - كما سبق - (1924) ، وأحمد (6496) ، والحاكم 4 / 159 ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو حديث حسن بشواهد . تنظر شواهد في جامع الأصول 4 / 516 - 518 والمجمع 8 / 149 - 153 ، 187 .

(٢) صحيح البخاري (5997) ، وصحيح مسلم (2318) .

العبد من الدنيا على معاصيه ما يجب فإنما هو استدراج ، ثم قرأ ... : { فلما نسوا ما
ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا
هم مبلسون } [الأنعام: 44]^(١) .

ولا شك أن من كانت هذه حاله واستمر على كفره أو نفاقه وضلاله وفسوقه
وعلى عدائه لدين الله تعالى حتى يأتيه الموت على ذلك لا شك أنه قليل التفكير ،
سفيه الرأي ، ضعيف العقل ، تلاعب به عدوه الشيطان واستولى عليه ، فأمره بما
فيه هلاكه وشقاؤه في الدنيا والآخرة ، فأطاعه وهو يظن أنه يحسن صنعا وأنه أفضل
وأعلى ممن أطاع الله تعالى وفاز برضوانه وجنته ، ولا شك أن من كان على تلك الحال
ينطبق عليه قول ربنا جل وعلا : { أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم
إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا } [الفرقان: 44] .

* * *

(١) رواه الإمام أحمد (17311) ، وابن جرير في تفسيره (13240 ، 13241) وغيرهما ،
وسنده حسن ، وقد صححه غير واحد ، ينظر السلسلة الصحيحة (413) .

الدرس السادس والأربعون

قصة إسلام أبي سفيان بن حرب - رضي الله عنه - وقت فتح مكة

75 - عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : خرج رسول الله ... إلى مكة لعشر مضين من رمضان ، فصام ، وصام الناس ، حتى إذا كان بالكديد^(١) ، أفطر ، فنزل ... مر ظهران^(٢) ، في عشرة آلاف من الناس ، فيهم ألف من مزينة ، وسبعمائة من بني سليم ، وقد عميت الأخبار على قريش ، فلا يأتيهم خبر عن النبي ... ، ولا يدرون ما هو فاعله ، وقد خرج تلك الليلة أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبديل بن ورقاء الخزاعي ، يتحسسون الأخبار ، قال العباس : فلما نزل رسول الله ... حيث نزل ، قلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله ...

(١) الكديد : موضع بينه وبين مكة 92 كيلاً . ينظر معجم البلدان 4/ 442 ، ومعجم الأماكن الواردة في البخاري ص 374 ، 375 .

(٢) الظهران : اسم واد قرب مكة ، و «مر» اسم قرية قريبة منه ، ويسمى هذا الوادي الآن « وادي فاطمة » ويبعد عن مكة 24 كيلاً . انظر المرجعين السابقين .

مكة عنوة^(١) ، ليكونن هلاكهم إلى آخر الدهر ، فركبت بغلة رسول الله ... البيضاء حتى جئت الأراك رجاء أن ألتمس بعض الخطابة ، أو صاحب لبن^(٢) أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بأمر رسول الله ... فيخرجوا إليه ، فوالله إني لأسير ألتمس ما جئت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان^(٣) ، فقال أبو سفيان : والله ما رأيت كالليلة نيراناً ولا عسكرياً ، فقال بديل : هذه والله خزاعة ، قد خمشتها الحرب^(٤) ، فقال أبو سفيان : خزاعة والله أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانها ، فقلت : يا أبا حنظلة^(٥) ! فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قلت : نعم ، قال : مالك فداك أبي وأمي ، فقلت : هذا والله رسول الله ... في الناس ، واصباح قريش ، قال : فما الحيلة ، فداك أبي وأمي ؟ قال : قلت : والله لئن ظفرك ليضربن عنقك ، فاركب عجز هذه البغلة^(٦) ، فركب ورجع صاحبه ، فخرجت به ، فكلما مررت بنار من نيران المسلمين ، فقالوا : ما هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله ... ،

(١) أي بالقوة ، وليس عن طريق الصلح أو الأمان لأهلها .

(٢) أي راعي غنم أو إبل ، وهي ذوات اللبن .

(٣) أي يكلم أحدهما الآخر .

(٤) أي أغضبتهم وأوقدتهم .

(٥) وهي كنية أبي سفيان .

(٦) أي مؤخرتها .

قالوا : هذه بغلة رسول الله ... عليها عمه ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب ، فقال : من هذا ؟ وقام إليّ ، فلما رآه على عجز البغلة عرفه ، فقال : والله عدو الله ، الحمد لله الذي أمكن منك ، فخرج يشتد نحو رسول الله ... ، ودفعت البغلة فسبقته بقدر ما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، فاقترحت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله ... ودخل عمر ، فقال : هذا عدو الله أبو سفيان قد أمكن الله منه ، في غير عقد ولا عهد ، فدعني أضرب عنقه ، فقلت : قد أجرته يا رسول الله ، ثم جلست إلى رسول الله ... فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا ينجيه الليلة رجل دوني ، فلما أكثر عمر ، قلت : مهلاً يا عمر ، فوالله لو كان رجلاً من بني عدي ما قلت هذا ، ولكنه من بني ع بد مناف ، فقال : مهلاً يا عباس ، لا تقل هذا ، فوالله لإسلامك حين أسلمت كان أحب إليّ من إسلام أبي الخطاب لو أسلم ، وذلك أني عرفت أن إسلامك أحب إلى رسول الله ... من إسلام الخطاب ، فقال رسول الله ... : يا عباس ! اذهب به إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنا به ، فذهبت به إلى الرحل ، فلما أصبحت غدوت به ، فلما رآه رسول الله ... ، قال : يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله ؟ فقال : بأبي وأمي ما أحلمك ، وما أكرمك ، وأوصلك وأعظم عفوك ، لقد كاد أن يقع في نفسي أن لو كان إله غيره لقد أغنى

شيئاً بعد^(١) ، فقال ... : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله ؟
 فقال : بأبي وأمي ما أحلمك ، وأكرمك ، وأوصلك ، وأعظم عفوك ، أما هذه فإن
 في النفس منها حتى الآن شيء ، قال العباس : فقلت : ويلك ، أسلم ، واشهد أن لا
 إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله قبل أن يضرب عنقك ، فشهد أن لا إله إلا الله ،
 وأن محمداً رسول الله ، قال العباس : فقلت : يا رسول الله ! إن أبا سفيان رجل
 يحب الفخر ، فاجعل له شيئاً ، فقال ... : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ،
 ومن أغلق بابه فهو آمن . فلما انصرف إلى مكة ليخبرهم ، قال رسول الله ... :
 احبسه بمضيق م ن الوادي عند حطم الخيل^(٢) ، حتى تمر به جنود الله ، فحبسه
 العباس حيث أمره رسول الله ... ، فمرت القبائل على راياتها ، فكلما مرت راية ،
 قال : من هذه ؟ فأقول : بني سليم ، فيقول : مالي ولبني سليم ، ثم تمر أخرى ،
 فيقول : من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالي و لمزينة ، فلم يزل يقول ذلك
 حتى مرت كتيبة رسول الله ... الخضراء ، فيها المهاجرون والأنصار ، لا يرى منهم
 إلا الحدق^(٣) ، قال : من هذا ؟ فقلت : هذا رسول الله ... في المهاجرين والأنصار ،

(١) يقول : لو أن ألهتنا التي نعبد آلهة حقاً لنفعتنا ونصرتنا .

(٢) وهو موضع تتراحم فيه الخيل حتى يحطم بعضها بعضاً .

(٣) أي لا يرى من أحدهم سوى وسط عينه ، وقد قيل : سميت هذه الكتيبة «الخضراء» لكثرة

الحديد الذي معهم والذي يلبسونه .

فقال : ما لأحد بهؤلاء قبَل ، والله لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم لعظيم ، فقلت : ويحك يا أبا سفيان ! إنها النبوة ، قال : فنعلم إذاً ، فقلت : النجاء^(١) إلى قومك ، فخرج حتى أتاهم بمكة ، فجعل يصيح بأعلى صوته : يا معشر قريش ! هذا محمد ، قد أتاكم بما لا قبل لكم به ، فقامت امرأته هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحميت الدَّسِم الأحمس^(٢) ، قُبِّح من طليعة قوم^(٣) ، فقال أبو سفيان : لا تغرنكم هذه من أنفسكم^(٤) ، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، فقالوا : قاتلك الله ، وما يغني عنا دارك^(٥) ، قال : ومن أغلق بابه فهو آمن^(٦) .

(١) النجاء : السرعة .

(٢) الحميت : زق السمن - وهو الوعاء الذي يوضع فيه السمن وهو من الجلد - ، والدسم : كثير الودك ، والأحمس : الذي لا خير عنده . وأرادت بهذا التشبيه وهذا الوصف أن تصفه بأنه كثير اللحم والشحم ولا خير فيه . ينظر : الروض الأنف 4 / 158 .

(٣) الطليعة : هو الذي يتقدم القوم ، لينظر أمر عدوهم ، ثم يرجع إلى قومه فيخبرهم بحقيقة الأمر ، كالجاسوس .

(٤) أي لا تهتموا بكلام هذه المرأة ، فيمنعكم من عمل ما فيه مصلحتكم .

(٥) أي لا تكفي جميع أهل مكة .

(٦) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده كما في المطالب العالية (4301) ، والطبراني في الكبير

(7264) بإسناد حسن ، وله شواهد ومتابعات كثيرة ، تنظر في الدلائل للبيهقي 31 / 5 -

57 ، والبداية والنهاية 6 / 533 - 544 ، ومجمع الزوائد 6 / 163 - 175 . وقد صححه

الفوائد والعبر :

- ١ أن من الحكمة في الحرب وفي كل أمر مهم يقدم عليه الإنسان أن يخطط له وأن يكتمه عن من لا مصلحة في علمه به .
- ٢ أهمية المفاجأة وقوة الصدمة في الحرب .
- ٣ أهمية الحرب النفسية في إحراز النصر وتقليل الخسائر .
- ٤ أهمية تأليف قادة الأعداء بالأمور المعنوية والحسية .
- ٥ عظم عفو النبي ... ورحمته بأمته ، كما قال تعالى { لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم } [التوبة: 128] .
- ٦ أهمية الالتزام بآراء وأوامر القادة ، وعدم الاعتراض عليها .
- ٧ أن العاقبة للمتقين ، وأن النصر للإسلام طال الزمان أم قصر .

* * *

البوصيري ، والحافظ ابن حجر ، والصالحى كما في المطالب وحاشيته ، وصححه أيضاً الأنصاري في شرح المواهب 2 / 311 .

الدرس السابع والأربعون

أخبار إسلام أهل مكة يوم الفتح وإسلام مؤذنيهم

76 - عن الأسود بن خلف - رضي الله عنه - أنه رأى النبي ... يبايع الناس

يوم الفتح ، قال فجلس عند قرن مسفلة ^(١) ، فجاء الناس : الصغار والكبار والنساء ، فبايعوه على الإسلام والشهادة ^(٢) .

77 - وعن مجاشع بن مسعود السلمي - رضي الله عنه - قال أتيت النبي ...

بأخي أبي معبد بعد الفتح ، فقلت : يا رسول الله جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة ، فقال ... : ((ذهب أهل الهجرة بما فيها)) ، فقلت : على أي شيء تبايعه ؟ ، قال : ((أبايعه على الإسلام والإيمان والجهاد)) رواه البخاري ومسلم ^(٣) .

78 - وعن أبي محذورة رضي الله عنه قال : خرجت في نفر ، فكننا ببعض

طريق حنين ، فقفل رسول الله ... من حنين ، فلقينا رسول الله ... ببعض الطريق ،

(١) قيل : هي مكان بأعلى مكة ، قرب شعب ابن عامر . ينظر أخبار مكة للفاكهي (7642) ،

وفي القاموس (مادة : سفل) : ((المسفلة محلة بأسفل مكة)).

(٢) رواه عبدالرزاق (9820) ، وأحمد (15431) وغيرهما وسنده محتمل للتحسين .

(٣) صحيح البخاري (4305) ، وصحيح مسلم (1863) .

فأذن مؤذن رسول الله ... بالصلاة عند رسول الله ... ، فسمعنا صوت المؤذن ونحن متنكبون ، فصرخنا نحكيه ، ونستهزئ به ، فسمع رسول الله ... الصوت ، فأرسل إلينا إلى أن وقفنا بين يديه ، فقال رسول الله ... : ((أيكم الذي سمعت صوته قد ارتفع ؟)) فأشار القوم كلهم إليّ وصدقوا ، فأرسل كلهم وحسني ، فقال : ((قم فأذن بالصلاة)) فقممت ولا شيء أكره إليّ من رسول الله ... ولا مما يأمرني به ، فقممت بين يدي رسول الله ... ، فألقى إليّ رسول الله ... التأذين هو نفسه ، فقال : ((قل : الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله)) ثم قال لي : ((ارجع فامدد من صوتك)) ثم قال : ((أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله)) ثم دعاني حين قضيت التأذين ، فأعطاني صرة فيها شيء من فضة ، ثم وضع يده على ناصية أبي محذورة ، ثم أمارها على وجهه مرتين ، ثم مر بين يديه ، ثم على كبده ، ثم بلغت يد رسول الله ... صرة أبي محذورة ، ثم قال رسول الله ... : ((بارك الله فيك)) فقلت : يا رسول الله ، مرني بالتأذين بمكة ، فقال : ((قد أمرتك به)) وذهب كل شيء كان لرسول الله ... من كراهية ، وعاد ذلك محبة لرسول الله ... ، فقدمت على عتاب بن أسيد ؛ عامل رسول الله ... بمكة ، فأذنت معه بالصلاة عن أمر رسول

الفوائد والعبر :

- 1 - أن الهجرة من مكة إلى المدينة قد انقطعت بعد فتح مكة ، فمن أسلم بعده وهو في بلد كفر فإن كان يستطيع إظهار شعائر دينه ، ولا يخشى على نفسه الفتنة في بدنه أو دينه جاز له البقاء فيه ، وإن كان لا يستطيع إظهار شعائر دينه أو يخشى على نفسه الفتنة في دينه أو بدنه وجبت عليه الهجرة .
- 2 - أنه ينبغي تولية أي عمل من أعمال المسلمين من يقوم به على أفضل وجه ، ولهذا اختار النبي ... للأذان من بين من سمع أذانهم اختار أرفعهم صوتاً .
- 3 - مشروعية تأليف حديثي الإسلام ومن في حكمهم بالمال وغيره .
- 4 - في حديث أبي مخذورة دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... ، حيث انقلب بغضه للنبي ... إلى محبة له بعد امراره يده الشريفة ... على بعض جسده ودعائه له واعطائه بعض المال .

(١) رواه هذا التمام الإمام الشافعي في الأم 84 / 1 ، والإمام أحمد (15380) ، وابن ماجه (708) ، وابن حبان (1680) ، وإسناده قريب من الحسن ، ورواه بنحوه الإمام أحمد (15376) بإسناد فيه ضعف ، فالحديث بهذا التمام حسن لغيره .



الدرس الثامن والأربعون

قصة إسلام أبي قحافة

79 - عن أسماء بنت أبي بكر - رضي الله عنهما - قالت : لما وقف رسول الله ... بذي طوى^(١) ، قال أبو قحافة لابنة له من أصغر ولده : أي بنية ، أظهريني على أبي قُبَيْسٍ^(٢) ، قالت : وقد كف بصره ، فأشرفت به عليه ، قال : يا بنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلاً يسعى بين يدي ذلك السواد مقبلاً ومدبراً ، قال : ذاك يا بنية الوازع الذي يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، فقال : قد والله دفعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي ، فانحطت به ، فتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته وفي عنق الجارية طوق لها من ورق^(٣) ، فتلقاها رجل فاقتلعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله ... ودخل المسجد أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله ... قال : « هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتية » قال أبو بكر رضي الله عنه : يا رسول

(١) ذي طوى : مكان قريب من مكة ، وقد وصله عمران مكة الآن ، قيل : إنه الحي المسمى «جرول» بوسط مدينة مكة شرفها الله تعالى .

(٢) وهو جبل بمكة .

(٣) أي : من فضة .

الله ، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه ، قال : فأجلسه بين يديه ثم مسح صدره ، ثم قال له : ((أسلم)) فأسلم ، قالت : ودخل به أبو بكر رضي الله عنه على رسول الله ... وكان رأسه ثغامة ، فقال رسول الله ... : ((غيروا هذا من شعره)) ثم قام أبو بكر وأخذ بيد أخته ، فقال : أنشدا لله والإسلام طوق أختي ، فلم يجبه أحد ، فقال : يا أختية ، احتسبي طوقك^(١) .

الفوائد والعبر :

- 1 - يجب على المسلم أن يهتم بدعوة أقاربه إلى دين الله وإلى التمسك بتعاليمه ، وبالأخص الأبوين ، لتأكد حقيهما عليه .
- 2 - أهمية التنظيم في الجيوش ، ووضع القادة من أهل الخبرة لكل فرع أو قسم من أقسام الجيش .
- 3 - وجوب السمع والطاعة لولي الأمر ولولواته وقادته في الجيوش وغيرها في كل أمر ليس فيه معصية لله تعالى .
- 4 - عظم مكانة أبي بكر في الإسلام .

(١) رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام 405/2 ، ومن طريقه الإمام أحمد 349/6 ،

350 ، وابن حبان (7208) ، والحاكم 46/3 وسنده حسن .

5 - أنه ينبغي للرجل أن يكون حذراً ، فلا يعرض نفسه للخطر أو لمالا قدرة

له على حماية نفسه منه .

6 - مشروعية تغيير الشيب بغير السواد ، كما أنه ينبغي للمسلم أن يظهر

بمظهر حسن .

7 - أنه يستحب للمسلم أن يحتسب ما يصيبه من مظالم وغيرها ، ليعظم أجره

فيها .

* * *

الدرس التاسع والأربعون

قصة إسلام عكرمة وعبدالله بن أبي السرح

80 - عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال : لما كان يوم فتح مكة

أمن رسول الله ... الناس ، إلا أربعة نفر وامرأتين ^(١) وقال : اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة : عكرمة بن أبي جهل وعبدالله بن خطل ومقيس بن صبابه وعبدالله بن أبي السرح ، فأما عبدالله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة ، فاستبق إليه سعيد بن حريث وعمار بن ياسر ، فسبق سعيد عماراً وكان أشب الرجلين فقتله ، وأما مقيس بن صبابه فأدركه الناس في السوق فقتلوه ، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصف ، فقال أصحاب السفينة : أخلصوا فإن ألهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا ، فقال عكرمة : والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجيني في البر غيره ، اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ... حتى أضع يدي في يده ، فلا جدنه عفواً كريماً ، فجاء فأسلم ، وأما عبدالله بن سعد بن أبي السرح فإنه اختبأ عند عثمان بن عفان ، فلما دعا رسول

(١) وكان ثلاثة منهم أسلموا ثم ارتدوا . والمرأتان كانتا تغنيان بهجاء النبي ... ، وكانتا جاريتين

الله ... الناس إلى البيعة جاء به حتى أوقفه على النبي ... ، قال : يا رسول الله بايع عبدالله ، قال : فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى ، فبايعه بعد ثلاث ، ثم أقبل على أصحابه فقال : ((أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأيته كففت يدي عن بيعته فيقتله)) فقالوا : وما يدرينا يا رسول الله ما في نفسك ؟ هلا أو مات إلينا بعينك ، قال : ((إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة أعين))^١ .

الفوائد والعبر :

1 - استحباب العفو والصفح عن من وقع منه ذنب إذا ظهر ما يدل على

ندمه .

2 - أن من تكرر منه فعل الجرائم أو صدر منه جرم كبير يدل على خبث طويته

وسوء سريرته ينبغي معاقبته على ذنبه ولا يحسن العفو عنه .

(١) قال السيوطي في حاشية على النسائي 7 / 123 : ((قال الخطابي : هو - أي خائنة الأعين - أن

يضمير في قلبه غير ما يظهره للناس ، فإذا كف لسانه وأومأ بعينه إلى ذلك فقد خان ، وقد

كان ظهور تلك الخيانة من قبل عينه ، فسميت : خائنة الأعين)) . هـ. والحديث رواه

النسائي (4078) ، وأبو داود (4359) ، وأبو يعلى (757) ، والحاكم 3 / 45 بإسناد

قريب من الحسن . وله شواهد عن أبي داود (2684) ، والطبراني 17 / 372 ، والبيهقي في

الدلائل 5 / 60 ، 61 ، وابن هشام 3 / 418 في كل منها ضعف ، فهو حديث حسن .

- 3 - أن طاعة الله - وعلى رأسها توحيده تعالى والبعد عن الشرك - سبب لنجاة العبد وسلامته من الكوارث والمصائب ، كما قال تعالى : { ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب } [الطلاق: 2، 3] .
- 4 - أنه ينبغي للمسلم أن يتحلى بأفضل الأخلاق والآداب ، وينبغي أن يتعد عن كل خلق أو عمل فيه حط من قدره أو إخلال بمروءته ولو كان مباحاً .

* * *

الدرس الخمسون

أخبار إسلام صفوان بن أمية بن خلف - رضي الله عنه -

81 - عن عطاء بن أبي رباح ، عن ناس من آل صفوان : أن رسول الله ... قال : ((يا صفوان هل عندك من سلاح ؟)) قال : عارية أم غصباً ؟ ، قال : ((لا ، بل عارية)) ، فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعاً ، وغزار رسول الله ... حيننا ، فلما هُزِمَ المشركون جمعت دروع صفوان ، ففقد منها أدرعاً ، فقال رسول الله ... لصفوان : ((إنا قد فقدنا من أدرعك أدرعاً ، فهل نغرم لك ؟)) ، قال : لا يا رسول الله ، لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ . رواه أبو داود ^(١) ، وقال : وكان أعاره قبل أن يسلم ، ثم أسلم .

82 - وعن ابن شهاب الزهري ، قال : غزار رسول الله ... غزوة الفتح - فتح مكة - ثم خرج رسول الله ... بمن معه من المسلمين ، فاقتتلوا بحنين ، فنصر الله

(١) أخرجه أبو داود (3563 ، 3564) ، والبيهقي في سننه 89 / 6 ، والدارقطني 40 / 3 ، وابن عبد البر في التمهيد 41 / 12 . وآل صفوان المذكورون الظاهر أنهم من كبار التابعين ، وهم جمع ، فحديثهم له قوة ، فالسند محتمل للتحسين ، وهذه الرواية هي أصح روايات حديث آل صفوان ، وهي المذكورة في صحيح سنن أبي داود .

دينه والمسلمين ، وأعطى رسول الله ... يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم^(١) ، ثم مائة ، ثم مائة ، قال ابن شهاب : حدثني سعيد بن المسيب أن صفوان قال : والله لقد أعطاني رسول الله ... ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي . رواه مسلم^(٢) .

الفوائد والعبر :

1 - أنه يجب على المسلم أن يعامل المشركين بالعدل ، فيحرم أن يظلمهم أو أن يعتدى عليهم في نفس أو مال ، فقد روى البخاري عن النبي ... أنه قال : ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً))^(٣) ، وثبت أيضاً عن النبي ... أنه قال : ((ألا من ظلم معاهداً ، أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة))^(٤) .

(١) أي من الإبل .

(٢) صحيح مسلم : الفضائل ، باب ما سئل رسول الله ... شيئاً قط فقال : لا (2313) .

(٣) صحيح البخاري (3166) .

(٤) رواه أبو داود (3052) ، والبيهقي 205/9 بأسانيد كثيرة يقوي بعضها بعضاً ، فهو

صحيح بمجموع طرقه ، وقد قوى إسناده العراقي والسخاوي . وله شواهد كثيرة تنظر في

المقاصد الحسنة (1044) ، والسلسلة الصحيحة (445) .

2 - أنه يستحب تأليف الكفار وضعفاء الإيمان بالمال وغيره ، فإن هذا التألف له أثر كبير على قلوب المدعوين في تحييب الحق إليهم ، كما حصل لصفوان - رضي الله عنه - ، قال الله تعالى : { لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين } [المتحنة: 8] .

* * *

الدرس الحادي والخمسون

قصة إسلام هوازن

83 - عن عبدالله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : كنا مع رسول الله ... في حنين فلما أصاب من هوازن ما أصاب من أموالهم وسباياهم ^(١) أدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا ^(٢) ، فقالوا : يا رسول الله لنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك ؛ فامنن علينا من الله عليك ، وقام خطيبه م زهير بن صرد ، فقال : يا رسول الله إنما في الحظائر من السبايا حالاتك وعماتك وحواضنك ^(٣) اللاتي كن يكفلنك ، فلو أنا ملحننا ^(٤) ابن أبي شمر ، أو النعمان

- (١) السبي هم نساء الكفار وأطفالهم الذين استولى عليهم المسلمون ، فيكونون عبيداً لهم .
- (٢) في رواية مروان والمسور في البخاري : «جاء وفد هوازن مسلمين» وفي رواية موسى بن عقبة في مغازيه كما في الفتح 33 / 8 : «وقدمت عليهم وفد هوازن مسلمين ، وفيهم تسعة من أشرفهم ، فأسلموا ، وبايعوا ، ثم كلموه ...» .
- (٣) أي النسوة اللاتي في الأسر عند المسلمين فيهن حالات النبي ... من الرضاة وعماته من الرضاة ومن قمن بحضانتة في صغره ، لأنه كان مسترضعاً في بني سعد عند حليلة السعدية . وقد جاءت آثار تدل على أن حليلة وابنتها الشياء كانتا معهن ، ولكن فيها ضعف ينظر : مرويات غزوة حنين 1 / 265 - 277 .

بن المنذر^(١) ثم أصابنا منها مثل الذي أصابنا منك رجونا عائدتهما وعطفهما ، وأنت خير المكفولين ثم أنشد أبياتاً قالها :

امنن علينا رسول الله في كرم	فإنك المرء نرجوه وندخر
امنن على بيضة ^(٢) قد عاقها قدر	ممزق شملها في دهرها غير ^(٣)
أبقت لها الحرب هتافاً على حزن ^(٤)	على قلوبهم الغماء والغمر ^(٥)
إن لم تداركهم نعماء تنشرها	يا أرجح الناس حلماً حين يختبر
امنن على نسوة قد كنت ترضعها	إذ فوك يملؤها من مخضها الدرر ^(٦)

(١) أي أرضعنا ، وفي رواية «مالحنا» .

(٢) ابن أبي شمر هو : الحارث ابن أبي شمر الغساني كان نائباً للملك الروم على أدنى الشام ،
والنعمان بن المنذر كان نائباً للفرس على الحيرة بالعراق ، وكانا من العرب .

(٣) البيضة : الأهل والعشيرة .

(٤) أي قد تغيرت حالها ، فتحولت من صلاح إلى فساد .

(٥) أي أنه بسبب ما قتل من هوازن وما سبي من أولادهم ونسائهم وما أخذ من أموالهم أصبح
من بقي منهم حزيناً حتى أصبح صوت أحدهم حين ينادي أو يتكلم مشتملاً على الحزن .

(٦) الغماء : الحزن . والغمر : الغل والحقد .

(٧) المخض : اللبن الخالص . والدرر : كثرة اللبن وسيلانه . ومراده رضاعته ... من نساء بني
سعد في طفولته .

لا تجعلنا كمن شالت نعمته
 واستبق منا فإننا معشر زهر^(١)
 إنا لنشكر آلاء وإن كفرت
 وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
 قال رسول الله ... : ((نساؤكم وأبناؤكم أحب إليكم ، أم أموالكم ؟)) فقالوا :
 يا رسول الله ! خيرتنا بين أحسابنا وأموالنا ، أبناؤنا ونساؤنا أحب إلينا . فقال رسول
 الله ... : ((أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم ، وإذا أنا صليت بالناس فقوموا
 وقولوا : إنا نستشفع برسول الله ... إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ... في
 أبنائنا ونسائنا . فسأعينكم عند ذلك وأسأل لكم)) فلما صلى رسول الله بالناس
 الظهر ، قاموا ، فقالوا ما أمرهم به رسول الله ... ، فقال رسول الله ... : ((أما ما
 كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم)).

فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله

فقال الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله

فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا .

فقال العباس بن مرداس السلمى : أما أنا وبنو سليم فلا .

فقال بنو سليم : بل ما كان لنا فهو لرسول الله

فقال عيينة بن بدر : أما أنا وبنو فزارة فلا .

(١) شالت نعمته : أي ارتفعت رجله ، والمراد : هلك . والزهر : جمع أزهر ، وهو الأبيض من

فقال رسول الله ... : ((من أمسك منكم بحقه^(١) فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه^(٢) فردوا إلى الناس نسائهم وأموالهم)).

ثم ركب رسول الله ... واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله اقسم علينا فيأنا ، حتى اضطروه إلى شجرة ، فانتزعت عنه ردائه ، فقال رسول الله ... : ((يا أيها الناس ردوا علي ردائي فوالذي نفسي بيده لو كان لكم عدد شجر تهامة نعماً^(٣) لقسمته بينكم ، ثم ما لقيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذاباً)).

ثم قام رسول الله ... إلى جنب بغير وأخذ من سنامه وبرة وجعلها بين أصبعيه وقال : ((أيها الناس والله مالي من فيئكم ولا هذه البرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والم خيط^(٤) ، فإن الغلول^(٥) عار ، ونار ، وشنار على أهله

(١) أي من كان أعطى من السبي شيئاً فأمسكه ثم رده إلى هوازن .

(٢) أي نعطيته بدل كل عبد أو أمة لديه من السبي ستاً من الإبل من أول فيء يحصل للمسلمين ، فيعطيه من الخمس الذي جعله الله له والفيء في الأصل ما يكسبه المسلمون من أموال الكفار من غير قتال .

(٣) أي من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم .

(٤) الخياط : الخيط . والمخيط : الإبرة .

(٥) الغلول : وهو أن يأخذ المسلم من مال المسلمين شيئاً بغير حقه ، كأن يأخذ من الغنيمة قبل أن تقسم ، وكأن يأخذ مالاً من بيت مال المسلمين بغير حق .

يوم القيامة)) فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر فقال : يا رسول الله أخذت هذه لأخيط بها بردعة بعير لي دبر ، فقال الرسول ... : ((أما حقي منها فهو لك)) فقال الرجل : أما إذا بلغ الأمر هذا فلا حاجة لي بها فيمى بها من يده^(١) .

الفوائد والعبر :

- 1 - أنه ينبغي للمسلم مكافئة من أسدى إليه معروفاً .
- 2 - أنه يحرم أخذ أموال الناس بغير طيب نفس منهم .
- 3 - أن البخل والجبن والكذب من الأخلاق الذميمة التي يجب على المؤمن البعد عنها .

(١) رواه ابن إسحاق كما في الإصابة (ترجمة زهير بن سرد 2/ 534، 535) ، ومن طريقه الإمام أحمد 2/ 184 ، والبخاري في تاريخه الصغير 1/ 31 ، والنسائي (3690) ، والبيهقي في الدلائل 5/ 194 - 196 ، وابن الجارود (1080) بإسناد حسن . وله شاهد بنحوه أخصر منه من حديث مروان والمسور بن مخرمة عند البخاري (4318 ، 4319) ، وشاهد آخر من حديث زهير بن سرد عند الطبراني (5304) ذكر فيه قصيدته ، وقد حسنه الحافظ في الفتح 8/ 34 بالمتابعة . وله شواهد أخرى كثيرة .

وينظر في شرح عبارات هذا الحديث : جامع الأصول 8/ 409 ، شرح المواهب للزرقاني 4/ 4 ، 5 ، مرويات غزوة حنين ص 457 ، 458 .

4 - عظم تحريم الغلول ، وأنه من كبائر الذنوب ، والغلول هو أن يأخذ المسلم مالاً من بيت مال المسلمين بغير وجه حق ، فيحرم على المسلم أن يأخذ من بيت المال - الذي تسميه الناس اليوم (مال الحكومة) - شيئاً لم يأذن فيه ولي الأمر ، أو أن يأخذ منه مالاً وهو يعلم أنه لا يحق له أخذه ولو أذن له المسؤول المباح شر عن هذا المال ، ومن ذلك أن يأخذ خارج دوام أو انتداب لم يعمله ، أو يأخذ راتب وظيفة لا يقوم بها ونحو ذلك .

* * *

الدرس الثاني والخمسون

إسلام ثقيف

84 - عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه أن وفد ثقيف لما قدموا على

رسول الله ... أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم ، فاشترطوا عليه أن لا يُحشروا^(١) ولا يُعشروا^(٢) ولا يُجَبُّوا^(٣) ، فقال رسول الله ... : «لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا ، ولا خير في دين ليس فيه ركوع^(٤)» .

85 - وعن وهب بن منبه قال : سألت جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما -

(١) قيل المراد : لا يحشرون إلى عامل الزكاة ، بل هو يأتي إليهم . وقيل : المراد : لا يندبون إلى المغازي . ينظر النهاية (مادة : حشر) .

(٢) أي لا يؤخذ منهم عشر أموالهم ، وقيل : المراد الزكاة الواجبة . ينظر : النهاية (مادة : عشر) .

(٣) التجبية : الركوع ، وقيل : هي السجود . والمراد : اسقاط الصلاة عنهم . ينظر النهاية (مادة : جبا) .

(٤) أي ليس فيه صلاة .

(٥) رواه الإمام أحمد 4 / 218 ، وأبو داود (3026) بإسناد حسن .

عن شأن ثقيف إذ بايعت ، فقال : اشترطت على النبي ... أن لا صدقة عليها^(١) ولا جهاد ، وأنه سمع النبي ... بعد ذلك يقول : «سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا»^(٢) .

86 — وعن عامر الشعبي رحمه الله عن رجل من ثقيف قال سألتنا رسول الله ... ثلاثاً فلم يرخص لنا ، فقلنا : إن أرضنا أرض بارده ، فسألناه أن يرخص لنا في الطهور^(٣) ، فلم يرخص لنا ، وسألناه أن يرخص لنا في الدباء ، فلم يرخص لنا فيه ساعة^(٤) ، وسألناه أن يرد إلينا أبا بكر ، فأبى ، وقال : «هو طليق الله وطليق رسوله ...» ، وكان أبو بكر خرج إلى رسول الله ... حين حاصر الطائف^(٥) ، فأسلم^(٦) .

(١) أي لا يدفعون الزكاة . قيل : إنها وافقهم النبي ... على هذا الشرط لأنها لم تكن في ذلك الوقت واجبة عليهم ، وإنما تجب بتمام الحول ، وقد علم ... أنهم سيدفعونها في وقتها إذا أسلموا . وينظر النهاية (مادة : جبا ، ومادة : عشر) .

(٢) رواه أبو داود (3025) بإسناد حسن . ورواه الإمام أحمد 341/3 بإسناد حسن في الشواهد .

(٣) أي أن يعفيهم من غسل الجنابة ، لأن بلادهم — وهي الطائف — باردة .

(٤) الدباء : القرع . والمراد أنهم طلبوا منه ... أن لا يمنعهم من الانتباز في أواني الدباء ، فلم يأذن لهم ، لأن الانتباز فيها يؤدي إلى أن تكون خمرًا في مدة قصيرة .

(٥) لما حاصر النبي ... الطائف قال : من خرج إلينا من العبيد فهو حر ، فخرج أبو بكره ومعه

الفوائد والعبر :

- ١ بيان أهمية الصلاة ، وأهمية التطهر لها ، والذي هو شرط من أهم شروطها ، فالصلاة عموم الإسلام ، وقد روى مسلم في صحيحه عن النبي ... أنه قال : «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» ، فمن ترك الصلاة فليس بمسلم ، ولا خير في دين ليس فيه صلاة ، كما ذكر النبي ... في هذا الحديث .
- ٢ أن من أساليب الدعوة إلى الله تعالى التدرج في دعوة الكفار ، فينبغي أن يبين للكافر أولاً أصول الإسلام ومبانيه العظام التي لا يصح إلّاها ، فيبين له أولاً أمر العقيدة وما يقدر فيها من أنواع الشرك والكفر ، ثم يبين له وجوب الصلاة وأهميتها ، وهكذا ، فإذا طبق الأهم ، وقوي إيمانه بين له ما يليه في الأهمية ، وهكذا ، فلا مانع من تأخير بيان بعض الواجبات التي وقتها موسّع أو لم يحن وقت وجوبها ونحو ذلك . وينبغي أيضاً أن يسلك هذا الأسلوب مع الفساق الموغلين في الفسق ومع من ينتسب إلى هذا الدين ممن يقعون في بعض المحرمات الشركية أو

اثنان وعشرون من عبيد الطائف ، فأعتقهم النبي ينظر صحيح البخاري (4326 ، 4327) ومجمع الزوائد 4 / 245 .

(١) رواه الإمام أحمد 4 / 168 ، 310 بإسناد صحيح . والرجل الثقفي صحابي ، لما يدل عليه لفظ هذه الرواية .

غيرها ، ليكون ذلك سبباً في قبولهم للدعوة ، وتطبيقهم لشرع الله تعالى بمشيئته سبحانه وتعالى . وأسلوب التدرج في الدعوة قد ورد في كتاب الله تعالى ، وأوضح مثال له التدرج في تحريم الخمر ، وقد روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت : «إنما نزل أول ما نزل منه - أي من القرآن - سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار ، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ، ولو نزل أول شيء : (لا تشربوا الخمر) ، لقالوا : لاندع الخمر أبداً ، ولو نزل : (لا تزنوا) ، لقالوا : لا ندع الزنا أبداً» .

٣ يجب على المسلم أن يتعد عن الأمور التي ضررها كبير عليه في دينه ودنياه ، كأثم الخبائث : الخمر ، وما يشبهها من المخدرات ونحوها ، التي تجعل العاقل مجنوناً ، كما قال الشاعر :

جانب الخمرة واحذر وقعها
كيف يسعى في جنون من عقل
ولهذا لم يرخص النبي ... في وضع النبيذ - وهو التمر أو الشعير الذي يوضع في الماء - في آنية الدباء ، لأنه يتخمر فيها سريعاً ، فيؤدي ذلك إلى أن يشرب المسلم المسكر المحرم عليه والمضّرّ به في دينه ودنياه ضرراً عظيماً .

* * *

الدرس الثالث والخمسون

قصة إسلام عثمان بن أبي العاص الثقفي وقدمه في وفد ثقيف

87 - عن عثمان بن أبي العاص قال : قدمت في وفد ثقيف حين وفدوا على رسول الله ... فلبسنا حللنا بباب النبي ... فقالوا : من يمسك لنا رواحلنا ، وكل القوم أحب الدخول على النبي ... وكره التخلف عنه ، قال عثمان وكنت أصغر القوم ، فقلت : إن شئتم أمسكت لكم على أن عليكم عهد الله لتمسكن لي إذا خرجتم ، قالوا : فذلك لك . فدخلوا عليه ثم خرجوا ، فقالوا : انطلق بنا . قلت أين ؟ فقالوا : إلى أهلك . فقلت : ضربت من أهلي حتى إذا حللت بباب النبي ... أرجع ولا أدخل عليه ، وقد أعطيتموني من العهد ما قد علمتم . قالوا : فأعجل ، فإننا قد كفيناك المسألة ، لم ندع شيئاً إلا سألناه عنه . فدخلت فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يفقهني في الدين ويعلمني . قال : ((ماذا قلت ؟)) ، فأعدت عليه القول ، فقال : ((لقد سألتني شيئاً ما سألني عنه أحد من أصحابك ، اذهب فأنت أمير عليهم وعلى من تقدم عليه من قومك ، وأم الناس بأضعفهم)) فخرجت حتى قدمت عليه مرة أخرى ، فقلت يا رسول الله اشتكيت بعدك ، فقال : ((ضع يدك اليمنى على المكان الذي تشككي ، وقل : أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد سبع

مرات))ففعت فشفاني الله عز وجل^(١) .

الفوائد والعبر :

١ - أن الاهتمام بأمر الدين دليل على راحة عقل الإنسان ، وأنه أعقل وأحسن رأياً وأفضل تصرفاً ممن يهتم بأمر الدنيا أكثر من اهتمامه بأمر دينه . وذلك لأن دين العبد هو سبب لرحمة الله ولسعادة العبد في الدنيا والآخرة إذا أحسن في ذلك ، أما أمر الدنيا فإنه لا يتعلق إلا بهذه الدنيا الفانية ، وأيضاً فإن من اهتم بأمر دينه وآخرفته كفاه الله أمر دنياه ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره^(٢) ، وجعل فقره بين عينيه^(٣) ، ولم يأتها من الدنيا إلا ما كتب

(١) رواه الطبراني (8356) بإسناد حسن أو قريب منه إن كان حكيم بن حكيم سمعه من عثمان . وقال الهيثمي 9 / 371 : «رجاله رجال الصحيح غير حكيم بن حكيم ، وقد وثق» ، ورواه الطبراني أيضاً (8336 ، 8393) بنحوه من طريقين آخرين يتقوى بهما الطريق السابق .

(٢) وفي رواية : «فرق الله عليه شمله» والمراد بالشمل : الحال والصناعة والمعاش وما هو مهتم به ، فيشق عليه ليعظم تبعه .

(٣) أي جعله يخاف الفقر ولو كان عنده أموال عظيمة .

له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره ^(١) ، وجعل غناه في قلبه ، وأتته الدنيا وهي راغمة ^(٢) .

٢ - أنه يجب على ولي أمر المسلمين أن يولي عليهم في جميع شؤونهم خيارهم ، ولهذا ولي النبي ... عثمان بن أبي العاص أميراً على ثقيف وعلى أهل الطائف ، لأنه رأى أنه أفضلهم .

٣ - أنه ينبغي لإمام القوم في الصلاة أن يراعي الضعفة من المصلين ، ككبار السن والمرضى ونحوهم ، فإذا كان يصلي خلفه أحد منهم فينبغي له أن يخفف الصلاة بما يناسب حالهم ، بما لا يترتب عليه ترك شيء من الأمور المطلوبة في الصلاة .

٤ - أنه يشرع لمن أصابه مرض أو غيره مما يؤذي العبد أن يلجأ إلى الله تعالى ، فيدعوه ويستعيذ به .

٥ - استحباب رقية الإنسان لنفسه .

* * *

(١) وفي رواية «جمع الله له شمله» .

(٢) أي مقهورة .

(٣) رواه الإمام أحمد 5/ 183 ، وابن ماجه (4105) ، وابن حبان (موارد : 72 ، 73) بإسناد

صحيح . وقد توسعت في تحريجه في رسالة النية ، تحت رقم (31) .

الدرس الرابع والخمسون

مبايعة الغلام ومن به مرض معد

- 88 - عن الهرماس بن زياد - رضي الله عنه - قال : مددت يدي إلى النبي ...
وأنا غلام لبياعيني ، فلم يبايعني ^(١) .
- 89 - وعن الشريد الثقفي - رضي الله عنه - قال : كان في وفد ثقيف رجل
مجذوم ، فأرسل إليه النبي ... : «إنا قد بايعناك ، فارجع» رواه مسلم ^(٢) .

الفوائد والعبر :

- ١ أن الصغير الذي لم يبلغ لا تجب عليه التكاليف الشرعية ، ولا يلزمه ما
التزم به ، ولهذا لم يبايع النبي ... الهرماس لما كان صغيراً ، لأنه لا فائدة من البيعة
وقتئذ ^(٣) ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : «رفع القلم عن ثلاثة : عن الصغير حتى

(١) رواه النسائي في البيعة (4194) ، وابن قانع (2178) وغيرهما ، وسنده حسن . وقد
صححه الحافظ في الإصابة 3 / 569 .

(٢) صحيح مسلم : السلام (2231) .

(٣) ينظر : حاشية السندي على سنن النسائي 7 / 169 .

يحتلم ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يعقل)) ، وذلك أن الصغير الذي لم يبلغ لم يكتمل عقله بعد ، ولهذا فإنه أيضاً يحرم أن يعطي الولي الصغير ما له من أموال عنده ، لأنه يفسدها ، بل يجب عليه أن يحفظها له حتى يبلغ ويؤنس منه الرشد وحسن التصرف في الأموال ، فيعطيها أمواله ، كما قال تعالى : { ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً } [النساء: 5] .

٢ في الحديث الثاني ما يدل على ثبوت العدوى - وهي انتقال المرض من المريض إلى الصحيح - وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((لا يورد ممرض على مصح)) ، وثبت أيضاً عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال عن الوباء : ((إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فلا تخرجوا فراراً منه)) ، وما ذكر في هذين الحديثين هو ما يعرف اليوم بـ ((الحجر الصحي)) ، وروى البخاري عن

(١) رواه الإمام أحمد (24694) ، وأبو داود (4398) ، والنسائي (3432) من حديث عائشة ، وإسناده حسن ، رجاله رجال الصحيح ، وصححه ابن حبان (142) والحاكم 59/2 ، ووافقه الذهبي ، ولهذا الحديث شواهد كثيرة ، تنظر في المجمع 251/6 ، نصب الراية 162/4 - 165 ، الإرواء (297) .

(٢) رواه البخاري (5771) ، ومسلم (2221) .

(٣) رواه البخاري (5730) .

النبى ... أنه قال : «لا عدوى ، ولا طيرة ، ولا هامة ، ولا صفر ، وفرّ من المجذوم كما تفر من الأسد» ، والمراد بالعدوى المنفية في هذا الحديث وغيره : أنه لا شيء يعدي بنفسه بدون مشيئة الله وتقديره ، ويدل لذلك حديث الأعرابي الذي قال للنبي ... : فما بال الإبل تكون في الرحل كأنها الظباء ، فيجىء البعير الأجرى ، فيدخل فيها ، فيجرها كلها ؟ فقال النبي ... : «فمن أعدى الأول» رواه البخاري ومسلم^(١) .

* * *

(١) صحيح البخاري (5707) .

(٢) صحيح البخاري (5717) ، وصحيح مسلم (2220) .

الدرس الخامس والخمسون

قصة إسلام وحشي بن حرب الحبشي - رضي الله عنه -

90 - عن سليمان بن يسار ، عن جعفر بن عمرو بن أمية قال : خرجت مع عبيدالله بن عدي بن الخيار ، فلما قدمنا حمص ، قال لي عبيدالله بن عدي : هل لك في وحشي نسأله عن قتل حمزة ؟ قلت : نعم - وكان وحشي يسكن حمص - فسألنا عنه ، فقيل لنا : هو ذاك في ظل قصره ، كأنه حميت^(١) ، قال : فجئنا حتى وقفنا عليه بيسير فسلمنا ، فرد السلام . قال : وعبيدالله معتجر بعمامته^(٢) ما يرى وحشي إلا عينيه ورجليه . فقال عبيدالله : يا وحشي ، أتعرفني ؟ قال : فنظر إليه ثم قال : لا والله ، إلا أني أعلم أن عدي بن الخيار تزوج امرأة يقال لها : أم قتال بنت أبي العيص ، فولدت له غلاماً بمكة فكنت أسترضع له^(٣) . فحملت ذلك الغلام مع أمه فناولتها إياه فلكأنني نظرت إلى قدميك . قال : فكشف عبيدالله عن وجهه ثم قال : ألا نخبرنا بقتل حمزة ؟ قال : نعم ، إن حمزة قتل طعيمة بن عدي بن الخيار ببدر ،

(١) الحميت : زق كبير ، وهو الوعاء الذي يوضع فيه السمن .

(٢) الاعتجار بالعمامة : أن يلفها على رأسه ، ويضع طرفها على وجهه .

(٣) أي أطلب له من يرضعه .

فقال لي مولاي جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة بعلمي فأنت حر ، قال : فلما أن خرج الناس عام عينين - وعينين جبل بحيال أحد بينه وبينه وادٍ - خرجت مع الناس إلى القتال فلما اصطفوا للقتال خرج سباع فقال : هل من مبارز ؟ قال : فخرج إليه حمزة بن عبد المطلب فقال : يا سباع ، يا ابن أم أنهار مقطعة البظور^(١) ، أتحد الله ورسوله ... ؟ قال : ثم شد عليه فكان كأمس الذاهب^(٢) ، قال : وكمنت لحمزة تحت صخرة ، فلما دنا مني رميته بحررتي فأضعها في ثنثته^(٣) حتى خرجت من بين وركيه ، قال : فكان ذلك العهد به^(٤) . فلما رجع الناس رجعت معهم فأقمت بمكة حتى فشا فيها الإسلام ، ثم خرجت إلى الطائف ، فأرسلوا إلى رسول الله ... رُسلًا^(٥) فقبل لي : إنه لا يهيج الرُّسل^(٦) ، قال : فخرجت معهم حتى قدمت على رسول الله ...^(٧)

(١) أي أن أمه تختن النساء ، يعيره بذلك .

(٢) أي قتله فصيره عدما ، فلحق بالماضي .

(٣) الثنة : العانة .

(٤) أي مات - رضي الله عنه - .

(٥) أي أن أهل الطائف أرسلوا إلى النبي ... رجلاً لمفاوضته .

(٦) أي لا يزعجهم ، ولا يناهم منه مكروه .

(٧) في رواية الطيالسي (1314) : (فلما قدم رسول الله ... أردت أن أهرب منه أريد الشام ،

فأتاني رجل ، فقال : ويحك يا وحشي ، والله ما يأتي محمداً أحد فيشهد بشهادته إلا خلى

فلما رأي قال : ((أنت وحشي ؟)) قلت : نعم ، قال : ((أنت قتلت حمزة)) ، قلت : قد كان من الأمر ما قد بلغك ، قال : ((فهل تستطيع أن تغيب وجهك عني)) ، قال : فخرجت . فلما قبض رسول الله ... فخرج مسيلمة الكذاب قلت : لأخرجن إلى مسيلمة لعلي أقتله فأكافئ به حمزة ^(١) ، قال : فخرجت مع الناس فكان من أم ره ما كان ، فإذا رجل قائم في ثلثة جدار كأنه جمل أَوْرَق ^(٢) ثائر الرأس ، قال : فرميت به حربتي فوضعتها بين ثدييه حتى خرجت من بين كتفيه ، قال : ووثب إليه رجل من الأنصار فضربه بالسيف على هامته .

قال سليمان بن يسار : سمعت عبد الله بن عمر يقول : فقالت جارية على ظه ر بيت : وا أمير المؤمنين ^(٣) ، قتله العبد الأسود . رواه البخاري ^(٤) .

سبيله ، فانطلقت فما شعري إلا وأنا قائم على رأسه أشهد بشهادة الحق ، وفي رواية ابن إسحاق عن الطبراني (2947) وغيره نحوه .

(١) أي أفعل حسنة تساوي سيئة قتل حمزة .

(٢) الأورق : الذي لونه مثل الرماد .

(٣) هذا من باب الندب ، وكانوا يسمون مسيلمة الكذاب : أمير المؤمنين . لأنه كان يتولى أمور أصحابه وأتباعه .

(٤) صحيح البخاري : المغازي (4072) . وينظر في شرح هذا الحديث : عمدة القاري

17 / 158 - 160 ، الفتح 7 / 368 - 371 ، حاشية السندي على المسند (مطبوعة مع

الفوائد والعبر :

- ١ في هذا الحديث ما يدل على الذكاء المفرط لوحشي - رضي الله عنه - ومعرفته بالقيافة ، فقد كان بين رؤيته رجل عبدا لله وهو طفل رضيع وبين رؤيته لها وهو رجل كبير ما يقرب من خمسين سنة ، ومع ذلك عرفه بها .
- ٢ شجاعة حمزة - رضي الله عنه - .
- ٣ جواز عيب الكافر الحربي بما يقدر فيه .
- ٤ أن المرء يكره من أوصل إلى قريبه أذى بليغاً ، وليس هذا من الهجر المنهي عنه .
- ٥ أن الإسلام يكفر ما قبله من شرك أو عداوة وحرب للإسلام وأهله^(١) .
- ٦ حسن إسلام وحشي رضي الله عنه ، حيث ثبت وقت الردة ، ثم جاهد المرتدين ، وحرص على قتل شر الناس ليكافئ به ما صنع وهو مشرك من قتل حمزة رضي الله عنه .
- ٧ أنه ينبغي للعبد إذا تاب من معصية أن يحرص على أن يأتي بأعمال صالحة تقابل تلك المعصية .

المسند 29/484، 485) ، الفتح الرباني 21/59، 60 .

(١) تنظر هذه الفوائد في الفتح 7/371 .

٨ فضل وحشي - رضي الله عنه - حيث نال حمزة على يديه الشهادة ، حتى
كان سيد الشهداء ، ثم أسلم وفاز بفضل الصحبة ، ثم قتل شر الناس مسيلمة
الكذاب .

* * *

الدرس السادس والخمسون

قصة إسلام كعب بن زهير - رضي الله عنه -

91 - عن سعيد بن المسيب ، قال : قدم كعب متنكراً حين بلغه عن النبي ... ما بلغه^(١) فأتى أبا بكر فلما صلى الصبح أتى به وهو متلثم بعمامته ، فقال : يا رسول الله رجل يبائعك على الإسلام ، وبسط يده ، وحسر عن وجهه ، وقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله مكان العائد بك ، أنا كعب بن زهير ، فتجهمته الأنصار وغلظت عليه لما ذكر به رسول الله ...^(٢) ، ولانت له قريش وأحبوا إسلامه وإيمانه ، فأمنه رسول الله ... فأنشد مدحته التي يقول فيها :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متميم إثرها لم يفد مكبول^(٣)
حتى انتهى إلى قوله :

(١) وذلك أن كعباً لما أسلم أخوه بجير قبله قال قصيدة يعرض فيها بالنبي ... فأهدر النبي ... دمه .

(٢) جاء في بعض روايات هذا الحديث أنه لما جاء كعب ليسلم وثب رجل من الأنصار ، فقال : دعني وعدو الله أضرب عنقه ...» .

(٣) بانت : فارقت وبعدت . وسعاد : اسم لامرأة لا حقيقة لها . ومتبول : أصيب بتبل ، وهو درجة من درجات المحبة للشيء .

وقال كل خليل كنت أمله
 فقلت خلوا سبيلي لا أبا لكم
 كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
 نبئت أن رسول الله أوعدني
 إن الرسول لنور يستضاء به
 في فتية من قريش قال قائلهم
 زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
 لا يقع الطعن إلا في نحورهم
 لا ألفينك إني عنك مشغول^(١)
 فكل ما قدر الرحمن مفعول
 يوماً على آله حدباء محمول
 والعفو عند رسول الله مأمول
 وصارم من سيوف الله مسلول
 ببطن مكة لما أسلموا زولوا^(٢)
 يوم اللقاء ولا ميل معازيل^(٣)
 وما بهم عن حياض الموت تهليل^(٤)
 فنظر النبي ... إلى من عنده من قريش فقال : «أي اسمعوا»، فقال كعب :

(١) يعني أنه استجار بجماعة من أصدقائه ، فلم يجبروه ، بل قال له كل واحد منهم : لا أنفكك بشيء ، فأنا مشغول عنك .

(٢) زولوا : أي تحولوا من مكة إلى المدينة ، والمراد أمرهم بالهجرة .

(٣) أنكاس : جمع نكس ، وهو الرجل الضعيف المهين . والكشف : جمع أكشف ، وهو المقاتل الذي ليس معه ترس يتقي به السيوف والسهام ، والميل : جمع مائل ، وهو الذي لا يحسن الركوب على الفرس ، والمعازيل : جمع أعزل ، وهو الذي لا سلاح معه . ومعنى البيت : أن الصحابة في مكة لما قيل لهم (هاجروا) هاجروا ابتغاء وجه الله ، وليس فيهم ضعف ولا أعزل ، وإنما كلهم أقوياء شجعان .

(٤) أي لا ينكصون عن القتال جبناً .

شم العرائن أبطال لبوسهموا من نسج داود في الهيجا سراييل^(١)
لا يفرحون إذا زالت رماحهموا قوماً وليسوا مجازياً إذا نيلوا^(٢)
يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ضرب إذا عرد السود التناييل^(٣)
فلما قال : «عرد السود التناييل» يعرض بالأنصار لغلظتهم عليه ، أنكرت
قريش ما قال ، وقالوا لم تمدحنا إذ هجوتهم ، ولم يقبلوا ذلك حتى قال بعدما أسلم :
من سره كرم الحياة فلا يزال في مقنب من صالح الأنصار^(٤)

- (١) شَم : جمع أشم ، وهو الذي في أنفه علو . والعرائن : الأنوف . ولبوسهموا : ما يلبسونه ، والمراد : أن لباسهم في الحرب الدروع التي اخترعها نبي الله داود عليه السلام .
والسراييل : القمص .
- (٢) أي لا يكثرثون كثيراً إذا انتصروا لأن النصر عادتهم ، وكذلك عند الهزيمة لا يجزعون ولا يخافون .
- (٣) الزهر : البيض ، ويعصمهم : يمنعمهم ، والسود : جمع أسود ، والتناييل : القصار ، فهو يصف المهاجرين بامتداد القامة والبياض والرفق في المشي ، وهو دليل الوقار . ومعنى عرد : فرّ وأعرض . وقيل : إنه بهذا يعرّض بالأنصار كما في هذه الرواية .
- (٤) المقنب : الجماعة من الخيل ، يريد به القوم على ظهور خيولهم .
وينظر في شرح أبيات هذه القصيدة : شرحها للخطيب التبريزي ، وشرحها لابن هجة الحموي ، والروض الأنف 4 / 280 - 289 ، القول المستجد وحاشيته ، توثيق قصيدة بانة سعاد للدكتور سعود الفينسان .

الباذلين نفوسهم لنبيهم
يتطهرون كأنه نسك لهم
صدموا علياً يوم بدر صدمة
ذلت لوقعتها جميع نزار
يوم الهياج وسطوة الجبار
بدماء من علقوا من الكفار
يعني ابن علي بن سود وهم بنو كنانة ، فكساه النبي ... بردة اشتراها معاوية
من آل كعب بن زهير بهال كثير قد سُمِّي فهي البردة التي تلبسها الخلفاء في
العيدين^(١) .

(١) رواه محمد بن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ص 46 ، 47 قال : أخبرني محمد بن سليمان ، عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، ومحمد بن سليمان كأن الأقرب أنه محمد بن سليمان ابن الأصبهاني الكوفي ، وعليه فهذا مرسل حسن ، وقد توبع محمد بن سليمان هذا عند ابن قانع (1657) فقد رواه من طريق الزبير بن بكار ، عن بعض أهل المدينة ، عن يحيى بن سعيد به . ومراسيل سعيد قويه ، صححها غير واحد من أهل العلم .
وله شاهد متصل رواه ابن ديزل في جزئه (15) ، والحاكم 3/ 579 - 582 وصححه ، وفي سنده رجالان لم أفق على ترجمتهما .
وله شاهد آخر من مرسل عاصم بن عمر ، رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام 4/ 501 - 515 ، والطبراني 19/ 176 - 179 ، والحاكم 3/ 583 - 585 وسنده حسن .
وله شاهد ثالث من مرسل موسى بن عقبة رواه ابن ديزل (17) ، والحاكم 3/ 582 ، 583 وصححه ، وهو كما قال .

الفوائد والعبر :

- ١ أن من سب النبي ... يستحق القتل^(١) .
- ٢ أن العفو والصفح من الأخلاق التي حث الله تعالى عليها ، واتصف بها نبينا محمد...^(٢) .
- ٣ سجواز إنشاد الشعر الحسن في المسجد^(٣) .
- ٤ أن الشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((

وله شاهد رابع من مرسل ابن جدعان رواه ابن ديزل (16) ، والحاكم 3 / 582 وسنده ضعيف .

وبالجملة فالحديث حسن بمجموع هذه الأسانيد . وينظر ((القول المستجاد في بيان صحة قصيدة بانة سعاد)) لإسماعيل الأنصاري ، وقد اقتصر على ذكر الأبيات التي وردت في مرسل سعيد هذا ، ولم أزد عليها سوى ثلاثة أبيات ليس فيها ما يستنكر بل معناها صحيح ، وهي البيت السادس ، والبيت العاشر ، والبيت الحادي عشر ، وأما بقية أبيات القصيدة ففي ثبوتها نظر ، لأن بعض الروايات السابقة لم تذكر كل الأبيات ، وبعضها أشارت إلى القصيدة ، ولم تذكر أبياتها .

(١) الصارم المسلول على شاتم الرسول ص 145 .

(٢) مدارج السالكين 1 / 428 .

(٣) نيل الأوطار 2 / 168 .

إن من الشعر لحكمة ((رواه البخاري^(١) .

٥ أن التغزل بالنساء إذا لم يكن فيه إسفاف ، ولا تعيين لامرأة ، ولا دعوة إلى محرم ونحو ذلك من الأمور المنهي عنها مما يتسامح فيه^(٢) .

٦ أن الشعر وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى ، ولعله لأجل هذا طلب النبي ... من الصحابة أن يسمعوا ثناء كعب عليهم في أعمال الخير والجهاد ، لما في ذلك من التشجيع لهم على الخير .

* * *

(١) صحيح البخاري (6145) .

(٢) غذاء الألباب 1 / 180 ، 181 ، توثيق قصيدة بانت سعاد ص 47 .

الدرس السابع والخمسون

خبر إسلام سلمة بن قيس الجرمي وقومه جرم

92 - عن عمر بن سلمة قال : كنا بباء ممر الناس وكان يمر بنا الركبان ^(١) فنسألهم : مال الناس ؟ مال الناس ؟ ما هذا الرجل ؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله ، أوحى إليه أو أوحى الله إليه بكذا ، فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يقرأ في صدري ^(٢) ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتاح ^(٣) فيقولون : اتركوه وقومه ، فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق . فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم ^(٤) ، فلما قدم قال : جئكم والله من عند النبي ... حقاً ، فقال : «صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلوا صلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم ، وليؤمكم أكثركم قرآناً» فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآناً مني ، لما كنت أتلقى من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني ، فقالت امرأة من

(١) أي أنهم كانوا نازلين على ماء على طريق المسافرين من المدينة ، وكان يمر بهم المسافرون .

(٢) أي أنه يحفظه مباشرة .

(٣) أي ينتظرونه .

(٤) أي أسلم قبلهم .

الحي : ألا تغطون عنا أست قارئكم؟ فاشتر وافقطعوا لي قميصاً^(١) ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص . رواه البخاري^(٢) وفي رواية أبي داود : فما شهدت مجمعاً من جرم إلا كنت إمامهم^(٣) .

الفوائد والعبر :

١ - ينبغي الحرص على حث الأولاد من بنين وبنات في صغرهم على حفظ كتاب الله تعالى ، لأن الصغير أقوى حافظاً من الكبير ، فهذا عمرو بن سلمة يحفظ السورة والمقطع من القرآن في أول مرة يسمعه ، وبعض الصغار يحفظه في مرتين ، وبعضهم أكثر من ذلك وعلى وجه العموم فإن مقدرة الصغير على الحفظ تفوق مقدرة من هو أكبر منه سناً غالباً .

٢ - إن المسلم إذا صبر على أذى أهل الكفر وأهل الباطل والفسق واستمر في دعوته ونصرته لدين الله تعالى فإن الغلبة والنصرة له في آخر الأمر بمشيئة الله تعالى وتأييده ، فهذا النبي ... صبر وجاهد حتى كانت النصره له في آخر الأمر والله الحمد

(١) أي اشتروا له ثوباً ، ففي رواية أبي داود (585) «فاشترتوا لي قميصاً عمانياً».

(٢) صحيح البخاري : المغازي (4302) .

(٣) سنن أبي داود (587) ورجاله ثقات .

والمنة .

٣ - أن أهل القرآن وهم الذين يحرصون على تلاوته وحفظه والعمل به هم أفضل منزلة في الدنيا والآخرة ، فهم يقدمون على غيرهم في الصلاة كما في هذا الحديث ، وفي صحيح مسلم عن النبي ... قال : «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين» ، وفي الصحيحين عن النبي ... قال : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» ، وفي الحديث الصحيح «يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها» .

* * *

(١) صحيح مسلم (817) .

(٢) صحيح البخاري (5027) .

(٣) رواه الترمذي (2914) ، وأبو داود (1464) بإسناد حسن . وينظر في شرح حديث عمرو

بن سلمة : شرح الكرماني 141/16 ، عمدة القاري 17/289 ، النهاية ، الفتح 8/23 .

الدرس الثامن والخمسون

قصة إسلام عدي بن حاتم الطائي

93 - عن أبي عبيدة بن حذيفة عن عدي بن حاتم رضي الله عنهم قال لما بعث الله عز وجل النبي ... فررت منه حتى كنت في أقصى أرض المسلمين مما يلي الروم . قال : فكرهت مكاني الذي أنا فيه حتى كنت له أشد كراهية له مني من حيث جئت ، قال : قلت : لآتين هذا الرجل فوالله إن كان صادقاً فلاأسمعن منه ، وإن كان كاذباً ما هو بضاري .

قال : فأتيته واستشرفني الناس ، وقالوا : عدي بن حاتم ، عدي بن حاتم ، قال : أظنه قال : ثلاث مرات ، قال : فقال لي رسول الله ... : ((يا عدي بن حاتم ، اسلم تسلم)) ، قال : قلت : إني من أهل دين . قال : ((يا عدي بن حاتم ، أسلم تسلم)) ، قال : قلت : إني من أهل دين ، قالها ثلاثاً . قال : ((أنا أعلم بدينك منك)) قال : قلت : أنت أعلم بديني مني ؟ قال : ((نعم)) قال : ((ألست ترأس قومك ؟)) قال : قلت : بلى . قال : ((ألست تأكل المربع^(١) ؟)) قال : قلت : بلى . قال : ((فإنه لا يحل في دينك المربع)) . قال : فلما قالها تواضعت لها . قال : ((وإني قد أرى أن مما

(١) المربع : ربع الغنيمة .

يمنعك خصاصة تراها ممن حولي^(١) وأن الناس علينا إلباً واحداً^(٢) ، هل تعرف مكان الحيرة^(٣) ؟ قال : قلت : قد سمعت بها ولم آتها . قال : ((لتوشكن الظعينة^(٤) أن تخرج منها بغير جوار حتى تطوف بالكعبة ، ولتوشكن كنوز كسرى بن هرمز أن تفتح)) ، قال : قلت : كسرى بن هرمز ؟ . قال : ((كسرى بن هرمز)) ثلاث مرات ، ((ولتوشكن أن يبتغي الرجل من يقبل ماله منه صدقة فلا يجد)) قال : فلقد رأيت اثنتين ، قد رأيت الظعينة تخرج من الحيرة بدون جوار حتى تطوف بالكعبة ، وكرت في الخيل التي أغارت على المدائن^(٥) ، وأيم الله لتكونن الثالثة^(٦) ، إنه لحديث رسول الله ... حدثنيه^(٧) .

(١) أي ترى فقراً وحاجة فيمن معي من المسلمين .

(٢) أي مجتمعين على عدائنا وحرابتنا .

(٣) قال في معجم البلدان 328 / 2 (الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع

يقال له النجف) .

(٤) الظعينة : المرأة في الهودج .

(٥) المدائن : عاصمة دولة الفرس ، الذين ملكهم كسرى ، وقد فتحها المسلمون في عهد عمر بن

الخطاب .

(٦) وقد وقعت هذه في عهد عمر بن عبدالعزيز . ينظر الفتح 6 / 613 .

(٧) رواه أحمد 4 / 378 ، وابن حبان (6679) ، والحاكم 4 / 518 وإسناده حسن ، رجاله

الفوائد والعبر :

- ١ أن من عصى الله تعالى يعيش في ضيق وقلق دائم ويعيش عيشة نكدة ،
وتجلى هذا واضحاً في حياة عدي رضي الله عنه قبل الإسلام ، وقد أشار ربنا جل
وع لا إلى ذلك بقوله جل جلاله { ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشةً ضنكاً
ونحشره يوم القيامة أعمى } [طه: 124] .
- ٢ ممن أساليب الدعوة إلى الله : إخبار كل من كان على باطل عن ما في باطله
من الضلال والانحراف ، وذلك بأسلوب المناسب ، ليكون ذلك - بإذن الله -
سبباً في تركه لهذا الباطل .
- ٣ عداء أهل الضلال من مشركين ومنافقين للحق واجتماعهم على ذلك .
- ٤ وجوب الإيمان بجميع أمور الغيب التي أخبر عنها النبي ... ، ويحرم على
العبد أن يعمل عقله في شيء من ذلك .
- ٥ قوة إيمان عدي رضي الله عنه ، ولهذا أقسم بأن ما أخبر به النبي ...
سيقع .
- ٦ في هذا الحديث معجزة من معجزات نبينا محمد

ثقات ، رجال الصحيحين ، عدا أبي عبيدة ، وقد وثقه ابن حبان والعجلي ، وهو من كبار
التابعين ، ولأوله شاهد عند أحمد 4 / 378 ، ولآخره شاهد عند البخاري (3595) .

الدرس التاسع والخمسون

إسلام كندة وقدم وفدهم

94 - عن الأشعث بن قيس - رضي الله عنه - قال : أتيت رسول الله ... في وفد كندة ، ولا يروني إلا أفضلهم ، فقلت : يا رسول الله أستم منا ؟ فقال : نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفوا أمتنا^(١) ، ولا نتنفي من أبنائنا ، قال : فكان الأشعث بن قيس يقول : لا أوتى برجل نفى رجلاً من قريش من النضر بن كنانة إلا جلده الحدة^(٢) .

95 - وعن الأشعث بن قيس أيضاً قال : قدمت على رسول الله ... في وفد كندة ، فقال لي : ((هل لك من ولد ؟)) ، قلت : غلام ولدي في مخرجي إليك من ابنة جمد ، ولوددت أن مكانه شيع القوم^(٣) ، فقال ... : ((لا تقولن ذلك ، فإن فيهم قرّة

(١) أي لا تنتههما بالزنى .

(٢) رواه الإمام أحمد (21839) ، وابن ماجه (2612) وغيرهما ، وسنده حسن . وقد صححه البوصيري في الزوائد .

(٣) في رواية الطبراني (647) : ((ولدي من بنت جمد بن وليعة الكندي وددت لو كان لنا به

قصعة ثريد)) .

عين وأجرأ إذا قبضوا ، ولئن قلت ذلك فإنهم لمجنبة ومحزنة ومبخله^(١)» .

الفوائد والعبر :

١ تحريم انتساب الرجل إلى غير أهله وقبيلته ، لأن في ذلك ا تهام لوالدته بالفجور .

٢ أن من أخرج رجلاً أو قوماً عن نسبهم الثابت يستحق حد القذف^(٢) ، ولهذا فإنه يجب على المسلم أن يحذر مما وقع كثير من الناس من التساهل في هذا الأمر ، حيث تجد أحدهم يجزم بنسبة رجل أو قبيلة إلى غير من اشتهر انتسابهم إليه لمجرد قول سمعه أو قرأه ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : «أربع في أمي من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفجر في الأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء

(١) أي أن الرجل إذا كثرت أولاده جبن عن الحروب استبقاء لنفسه ، وبخل بماله ، لينفق عليهم ، وإذا أصابهم شيء حزن . ينظر : شرح السنة 13 / 36 ، النهاية : مادة (بخل) .

(٢) رواه الإمام أحمد (21840) ، والطبراني (646) وفي سنده ضعف ، ورواه الطبراني (647) من طريق آخر فيه ضعف يسير أيضاً ، ورواه الحاكم 4 / 239 بنحوه أخصر منه ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قال ، وقال ابن كثير في البداية 6 / 314 : «تفرد به أحمد ، وهو حديث حسن ، جيد الإسناد»، وللمرفوع منه شواهد كثيرة .

(٣) ينظر : زاد المعاد 6 / 618 .

بالنجوم ، والنياحة)) رواه مسلم^(١) .

٣ - أن الأولاد فيهم خير لوالديهم لمن أحسن تربيتهم ، فهم قرّة عين لوالديهم لما يحصل منهم من الرفع لهم ، ولسرورهم بهم إذا رأوهم وهم على حال حسنة ، ولما يحصل لهم من الأجور عند وفاة من توفي منهم صغيراً واحتسب والداه الأجر في ذلك .

٤ - أن الله تعالى يختبر الوالدين بأولادهما ، هل يكونون سبباً لطاعتها لله تعالى ، أم يكونون سبباً لمعصيتها لله تعالى ، كما قال سبحانه وتعالى : { إنما أموالكم وأولادكم فتنة } [التغابن: 15] ، فكثير من الآباء يكون حرصه على أولاده سبباً في تركه للجهد أو فراره عند القتال استبقاء لنفسه بزعمه لينفق على أولاده ، ومنهم من يكون حرصه على أولاده سبباً في دخول كثير من الأحران عليه كلما أصاب أحداً منه أمراً مؤذياً ، ومنهم من يكون حرصه على أولاده سبباً في بخله بالإنفاق أو الصدقة الواجبة أو المستحبة ، فيكنز المال للنفقة عليهم ، وليستفيدوا منه في مستقبل أمرهم . وما علم هؤلاء أن الآجال لها مواعيد محدهة مقدرة سلفاً ، ومثلها الأرزاق لهم ولأولادهم .

وأيضاً فقد يكون الأولاد سبب فتنة لوالديهم بطاعتهم لهم في معصية الله

(١) صحيح مسلم (934) .

تعالى ، فقد يدعوهم حنانهم عليهم إلى عدم أمرهم بالمعروف ونهيههم عن المنكر ،
وقد يدخل الوالدان آلات اللهو في بيوتهم استجابة لطلب الأولاد ، وقد أفتى
شيخنا محمد بن صالح بن عثيمين أن من يتوفاه الله تعالى والتلفاز في بيته ينطبق عليه
قول النبي ... : ((ما من عبد يستر الله رعية بموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا
حرم الله عليه الجنة)) متفق عليه^(١) .

* * *

(١) صحيح البخاري (715) ، وصحيح مسلم (142) .

الدرس الستون

خبر إسلام بني المنتفق وقدم وافدهم

96 - عن لقيط بن صبرة وافد بني المنتفق - رضي الله عنه - : أنه انطلق هو وصاحب له إلى النبي ... فلم يجده ، فأطعمتهما عائشة تمرًا وعصيدة ، قال : فلم نلبث أن جاء النبي ... يتقلع يتكفأ^(١) ، فقال : «أطعمتما ؟ » قلنا : نعم . قلت : يا رسول الله ، أسألك عن الصلاة . قال : «أسبغ الوضوء ، واخلل الأصابع ، وإذا استنشقت فأبلغ ، إلا أن تكون صائماً» .

قلت : يا رسول الله ، إن لي امرأة - فذكر من طول لسانها وبذائها^(٢) - قال : «طلقها» قلت : إن لها صحبة وولداً . قال : «مرها ، أو قل لها ، فإن يكن فيها خير فستفعل ، ولا تضرب ظعيتك ضربك أمتك»^(٣) .

فبينما هو كذلك إذ دفع الراعي الغنم في المراح ، وعلى يده سخلة ، فقال النبي ... : «أولدت ؟ » قال : نعم . قال : «ماذا ؟ » قال : بهمة . قال : «اذبح مكانها

(١)

(٢) أي سوء خلقها .

(٣) «أمة» وهي المرأة المملوكة .

شاة)) ثم أقبل علي ، فقال : ((لا تحسبن إنما ذبحناها من أجلك ، لنا غنم مئة ، لا نحب أن نزيد عليها ، فإذا ولد الراعي بهمة ، أمرناه فذبح مكانها شاة))^١ .

الفوائد والعبر :

- ١ - أن إكرام الضيف خلق .
- ٢ - يجب على المسلم أن يسأل عن أحكام دينه .
- ٣ - أن سوء الخلق من الأمور المذمومة التي جاء الشرع بالنهي عنها .
- ٤ - أنه ينبغي للرجل عند رغبته في الزواج أن يبحث عن الزوجة التي تتحلى بالأخلاق الفاضلة ، وأن لا يكون همه البحث عن ذات الجمال أو المال ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((تنكح المرأة على إحدى خصال ثلاث خصال : تنكح المرأة على مالها ، وتنكح المرأة على جمالها ، وتنكح المرأة على دينها ، فخذ ذات الدين والخلق تربت يمينك))^٢ .

(١) رواه عبدالرزاق (80) ، والإمام أحمد (16384 ، 17846) ، وأبو داود (144) وإسناده صحيح ، ولم يسق أبو داود لفظه .

(٢) رواه الإمام أحمد (11765) ، وابن حبان (4037) ، والحاكم 2 / 161 وغيرهم من حديث أبي سعيد . وسنده حسن ، رجاله ثقات ، عدا زينب بنت كعب بن عجرة ، وهي زوجة أبي سعيد الخدري ، مختلف في صحتها ، فهي من كبار التابعين على أقل أحوالها ، ووثقها ابن

٥ مشروعية تقويم المعوج من تصرفات وأخلاق الآخرين بالحكمة ،
والموعظة الحسنة .

٦ أنه ينبغي للرجل أن لا يلجأ إلى ضرب زوجته إلا عند تعذر استصلاحها بدونه ، وإذا ضربها فينبغي له أن لا يسرف في الضرب ، فيضربها أو ينفرها بدلاً من أن يستصلحها .

* * *

حبان . فحديثها لا ينزل عن درجة الحسن ، وقد صححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ،
وصححه أيضاً المنذري (2870) ، وقال الهيثمي 4 / 254 : ((رجاله ثقات)).

الدرس الحادي والستون

خبر إسلام حمير وقدم وفداهم

97 - عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال : جاء نفر من بني تميم

إلى النبي ... ، فقال : ((يا بني تميم أبشروا))^(١) ، فقالوا : بشرتنا فأعطنا - مرتين^(٢) -

فتغير وجهه ... ، فجاءه أهل اليمن^(٣) ، فقال : يا أهل اليمن : ((اقبلوا البشرى ، إذ

لم يقبلها بنو تميم)) ، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله ، ثم قالوا : جئنا نسألك عن هذا

الأمر^(٤) . فقال ... : ((كان الله ولم يكن شيء غيره ، وكان عرشه على الماء ، وكتب في

الذكر^(٥) كل شيء ، وخلق السماوات والأرض)) ، فنادى مناد : ذهب ناقتك يا بن

الحصين ، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب^(٦) ، فوا لله لوددت أني كنت

(١) أي أبشروا بما هو سبب لدخول الجنة ، وهو الفقه في الدين ، والعمل به .

(٢) ذكر ابن الجوزي أن قائل هذه الجملة هو ((الأقرع بن حابس التميمي)) .

(٣) وهم وفد قبيلة ((حمير)) اليمنية .

(٤) يحتمل أنهم سألوا عن أحوال هذا العالم ، ويحتمل أنهم سألوا عن أول جنس المخلوقات .

(٥) وهو اللوح المحفوظ .

(٦) السراب : ما يرى نصف النهار من بعد كأنه ماء .

تركتها . رواه البخاري^(١) .

الفوائد والعبر :

١ - أن ضعف الإيمان يحمل صاحبه على الحرص على الدنيا الفانية وعلى الزهد في طاعة الله وثوابه ، ولهذا لم يقبل كبير وفد تميم - وهو الأقرع بن حابس كما ذكر بعض أهل العلم - البشارة بما هو سبب لدخول الجنة ، وذلك بسبب ضعف إيمانه في هذا الوقت ، ثم حسن إسلامه بعد ذلك ، أما بقية وفد تميم فليس في هذا الحديث ما يدل على ضعف إيمانهم ، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ... ، سمعت رسول الله ... يقول : ((هم أشد أمتي على الدجال)) ، قال : وجاءت صدقاتهم ، فقال النبي ... : ((هذه صدقات قومنا)) ، قال : وكانت سبيّة منهم^(٢) عند عائشة ، فقال رسول الله ... : ((أعتقها فإنها من ولد إسماعيل))^(٣) .

(١) صحيح البخاري : بدء الخلق (3190 ، 3191) . وينظر في شرح هذا الحديث : كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي 1/ 479 ، فتح الباري 6/ 288 ، و8/ 97 .
(٢) السبيّة : المملوكة ، وكان هذه المملوكة مما سباه المسلمون من بعض كفار تميم ، فأصبحت مملوكة للمسلمين .

(٣) صحيح البخاري (3493) ، وصحيح مسلم (2525) .

٢ - أنه ينبغي للمسلم أن يهتم بأمر الآخرة الباقية أكثر من اهتمامه بأمر الدنيا الحقيرة القصيرة الفانية ، وأن لا يقدم حطام الدنيا على ما هو سبب لرحمة الله والفوز بجنة عرضها السماوات والأرض ، وفيها من النعيم أعظم وأفضل مما رآه الناس في هذه الحياة مرات ومرات ومرات ، وقد روى البخاري في صحيحه عن أنس : أن أم حارثة أتت رسول الله ... - وقد هلك حارثة يوم بدر أصابه سهم غرب - فقالت : يا رسول الله ، قد علمت موقع حارثة من قلبي ، فإن كان في الجنة لم أبك عليه ، وإلا سوف ترى ما أصنع . فقال لها : «هبلي ، أجنة واحدة هي ؟ إنها جنان كثيرة ، وإنه في الفردوس الأعلى» ، وقال : «غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها ، ولقباق قوس أحدكم أو موضع قدم من الجنة خير من الدنيا وما فيها ، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما ، ولملأت ما بينهما ريحاً ، ولنصيفها - يعني الخمار - خير من الدنيا وما فيها» .

٣ - بيان عظمة الله تعالى ، وأنه الأول ، فليس قبله شيء ، وأنه تعالى ليس محتاجاً إلى شيء من مخلوقاته .

٤ - بيان أن الله تعالى قد كتب ما هو كائن إلى يوم القيامة قبل خلق السماوات والأرض ، وقد روى ...

٥ حرص الصحابة على طلب العلم ، وتقديمهم له على متاع الحياة الدنيا .

* * *

الدرس الثاني والستون

قصة إسلام جابر بن سليم التميمي

98 - عن أبي جري جابر بن سليم - رضي الله عنه - ، قال : رأيت رجلاً يصدر الناس عن رأيه ، لا يقول شيئاً إلا صدروا عنه ، قلت : من هذا ؟ قالوا : [هذا] رسول الله ... ، قلت : عليك السلام يا رسول الله - مرتين - قال ((لا تقل عليك السلام ؛ فإن عليك السلام تحية الميت ، قل : السلام عليك)) قال : قلت : أنت رسول الله ... ؟ قال ((أنا رسول الله الذي إذا أصابك ضر فدعوته كشفه عنك ، وإن أصابك عام سنة فدعوته أنبتها لك ^(١) ، وإذا كنت بأرض فقراء أو فلاة فضلت راحلتك فدعوته ردها عليك)) قلت : اعهد إلي ^(٢) ، قال ((لا تسبن أحداً)) قال : فما سببت بعده حرّاً ولا عبداً ولا بعيراً ولا شاة ، قال ((ولا تحقرن شيئاً من المعروف ، وأن تكلم أخاك وأنت منبسط إليه وجهك إن ذلك من المعروف ، وارفع إزارك إلى نصف الساق ، فإن أبيت فإلى ال كعبين ، وإياك وإسبال الإزار فإنها من

(١) السنّة : الجذب . أي إذا أصابه جذب وقلة مطر ودعى الله أن يغيثه ، فإن الله تعالى يستجيب

دعاء من دعاه .

(٢) أي أوصني .

المخيلة ، وإن الله لا يحب المخيلة ، وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه فإنما وبال ذلك عليه ﴿٢﴾ .

الفوائد والعبر :

- ١ - وجوب تعليم الجاهل عند وقوعه في خطأ مخالف لشرع الله تعالى .
- ٢ - حلى الداعية أن يذكر في دعوته ما يناسب حال المدعو .
- ٣ - حلى الداعية أن يبدأ بذكر التوحيد في دعوته ، وأن لا يغفل عن توضيح مسائل العقيدة في كل مناسبة يمكنه توضيحها فيها .
- ٤ - أن السباب والشتام من الأخلاق السيئة التي نهي عنها في الإسلام .
- ٥ - سرعة استجابة الصحابة لما يأمرهم به النبي ... ، وحرصهم على تطبيقه .
- ٦ - أنه ينبغي للمسلم أن يحسن إلى الآخرين ، وأن يبذل لهم ما يستطيعه من الأمور التي عرف في الشرع حسنها .
- ٧ - أن طلاقة الوجه وإظهار السرور عند مخاطبة المسلم لأخيه المسلم خلق رفيع ندب إليه نبينا محمد

(١) رواه الإمام أحمد 5/63، 64، وأبو داود (4084)، وابن حبان (521، 522) بإسناد حسن ، وصحح إسناده النووي في رياض الصالحين (796) .

٨ تحريم إسبال الثياب أسفل من الكعبين ، وقد ثبت عن الربيعي ... أنه قال :
(«ما أسفل من الكعبين من الإزار فهو في النار») رواه البخاري^(١) ، وإذا أسبل المسلم
ثيابه خيلاء كان الإثم أعظم ، فقد ثبت عن النبي ... أنه قال : («من جر ثوبه خيلاء
لم ينظر الله إليه يوم القيامة») رواه البخاري ومسلم^(٢) .

٩ - أنه يستحب للمسلم أن يعفو عن من أساء إليه بقول أو فعل .

* * *

(١) صحيح البخاري (5787) .

(٢) صحيح البخاري (3665) ، وصحيح مسلم (2085) .

الدرس الثالث والستون

خبر إسلام قيس بن عاصم السعدي التميمي وقدمه في وفد تميم

99 - عن قيس بن عاصم السعدي - رضي الله عنه - قال : أتيت رسول الله ... فقال : ((هذا سيد أهل الوبر^(١))) فقلت : يا رسول الله ، ما المال الذي ليس عليّ فيه تبعة من طالب ولا من ضيف^(٢) ؟ فقال رسول الله ... : ((نعم المال أربعون ، والكثرة ستون ، وويل لأصحاب المئين^(٣) ، إلا من أعطى^(٤) الكريمة ، ومنح الغزيرة^(٥) ، ونحر السمينة ، فأكل وأطعم القانع والمعتز^(٦))) قلت : يا رسول الله ما

(١) وهم البادية الذين يسكنون الخيام المصنوعة من وبر الإبل .

(٢) أي حقوق لرجل جاء يسأل أو لضيف .

(٣) أي أن القليل من الإبل لا تبعة فيه ، لكن إذا كثرت فبلغت مائة أو أكثر ففيها حقوق ويل لمن قصر في أدائها .

(٤) لعل المراد بالعطية هنا : افقار الظهر ، وهو أن يعطي الجمل لمن يركبه ثم يرده ، كما هو ظاهر لفظ الحاكم وغيره .

(٥) الكريمة : العزيزة على صاحبها . والغزيرة : كثيرة اللبن .

(٦) القانع : السائل . والمعتز : من يأتي ليعطى ، لكن يستحيي من السؤال .

أكرم هذه الأخلاق^(١) ، لا يُحُلُّ بواد أنا فيه من كثرة نَعَمِي^(٢) . فقال : «كيف تصنع بالعطية ؟» قلت : أعطي البكر وأعطي الناب^(٣) . قال : «كيف تصنع في المنيحة ؟» قال : إني لأمنح في كل عام مائة^(٤) ، فقال النبي ... : «فإنك أحب إليك أم مال مواليك ؟» قال : مالي . قال : «فإنما لك من مالك ما أكلت فأفنت ، أو أعطيت فأمضيت ، وسائرهُ لمواليك» فقلت : لا جرم ، لئن رجعت لأُقِلَّنَّ عددها^(٥) . فلما حضره الموت جمع بنيهِ^(٦) ، فقال : يا بني ، خذوا عني ، فإنكم لن تأخذوا عن أحد

- (١) أي : ما هو أفضل الإحسان في هذه الأمور المذكورة ، من العطية وهي الإفقار - أو المنيحة - وهي إعطاء الناقة الحلوب لمن يجلبها مدة ثم يردّها - أو الذبائح للتصدق بلحمها .
- (٢) أي أنه يملك المآت من الإبل ، حتى أنها لكثرتها تملأ الوادي الذي ينزل فيه ، فلا يجد أحد غيره مكاناً في هذا الوادي ينزل فيه .
- (٣) أي أنه يعطي من صغار الإبل ومن كبارها من يركبها ثم يردّها ، وفي اللفظ الآخر : «إني لأفقر البكر الضرع والناب المدبر» .
- (٤) في الأدب المفرد : «لأمنح المائة» ، والتصويب من الثقات .
- (٥) الموالي : الأقارب ، والمراد الورثه .
- (٦) أي سأتصدق منها وأنفق منها حتى يقل عددها ، وفي رواية الطبراني : فقال الحسن : ففعل والله» .

(٧) في رواية عند الطبراني 341/18 أن عددهم 32 ذكراً ، وأنهم ضرب لهم مثلاً على ضرورة الاجتماع وعدم الفرقة بالسهام حيث يكسر الواحد والاثنان والثلاثة بسهولة ، بخلاف

هو أنصح لكم مني : لا تنوحوا عليّ^(١) فإن رسول الله ... لم يُنح عليه . وقد سمعت النبي ... ينهى عن النياحة ، وكفوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها . وسودوا أكابركم^(٢) ، فإنكم إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة ، وإذا سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم ، وأصلحوا عيشكم^(٣) فإن فيه غنى عن طلب الناس ، وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب المرء ، وإذا أنامت فادفوني في مكان لا يعلم به أحد ، فإنه كان يكون شيء بيني وبين هذا الحي من بكر بن وائل - خماشات^(٤) - فلا آمن سفيهاً أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في دينكم^(٥) .

ثلاثين سهماً ، وطبق ذلك عملياً .

(١) النياحة : هو البكاء على الميت مع وجود صوت ورنه وندب من النائح ، والندب هو تعداد محاسن الميت مع مناداته بحرف ((و)) ، كأن يقول : ((وا محمداه)) ، أو ((واجبلاه)) ، والنياحة عالياً تكون من النساء ، وهي محرمة .

(٢) أي اجعلوا كبار السن منكم هم السادة المطاعون فيكم .

(٣) أي أموالكم .

(٤) الخماشات : الجراحات والجنايات التي دون القتل .

(٥) خشي أن يعتدي أحد من سفهاء بكر بن وائل على قبره بنبش أو إهانة ، فتحصل شرور بين أولاده وبين بني بكر ، فيصيبهم بسبب ذلك ضرر في دينهم ، كما هو صريح في لفظ الحاكم وغيره .

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (953) واللفظ له ، وابن حبان في الثقات 320 / 6 ،

الفوائد والعبر :

١ أن المال فتنة واختبار لصاحبه هل يطيع الله في جمعه وتنميته وإنفاقه أم يعصي الله في ذلك ، كما قال تعالى : { إنما أموالكم وأولادكم فتنة } [:] ، وكلما كثر المال عظمت الفتنة وعظم الامتحان ، وقل حينئذ من يجتاز هذا الإمتحان بسلامة ونجاة ، ولهذا تجد كثير من أرباب الأموال الكثيرة يقعون في الكثير من المحرمات ، كالتعامل بالربا ، وكبيع المحرمات ، وغير ذلك ، ومنهم من يتلى بكنز المال ، فلا ينفق في سبيل الخير ، بل ربما ييخل بالزكاة والصدقة الواجبة ، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ... : ((هم الأخسرون ورب الكعبة)) ، قال : يا رسول الله فذاك أبي وأمي من هم ؟ قال : ((هم الأكثرون أموالاً ، إلا من قال : هكذا وهكذا وهكذا - من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه

والطبراني (18/340) ، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (2385) ، والحاكم 3/612 ، وابن عبد البر في التمهيد 4/213 من طرق عن الحسن عن قيس ، وسنده صحيح . وقال في الإصابة في ترجمة قيس : ((وى ابن سعد بسند حسن إلى الحسن عن قيس ... فذكره)) انتهى بتصرف . وينظر صحيح الأدب المفرد ص 360 . وينظر في شرح هذا الحديث : فضل الله الصمد 2/410 - 412 .

وعن شماله - ، وقليل ما هم) ٢ .

٢ - أن المؤمن الذي وهبه الله عقلاً راجحاً يحرص على أن ينفق الكثير من أمواله في سبيل الله ، لأنه أيقن أن ما ينفقه في هذا السبيل هو ما يبقى له وأن ما يبقى عنده من أموال فمرده إلى الورثة غالباً ، وكذلك ما ينفقه الإنسان في المباحات من غير استعانة به على طاعة الله فهو يذهب ولا يبقى ، وقد ثبت عن عائشة - رضي الله عنها - أنهم ذبحوا شاة ، فقال النبي ... ما بقي منها ؟ قالت : ما بقي منها إلا كتفها . فقال النبي ... : ((بقي كلها غير كتفها)) ٣ ، فأكثر هذه الشاة قد بقي حقيقة ، لأنه تصدق به . وقد روى البخاري عن عبدا لله بن مسعود قال : قال رسول الله ... : ((أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟ قالوا : يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه . قال : ((فإن ماله ما قدم ، ومال وارثه ما أخر)) ٤ .

٣ - تحريم النياحة على الميت ، والنياحة هي البكاء مع صوت مرتفع .

٤ - أنه يجب أن يوئى على الناس خيارهم ، ويجرم أن يوئى غير الأكفاء .

* * *

(١) صحيح البخاري (6638) ، وصحيح مسلم (990) .

(٢) رواه الإمام أحمد 6 / 50 ، والترمذي (2470) ، وصححه الترمذي ، وهو كما قال . وينظر

الصحيحة (2544) .

(٣) صحيح البخاري (6442) .

الدرس الرابع والستون

أخبار إسلام الأشعريين وقدم وفدهم

100 - عن جبر بن مطعم - رضي الله عنه - قال : بينا نحن مع رسول الله ... بطريق مكة إذ قال : «يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب»^(١) ، هم خيار من في الأرض»، فقال رجل من الأنصار : ولانحن يا رسول الله ؟ فسكت ، قال : ولانحن يا رسول الله ؟ فسكت ، قال : ولانحن يا رسول الله ؟ فقال في الثالثة كلمة ضعيفة^(٢) «إلا أنتم»^(٣) .

101 - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ... قال : «أتاكم أهل اليمن ، وهم أرق أفئدة ، وألين قلوباً ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم»^(٤) رواه البخاري

(١) في بعض ألفاظ هذا الحديث : «كقطع السحاب»، والمعنى : جماعات مزدحمة كقطع السحاب .

(٢) أي خفض بها النبي ... صوته .

(٣) رواه الطيالسي (945) ، وأحمد (16758 ، 16779) ، وابن أبي شيبة 183/12 ، 184 ، وسنده حسن ، وقال شيخنا عبدالعزيز بن باز في بعض دروسه إسناده لا بأس به .

ومسلم^(١) .

102 - وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ... : ((

يقدم عليكم أقوام هم أرق منكم قلباً)) ، قال : فقدم الأشعريون ، فيهم أبو موسى

الأشعري ، فلما دنوا من المدينة كانوا يرتجزون :

غداً نلقى الأحبه
محمدًا وحزبه^(٢)

الفوائد والعبر :

١ - فضل أهل اليمن .

٢ - إن تفاضل الناس إنما يكون بالإيمان ، فمن كان أتقى لله تعالى كانت منزلته

عند الله أعلى ، كما قال تعالى : { إن أكرمكم عند الله أتقاكم } [الحجرات: 13] ، وإذا

اجتمع مع الإيمان حكمة - وهي وضع الشيء في موضعه - ارتفعت منزلة العبد عند

الله تعالى ، ولهذا كاد أهل اليمن لما جمعوا بين الإيمان والحكمة أن يبلغوا منزلة

الأنصار ، مع ما للأنصار من السبق إلى الإسلام ونصرة للإسلام والمسلمين

(١) صحيح البخاري : المغازي : باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (4388) ، وصحيح

مسلم : الإيمان (52) .

(٢) رواه الإمام أحمد (12026) ، وابن أبي شيبه في الفضائل 12/ 122 ، وأبو يعلى (3845) ،

وسنده صحيح ، رجاله رجال الصحيحين ، ورواه ابن سعد 1/ 384 بأسانيد مرسلة .

بالأنفس والأموال .

٣ - أن المجالسة والمخالطة لها تأثير على المجالس والمخالط ، حتى أن البهائم لها تأثير على من يراها ويتعاهدها ، فالإبل لغلظتها وضخامة خلقها أثرت في طباع من يتعامل معها الفخر والخيلاء ، والغنم لصغر خلقها وهدوء طبعها أثرت فيمن يتعامل معها السكينة والوقار ، وقد روي عن أبي هريرة عن النبي ... أن الغنم من دواب الجنة^(١) .

٤ - في الرواية الأخيرة ما يدل على جواز الرجز - وهو انشاد الشعر مع رفع الصوت - ، وقد ثبت عن النبي ... وعن بعض الصحابة أنهم كانوا يرتجزون الشعر ويرفعون به أصواتهم^(٢) ، فلا حرج في مثل هذا وبالأخص عند الحاجة إلى ذلك ، كالأستعانة به على العمل الشاق والسفر ونحو ذلك ، ولا بأس أن يقوله جماعة كما هو ظاهر هذه الرواية ، لكن ينبغي الحذر من أن يكون مشابهاً للغناء المحرم ، أو أن

(١) رواه البيهقي 2/ 449 ، والخطيب 7/ 432 وصححه في السلسلة الصحيحة (1128) ،

ورواه مالك في الموطأ 2/ 933 عن أبي هريرة موقوفاً ، وإسناده صحيح ، وله حكم الرفع .

(٢) ينظر صحيح البخاري مع الفتح : مناقب الأنصار 7/ 247 ، والمغازي 7/ 463 - 465 ،

والأدب ، باب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء 10/ 537 - 541 ، والتمني

يُستكثر منه^(١) ، لأنه حينئذ يتسبب في أبعاد المستكثر منه عن قراءة القرآن^(٢) ، ويحرم أن يصحبه آله هو كدف أو غيره^(٣) .

* * *

-
- (١) ينظر في جواز ارتجاز جماعة الشعر بهذه الضوابط : رسالة «الصحوة الإسلامية» من فتاوى شيخنا محمد بن عثيمين (جمع علي أبو لوز ص 136 ، 137 ، رقم 16) .
- (٢) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الاقتضاء ص 483 : «من أكثر من سماع القصائد لطلب صلاح قلبه تنقص رغبته في سماع القرآن ، حتى ربما كرهه» ، وينظر المرجع السابق .
- (٣) ينظر رسالة «البيان المفيد عن حكم التمثيل والأنشيد» تأليف عبدالله السليمانى .

الدرس الخامس والستون

قصة إسلام ضمام بن ثعلبة وقومه بني سعد بن بكر

103 - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله ... ، فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ، ثم عقله ، ثم دخل المسجد ، ورسول الله ... جالس في أصحابه ، وكان ضمام رجلاً جلدأ أشعر ذا غديرتين^(١) ، فأقبل حتى وقف على رسول الله ... في أصحابه فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ فقال رسول الله ... : ((أنا ابن عبد المطلب)) ، قال : محمد ؟ قال : ((نعم)) ، فقال : ابن عبد المطلب إني سائلك ومغلظ في المسألة فلا تجدن في نفسك ، قال : ((لا أجد في نفسي فسل ما بدا لك)) ، قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدك بالله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : ((نعم)) .

قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعد آله أمرك أن تأمرنا أن نعبد وحده لا نشرك به شيئاً وأن نخلع هذه الأنداد التي كان آباؤنا يعبدونها معه ؟ قال : ((اللهم نعم)) .

(١) الجلد : القوي . ومعنى (أشعر) : كثير الشعر . والغديرة هي : الشعر المظفور الذي ينزل على الصدر ونحوه ، وتسمى (عقيصة) و(ذؤابة) . ينظر لسان العرب (مادة : غدر) .

قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة ، والصيام ، والحج وشرائع الإسلام كلها يناشده عند كل فريضة كما يناشده في التي قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ... وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه ثم لا أزيد ولا أنقص .

قال : ثم انصرف راجعاً إلى بعيره ، فقال رسول الله ... حين ولى : ((إن يصدق ذو العقيصتين يدخل الجنة)) ، قال : فأتى إلى بعيره ، فأطلق عقله ، ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال : بثت اللات والعزى ، قالوا : مه يا ضمام^(١) ، اتق البرص والجذام ، اتق الجنون .

قال ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله - عز وجل - قد بعث رسولاً ، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، إني قد جئتك من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه ، قال فوا لله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضرة رجل ولا امرأة إلا مسلماً ، قال : يقول ابن عباس رضي الله عنهما : (فما سمعنا بوفاد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة)^(٢) .

(١) أي اسكت .

(٢) رواه ابن إسحاق كما في السيرة لابن هشام 4/ 573 ، 574 ، وأحمد (2382) ، والدارمي

الفوائد والعبر :

١ ينبغي للداعية أن يتحلى بالصبر والتحمل ، فيصبر على ما يلاقه من أذى الناس أو غلظتهم ، كما قال تعالى : { وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر } [العصر: 3] .

٢ أن حسن خلق الداعية وتحمله لأذى المدعوين سبب في قبولهم لدعوته .
٣ يجب على المسلم أن يعمل بجميع شرائع الإسلام وواجباته وأن يجتنب جميع ما حرمه الله ونهى عنه ، وأن لا يعمل ما يوافق هواه ويترك ما لا يوافقفه ، فإن هذا من أتباع الهوى قال تعالى : { أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم } [الجنّة: 23] .

٤ أن ينبغي للمسلم أن يدعو إلى الإسلام وينهى عن الشرك والضلال بقدر استطاعته ومعرفته ، ولو كان من حديثي الإسلام أو قليلي العلم إذا كان على بصيرة فيما يدعو إليه ، كما قال تعالى : { قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن

(658) ، وأبو داود (487) ، والحاكم 54/3 ، 55 وإسناده قريب من الحسن . وقد صححه الحاكم والذهبي وصححه أيضاً أحمد شاكر والألباني ، ولشرطه الأول إلى قوله «) يدخل الجنة » شاهد من حديث أنس عند البخاري (63) ، ومسلم (12) .

اتبعن { [يوسف: 108] . فجميع من اتبع النبي ... هو من الدعوة إلى الله تعالى^(١) .

٥ في هذا الحديث ما يدل على سفه الكفار وهلعهم ، حيث يخافون من أحجار لا تضر ولا تنفع ، وهذا الخوف من الشرك الأكبر ، وهو أن يخاف العبد من مخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، ومثله أن يخاف الإنسان من ميت أن يصيبه بأذى .

٦ أن اتباع الكتاب والسنة سبب للنجاة من شقاء الدنيا والآخرة .

* * *

(١) ينظر فتوى الشيخ محمد بن عثيمين ضمن (فتاوى مترجمة) في مجلة الدعوة العدد 1794 في

الدرس السادس والستون

خبر إسلام معاوية بن حيدة القشيري

104 - عن هز بن حكيم بن معاوية ، عن أبيه ، عن جده - رضي الله عنه - قال : أتيت النبي ... حين أتيته فقلت : والله ما أتيتك حتى حلفت أكثر من عدد أولاه أن لا آتيك ولا آتي دينك - وجمع هز بين كفيه - وقد جئت أمراً لا أعقل شيئاً إلا ما علمني الله تبارك وتعالى ورسوله ^(١) ، وإني أسألك بوجه الله بم بعثك الله إلينا ؟ قال : ((الإسلام)) قلت : وما آيات الإسلام ؟ قال : ((أن تقول أسلمت وجهي لله ، وتخليت ^(٢) ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، كل مسلم على المسلم محرم أخوان

(١) يقول - رضي الله عنه - إنه كان حلف لما كان مشركاً أكثر من عدد أصابع يديه الاثنتين أن لا يُسَلِّمَ وأن لا يأتي إلى النبي ... ، ثم إنه جاء إلى النبي ... يريد أن يسلم ويعرف أحكام الإسلام وقد يكون أسلم قبل وصوله إلى النبي ... ولكنه لا يعلم عن هذا الدين إلا القليل ، فيريد أن يتعلم شرائع هذا الدين .

(٢) فلا بد من الانقياد لهذا الدين ، ولا بد أيضاً من التخلي عن ما يناقضه من الشرك والكفر . وفي الرواية الأخرى : ((قال : وما الإسلام ؟ قال : أن يسلم قلبك لله تعالى ، وأن توجه وجهك إلى الله تعالى)).

نصيران^(١) ، لا يقبل الله من مشرك أشرك بعدما أسلم عملاً ، وتفارق المشركين إلى المسلمين ، مالي أمسك بحجزكم عن النار^(٢) ، إلا أن ربي عز وجل داعي ، وإنه سائلي : هل بلغت عبادي ؟ وإني قائل : رب إني قد بلغتهم ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، ثم إنكم مدعوون مقدمة أفواهكم بالفدام ؛ ثم إن أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه^(٣) . قلت : يا نبي الله هذا ديننا ؟ قال : ((هذا دينكم ، وأينما تحسن يكفيك))^(٤) .

الفوائد والعبر :

١ - أنه يجب على المرء أن يتعلم عقيدة الإسلام وما يحتاج إليه في حياته من الأحكام الشرعية ، وذلك بسؤال أهل العلم كما فعل هذا الصحابي أو بالرجوع إلى

(١) أي أنه يحرم على المسلم أن يظلم أخاه المسلم في نفس أو عرض أو مال ، لأنهما أخوان يجب أن يتناصرا .

(٢) أي أن النبي ... ينهى أمته عن كل ما هو سبب في دخول النار من المعاصي .

(٣) قال في النهاية مادة ((فدم)) : ((الفدام ما يشد على فم الإبريق والكوز من خرقة لتصفية

الشراب الذي فيه : أي أنهم يمنعون الكلام بأفواههم حتى تتكلم جوارحهم ، فشبّه ذلك بالفدام)) .

(٤) رواه الإمام أحمد 5 / 4 ، 5 بإسناد حسن . ورواه أيضاً 3 / 5 بنحوه بإسناد حسن .

كتاب الله وسنة رسوله ... وكتب أهل العلم إن كان عنده من قدرة على الرجوع إليها وفهمها فهماً صحيحاً .

٢ - أن من أسلم وهو في بلاد الكفار ولا يستطيع إظهار شعائر دينه من صلاة أو غيرها يجب عليه أن ينتقل إلى بلاد المسلمين ، أما من كان يستطيع إظهار شعائر دينه فيجوز له أن يقيم في بلده ويستحب له الانتقال إلى بلاد المسلمين .

٣ - أنه يجب على المسلم أن يوالي أخاه المسلم في أي مكان أو زمان فيحبه ويناصره ويسعى في مساعدته عند حاجته إلى المساعدة ويتألم لما يصيبه من الضرر ويفرح لفرحه .

٤ - أن المرتد عن دينه لا يقبل منه عمل ، بل وتحبط جميع أعماله السابقة .

٥ - حرص النبي ... على كل ما فيه جلب الخير ودفح الضرر عن أمته ، وقد روى البخاري ومسلم عن النبي ... أنه قال : «إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، فجعل الرجل يحجزهن ويغلبهن ، فيقتحمن فيها ، فأنا أخذ بحجزكم عن النار : هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني ، تقتحمون فيها» .

٦ - أن المعصية سواء كانت من الشرك أو مما دونه سبب لدخول النار ، وأن

(١) صحيح البخاري : الرقاق (6483) ، وصحيح مسلم : الفضائل (2284) .

العاصي يقذف بنفسه في نار جهنم ويحرم نفسه من دخول الجنة ، وقد روى البخاري عن النبي ... أنه قال : «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ فقال النبي ... : «(من أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أبى)» .

٧ - أن جوارح العبد تشهد عليه يوم القيامة بما فعله من معصية لله تعالى ، كما قال الله تعالى : { حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون } [فصلت: 20، 21] ، ولهذا يجب على المسلم أن يجاهد نفسه في البعد عن معصية الله تعالى .

* * *

الدرس السابع والستون

إسلام بني زهير بن أقيش وقدم وفداهم^(١)

105 - عن يزيد بن عبدالله بن الشخير قال : بينا نحن بهذا المربد^(٢) إذ أتى علينا أعرابي أشعث الرأس ، معه قطعة أديم ، أو قطعة جراب^(٣) . فقلنا : كأنَّ هذا ليس من أهل البلد . فقال أجل ، هذا كتاب كتبه لي رسول الله فقال القوم : هات ، فأخذته فقرأته ، فإذا فيه :

((بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي رسول الله ... لبني زهير بن أقيش - وهم حي من عكل - إنكم إن أقمتهم الصلاة ، وآتيتهم الزكاة ، وفارقتهم المشركين ، وأعطيتهم من الغنائم الخمس وسهم النبي ... والصفى فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله ...)).

فقال القوم : هات أصلحك الله ، حدثنا ما سمعت من رسول الله ... يقول ،

(١) ينظر ترجمة النمر بن تولى في الإصابة 3/ 543 .

(٢) قال في الفتح (شرح الحديث 3906) 7/ 246 : ((مربد بكسر الميم وسكون الراء وفتح

الموحدة هو الموضع الذي يجفف فيه التمر . وقال الأصمعي : المربد كل شيء حبست فيه

الإبل أو الغنم . وبه سمي مربد البصرة ، لأنه كان موضع سوق الإبل)).

(٣) الأديم : الجلد ، والجراب : وعاء من جلد .

قال سمعت رسول الله ... يقول : «صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن وحر الصدر»^(١) ، فقال القوم : أنت سمعت هذا من رسول الله ... يقوله . فقال : لا أراكم تخافون أن أكون أكذب على رسول الله ... ، لا والله لا أحدثكم حديثاً اليوم^(٢) . ثم أهوى إلى الصحيفة فانتزعها ثم انصاع^(٣) مدبراً^(٤) .

الفوائد والعبر :

- ١ وجوب إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة .
- ٢ أنه يحرم على المسلم السفر للإقامة في بلاد المشركين ، كما يحرم عليه السفر من أجل السياحة ونحوها في بلاد المشركين .

(١) أي يذهب ما في القلب من غش ووساوس وغل وحقد وعداوة . ينظر لسان العرب (مادة : وحر) .

(٢) أي أنه أخذ عليهم - رضي الله عنه - عدم تصديقهم لروايته ، وتشككهم في صحتها ، فعاقبهم بأن لا يحدثهم حديثاً آخر في هذا اليوم .

(٣) أي أنه أخذ هذه الصحيفة ، ثم كرّر راجعاً وتركهم .

(٤) رواه الإمام أحمد (20737 - 20740) ، ويونس بن بكير في زوائد المغازي (452) ، وأبو

داود (2999) ، ومحمد بن سلام في طبقات الشعراء ص 68 ، وابن حبان (6557)

وإسناده صحيح .

٣ - وجوب أداء الحقوق المالية إلى أصحابها ، ومن ذلك أداء خمس الغنيمة .
٤ - أن المسلم إذا أدى الواجبات وابتعد عن المحرمات حرم التعرض له بأي أذى .

٥ - أن صيام رمضان - الذي هو شهر الصبر - وصيام التطوع وبالأخص صيام ثلاثة أيام من كل شهر له فوائد عديدة ، ومنها أن هذا الصيام يزيل ما قد يكون في صدر المسلم من غش وحقد وعداوة لإخوانه المسلمين ومن وساوس ونحوها .

٦ - أن من آداب المحادثة والاستماع أن لا يشكك الإنسان في الكلام الذي يُلقى عليه لمجرد استغرابه ، ولو فرض أنه حصل لديه شيء من عدم الاقتناع بهذا الكلام فلا ينبغي للسامع إيذاء المتكلم بالتشكيك في صحة كلامه الذي هو يجزم بصحته ، إلا أن يكون في هذا الكلام كذب ظاهر أو أي كلام محرم ، فلا حرج من بيان ذلك بالتي هي أحسن .

* * *

الدرس الثامن والستون

قصة إسلام صفوان بن قدامة

106 - عن عبدالرحمن بن صفوان بن قدامة قال : هاجر أبي صفوان إلى النبي ... وهو بالمدينة ، فبايعه على الإسلام ، فمد النبي ... إليه يده ، فمسح عليها ، فقال له صفوان : إني أحبك يا رسول الله ، فقال له النبي ... : «المرء مع من أحب» فكان صفوان ابن قدامة حين أتى دار الهجرة إلى النبي ... وهو بالمدينة دعا قومه وبني أخيه ليخرجوا معه ، فأبوا عليه ، فخرج وتركهم ، وخرج معه بابنيه عبدالرحمن وعبدالله ، وكانت أسماءهم في الجاهلية عبد العزى وعبدنهم ، فغير أسماءهم النبي ... ، فقال في ذلك ابن أخيه نصر بن فلان بن قدامة في خروج صفوان ووحشتهم لفراقه :

تحمّل صفوان وأصبح غاديا	بأبنائه عمداً وخلي المواليا ^(١)
فأصبحتُ محتار الأمر مفنداً	وأصبح صفوان بيثرب ثاويًا ^(٢)
طلابَ الذي يبقى وآثرُ غيره	فشتان ما يفنى وما كان باقيا ^(٣)

(١) الموالي : الأقارب .

(٢) مفنداً : أي ذار أي ضعيف . ينظر : تهذيب اللغة 14 / 139 ، وثاويًا : مقيماً .

(٣) يعني : أن عمه صفوان طلب الذي يبقى للعبد وينفعه في آخرته ، وهو المبادرة إلى الدخول

باتيانه دار الرسول محمد
 فياليتني يوم الحنين اتبعتمهم
 فأجابه صفوان ، فقال :
 ومن مبلغ نصرأ رسالة عاتب
 مقيماً على أركان هدلق للهوى
 فسام قسييات الأمور وعادها
 وأقام صفوان بالمدينة حتى مات بها ، فقال عبدالرحمن في موت أبيه صفوان :
 وأنا ابن صفوان الذي سبقت له
 صلى الإله على النبي وآله
 فأتى النبي مبيعاً ومهاجراً
 عند النبي سوابق الإسلام
 وثنى عليه بعدها بسلام
 بابنيه مختار لطول مقام^(١)

في الإسلام ، وأنه هو آثر الدنيا الفانية بالبقاء عند المال والأهل .

(١) رواه الطبراني في الكبير (7400) ، وفي الأوسط والصغير كما في مجمع البحرين (4982) ،
 ومن طريقه أبو نعيم في المعرفة (3822) وإسناده محتمل للتحسين ، رجاله حديثهم لا ينزل
 عن درجة الحسن ، عدا موسى بن ميمون ، وهو قدرى غال ، وظاهر كلام بعض الأئمة أن
 روايته مقبولة . ينظر : اللسان 6 / 133 . وقال في المجمع 9 / 365 : (فيه موسى بن
 ميمون ، وكان قدرياً ، وبقية رجاله وثقوا) ، وروى الجزء المرفوع منه أبو عوانة في صحيحه
 كما في الإصابة 2 / 183 ، 184 من طريق آخر عن موسى عن أبيه عبدالرحمن عن صفوان

الفوائد والعبر :

- ١ - مشروعية التبرك بجسد النبي ... ، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام ، فلا يجوز أن تجعل هذه الخصيصة لأحد سواه ، ولهذا لم ينقل عن أحد من الصحابة أو عن أحد من السلف أنهم تبركوا بجسد أحد سوى الربى
- ٢ - أن من أحب الأنبياء محبة صحيحة وعلامتها اتباعهم وتقديم أقوالهم على أقوال من سواهم فإنه يحشر معهم يوم القيامة ، ويكون معهم في جنات النعيم .
- ٣ - مشروعية تغيير الأسماء المذمومة إلى أسماء حسنة .
- ٤ - أن من بادر إلى فعل الخير يحصل من الأجور أكثر وأفضل مما يحصله من تأخر في ذلك .
- ٥ - أن مقتضى العقل الصحيح إثارة الحياة الأخروية الباقية وما فيها من النعيم العظيم على الدنيا الحقيرة الفانية .

* * *

الدرس التاسع والستون

أخبار إسلام حصين بن عبيد الخزاعي وابنه عمران

107 - عن عمران بن حصين - رضي الله عنهما - قال : جاء حصين إلى النبي ... قبل أن يسلم ، فقال : يا محمد كان عبد المطلب خيراً لقومه منك ((كان يطعمهم الكبد والسنام ، وأنت تنحرهم . فقال له رسول الله ... ما شاء الله أن يقول ، ثم إن حصيناً قال : يا محمد ماذا تأمرني أن أقول ؟ قال : ((قل اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، وأسألك أن تعزم لي على أرشد أمري)).

قال : ثم إن حصيناً أسلم ، ثم أتى النبي ... فقال : إني كنت سألتك المرة الأولى ، وإني الآن أقول : ما تأمرني أن أقول ؟ قال : ((قل : اللهم اغفر لي ما أسررت وما أعلنت ، وما أخطأت وما عمدت ، وما جهلت ، وما علمت)).

108 - وعن عمران أيضاً قال : ما مسست فرجي بيمينني منذ بايعت بها

(1) رواه الإمام أحمد 4 / 444 ، والنسائي في عمل اليوم والليلة (993 ، 994) ، والطحاوي في المشكل (2525) ، وابن حبان (899) بإسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيحين . وقد صححه الحافظ في الإصابة 1 / 336 . ورواه الترمذي (3483) وفي سنده إنقطاع .

رسول الله...^(١).

الفوائد والعبر :

- 1 - في هذا الحديث ما يدل على ضلال الكفار وجهلهم ، فهذا حصين - رضي الله عنه - قبل إسلامه يجعل المشرك خيراً من أفضل البشر وهو رسول الله ... ، ويجعل من يطعم الناس وهو على ضلال في أعظم الأمور وهو الاعتقاد خير ممن كان على صراط مستقيم ، ويعيب أفضل البشر بقتله للكفار مع أنه ... لم يقاتلهم إلا لما صدوا عن دين الله تعالى وحاربوا المؤمنين وأذوهم وقتلوا من قتلوا منهم .
- 2 - أن نحر المشركين المحاربين - أي قتلهم - أمر مشروع ، ولهذا كان الأنبياء عليهم السلام يحاربونهم ويقتلونهم .
- 3 - أن دعاء الله تعالى سلاح مهم قد عطله كثير من الناس .
- 4 - أنه ينبغي للإنسان أن يدعو في كل حال من أحواله بالدعاء الذي يناسبه .
- 5 - ينبغي للمسلم أن يرشد من استرشده إلى ما فيه خيره وفلاحه ، سواء أكان هذا المستشار مسلماً أم كافراً .

(١) رواه الإمام أحمد (19943) ، وابن سعد 4/ 287 ، والحاكم 3/ 487 . وصححه ، ووافقه

6 - احترام الصحابة للنبي ... وتوقيرهم له وتعظيمهم له ، ولهذا لم يمس
عمران بن حصين - رضي الله عنها - فرجه - لا قبلاً ولا دبراً - يمينه منذ بايع بها
النبي

* * *

الدرس السبعون

إسلام بني عامر وبني أسد وقدم وفد إليها

109 - عن عبدالله بن الشخير - رضي الله عنه - أنه وفد إلى النبي ... في رهط بني عامر ، قال : فأتيناه ، فسلمنا عليه ، فقلنا : أنت ولينا ، وأنت سيدنا ، وأنت أطول علينا طَوَّلاً^(١) ، وأنت أفضلنا علينا فضلاً ، وأنت الجفنة الغراء^(٢) . فقال النبي ... : ((قولوا قولكم^(٣) ، ولا يستجرنكم الشيطان))^(٤) .

110 - وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : وفد على النبي ... وفد بني أسد فتكلموا فأبانوا . فقالوا : يا رسول الله قاتلتك مضر كلها ولم نقاتلك ، ولسنا

(١) الطَّوْلُ : الفضل .

(٢) الجفنة : الإناء الذي يوضع فيه الطعام إذا كان من خشب ، والغراء : البيضاء ، أي أنها مملوءة بالشحم والدهن . وكانت العرب تقول للرجل الكريم الذي يطعم الناس الجفنة الغراء ، لأنه يطعم الناس فيها ، فسمي بها . ينظر : النهاية (مادة جفن) .

(٣) أي تكلموا بكلامكم الذي يحضركم ، ولا تتكلفوه .

(٤) رواه الإمام أحمد (16311) ، وأبو داود (4806) بإسناد صحيح ، رجاله رجال الصحيحين ، عدا الصحابي ، فهو من رجال مسلم وحده .

بأقلهم عدداً ولا أكلهم شوكة^(١) ، وصلنا رحمك^(٢) ، فقال رسول الله ... لأبي بكر حيث سمع كلامهم : ((أيتكلمون هكذا ؟)) قال : يا رسول الله ، إن فقهمم لقليل ، وإن الشيطان لينطق على لسانهم ، قال ابن عباس : ((ونزلت هذه الآية { يمينون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين } [الحجرات: 17] ^(٣) .

الفوائد والعبر :

1 - التحذير من الغلو في المدح ، فإنه مما يدعو الشيطان إليه ، ومما يجر الناس إليه ، وذلك لأن من فتح باب الغلو لن يقف في الغالب عند حد حتى يقع في الشرك ، فيحرص عدوا لله الشيطان على جر الناس إليه ليخرجهم من ملة

(١) مرادهم : لسنا من أضعفهم في حال الحرب ، ولا أقلم رجلاً .

(٢) وذلك لأن بني أسد بن خزيمة من مضر ، والنبي ... من مضر .

(٣) رواه النسائي في الكبرى (2363) ، وأبو يعلى 251/4 ، رقم (3363) ، والبخاري في

تفسير ابن كثير للآية (17) من الحجرات ، والمقدسي في المختارة 345/10 ، 346 وإسناده

صحيح .

وله شواهد كثيرة متصلة ومرسلة ، تنظر في الطبقات الكبرى 292/1 ، الدر المنثور

585/7 ، وقد حسن السيوطي بعضها .

الإسلام ، ليدخلوا النار معه ، ولهذا لما فتح بعضهم باب الغلو في مدح النبي ...
أوصلهم إلى الكفر والشر ، فهذا مثلاً البوصيري يقول في برده :

فإن من جودك الدنيا وضررتها
ومن علومك علم اللوح والقلم
فقد زعم أن النبي ... قد تفضل بالدنيا وبالآخرة وأنه يعلم جميع ما في اللوح
المحفوظ ، فماذا بقي لله تعالى ، وهذا كله غلو جر إليه الشيطان ، ولا دليل عليه لا
من قرآن ولا سنة ، وهو معصية للنبي ... الذي حذر أمته من الغلو فيه ، فقال عليه
الصلاة والسلام في الحديث الذي رواه البخاري : ((لا تطروني كما أطرت النصارى
المسيح ابن مريم ، فإنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله)) ، وكما في الحديث
الأول هنا ، وإذا كان هذا في حق النبي ... فكيف بغيره من البشر ، فمن غلا في
المدح فهذا دليل على نقص محبته لله تعالى وللنبي ... ، كما قال تعالى : { قل إن كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم } [آل عمران: 31] ، فيجب على
المسلم الذي يريد لنفسه السلامة أن يسير على منهج محمد بن عبد الله رسول رب
العالمين ... ، والذي هو طريق السلامة والنجاة والصرراط المستقيم ، وليحذر من
الغلو الذي هو طريق الشيطان ، والله المستعان .

2 - أن الله تعالى هو المتفضل على جميع الخلق بجميع ما هم فيه من النعم ،

ومن ذلك نعمة الهداية لدين الإسلام التي هي أعظم النعم ، والله تعالى غني عن الخلق ، ومن اهتدى منهم فإنما يهتدي لنفسه ، فهو قد سلك الذي يؤدي إلى سعادته في الدنيا والآخرة بعد توفيق الله تعالى ، والله تعالى غني عن العباد وعن طاعتهم ، كما في الحديث القدسي : ((يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً ، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً)) رواه مسلم^(١) ، ولهذا لا يجوز لأحد أن يمتن على الله بإسلامه أو طاعته ، بل لله المنة عليه أن هداه ووفقه لما فيه خيره وسعاده ، فليشكر الله تعالى على ذلك .

3 - وجوب إنكار المنكر على من رآه أو سمعه ، ولهذا أنكر النبي ... على كل

من هذين الوفدين ما وقع فيه كل منهما من المنكر .

* * *

(١) صحيح مسلم (2577) .

الدرس الحادي والسبعون

خبر إسلام مزينة و قدوم وفدهم

111 - عن النعمان بن مقرن - رضي الله عنه - قال : قدمنا على رسول الله ... في أربعمئة من مزينة ، فأمرنا رسول الله ... بأمره ، فقال بعض القوم : يا رسول الله مالنا طعام نتزوده ، فقال النبي ... لعمر : ((زودهم)) ، فقال : ما عندي إلا فاضلة من تمر ، وما أراها تغني عنهم شيئاً ، فقال : ((انطلق فزودهم)) ، فانطلق بنا إلى عِلِّيَّة له ^(١) ، فإذا فيها تمر مثل البكر الأورق ^(٢) ، فقال : خذوا ، فأخذ القوم حاجتهم ، قال : وكنت أنا في آخر القوم ، فالتفت وما أفقد موضع تمرّة ، وقد احتمل منه أربعمئة رجل ^(٣) .

112 - وعن قرّة بن إياس المزني - رضي الله عنه - قال : أتيت رسول الله ... في رهط من مزينة ، فبايعناه ، وإن قميصه لمطلق الأزرار ، قال : فبايعته ، ثم

(١) وهي الغرفة التي تكون في سطح المنزل .

(٢) أي مثل الجمل الصغير ، والأورق هو الأسمر .

(٣) رواه الإمام أحمد (23746) بإسناد فيه ضعف يسير ، ورواه البيهقي في الدلائل 365 / 5

بإسناد فيه ضعف، فهو حسن بمجموع الطريقتين . وله شاهد من حديث دكين ، رواه

الإمام أحمد (17576) وسنده صحيح .

أدخلت يدي في جيب قميصه ، فمستت الخاتم ، قال عروة : فما رأيت معاوية ولا ابنه قط إلا مطلقني أزرارهما في شتاء ولا حر ، ولا يزرران أزرارهما أبداً^(١) .

الفوائد والعبر :

1 - أنه لا حرج على المسلم إذا كان محتاجاً أن يطلب من قادر أن يساعده ، وبالأخص إذا كان الطلب من ولي أمر المسلمين ومن بيت مال المسلمين ، وكذلك لا حرج عليه أن يأخذ ما يعطى من بيت مال المسلمين إذا كان أعطى بوجه حق ول كان غير محتاج لذلك ، لكن لا يجوز لغير المحتاج أن يسأل الناس من أموالهم ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال ((من سأل الناس أموالهم تكثراً فإنما يسأل جمرأً ، فليستقل ، أو ليستكثر)) رواه مسلم^(٢) .

2 - في الحديث الأول ما يدل على قوة إيمان عمر - رضي الله عنه - وعظم منزلته عند النبي ... ، حيث أمره الرسول ... أن يزودهم من ماله الذي هو طعامه وطعام عياله ، ثم إنه امتثل أمر النبي ... لما كرره عليه مع علمه بأن هذا التمر لن يكفي هذا العدد الكثير من الناس لولا فضل الله تعالى بالبركة فيه .

(١) رواه الإمام أحمد (15581، 16243) ، وأبو داود (4082) وغيرهما . وسنده صحيح .

(٢) صحيح مسلم (1041) .

3- في الحديث الأول أيضاً معجزة لنبينا مح مد ... وكرامة لعمر - رضي الله عنه - حيث تزود هذا العدد الكثير من الناس من هذا التمر القليل ، ومع ذلك لم ينقص منه ولا ثمرة واحدة .

4- في الحديث الثاني أيضاً دليل من دلائل نبوته ... ، وهو وجود الخاتم في ظهره عليه الصلاة والسلام ، وهو ما أخبر به الأنبياء السابق ون كما في قصة سلمان وغيرها .

5- في هذا الحديث كذلك ما يدل على حرص الصحابة على الاقتداء بالنبي ... حتى في الأمور التي ليست من التشريع ، كأمر اللباس ونحوها ، وهذا من محبتهم للنبي ... ، فأحدهم يجب أن تكون هيئته كهيئة النبي

* * *

الدرس الثاني والسبعون

إسلام بني حنيفة وقدم وفداهم وخبر مسيلمة الكذاب

113 - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ((قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ... ، فجعل يقول : إن جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها في بشر كثير من قومه^(١) ، فأقبل إليه رسول الله ... ومعه ثابت بن قيس بن شماس - وفي يد رسول الله ... قطعة جريد - حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال : ((لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها ، ولن تعدوا أمر الله فيك ، ولن أدبرت ليعقرنك الله ، وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت ، وهذا ثابت يجيبك عني)) ، ثم انصرف عنه .

قال ابن عباس : فسألت عن قول رسول الله ... : ((وإني لأراك الذي أريت فيه ما أريت)) ، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ... قال : ((بينما أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ، فأوحى إليّ في المنام أن أنفخهما ، فنفختها فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي : أحدهما العنسي ، والآخر مسيلمة))

(١) أي أن مسيلمة لما قدم المدينة النبوية قدمها في ضمن أناس كثير من قبيلته بني حنيفة .

رواه البخاري^(١) .

114 - وعن أبي رجاء العطاردي - رحمه الله - قال : كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجراً هو أخير منه ألقيناه ، وأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجراً جمعنا جثوة من تراب^(٢) ، ثم جئنا بالشاة فحلبناه عليه ، ثم طفنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا : مُنْصَلَّ الإِسْنَةَ ، فلا ندع رمحاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناه وألقيناه شهر رجب^(٣) ، قال : وكنت يوم بعث النبي ... غلاماً أرعى الإبل على أهلي ، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار ، إلى مسيلمة الكذاب . رواه البخاري^(٤) .

الفوائد والعبر :

1 - أن رؤيا الأنبياء حق ، فهذا نبينا محمد ... رأى خروج هذين الكذابين ورأى أنه سيقضى عليهما ، فوقع ما رآه

2 - أن الدجاجلة من البشر كثير ، ولذلك ينبغي للمسلم أن يحذر من أتباع كل

(١) صحيح البخاري : المغازي : باب وفد بني حنيفة (4373) .

(٢) الجثوة : القطعة من التراب تجمع فتصير كوما . ينظر الفتح 8 / 91 .

(٣) أي أنهم في الجاهلية إذا جاء شهر رجب تركوا الحرب ، لأنه شهر حرام ، بل إنهم يخلعون أسنة الرماح وحديد السهام في هذا الشهر تعبيراً عن تركهم للحرب فيه . وينظر المرجع السابق .

(٤) صحيح البخاري : الموضوع السابق (4376) .

مدع لدعوى ولو رأى لديه ما يدعي أنه من الكرامات أو غيرها ، فلا يقبل قول أحد من البشر حتى يعرض حاله وقوله على كتاب الله وسنة رسوله ... ، فما وافقها فهو الحق ، وما خالفها ولو قيد شبر فهو الباطل .

3 - سفاهة الكفار ، حيث يعبدون ما لا ينفع ولا يضر ، فمنهم من يعبد الأشجار والأحجار والتراب ، ومنهم من يعبد القبور والموتى الذين لم يست طيعوا دفع الموت عن أنفسهم ، أو يعين مخلوقاً ضعيفاً محتاج إلى عون الله ورحمته ، ويتركون عبادة الخلاق الرزاق الكريم رب كل شيء ومليكه ومصرفه .

4 - أن الاهتمام بشهر صفر وإحداث عبادات فيه هو من عمل أهل الجاهلية ، وقد نهي أهل الإسلام عن التشبه بهم ، فلا يجوز إحداث عبادة معينة يخص بها هذا الشهر لا صلاة ولا صياماً ولا عمرة ولا صدقة ولا غيرها .

* * *

الدرس الثالث والسبعون

خبر إسلام جماعة من بني حنيفة ورجل من بني ضبيعة ووفادتهم

115 - عن طلق بن علي الحنفي اليامي - رضي الله عنه - قال : خرجنا ستة وفداً إلى رسول الله ... ، خمسة من بني حنيفة ، ورجل من بني ضبيعة بن ربيعة ، حتى قدمنا على نبي الله ، ... ، فبايعناه وصلينا معه ، وأخبرناه أن بأرضنا بيعة لنا^(١) ، واستوهبناه من فضل طهوره^(٢) ، فدعا بقاء فتوضأ منه وتمضمض ، ثم صبه في إداوة^(٣) ، ثم قال : «اذهبوا بهذا الماء ، فإذا قدمتم بلدكم ، فاكسروا بيعتكم ، ثم انضحوا مكانها من هذا الماء^(٤) ، واتخذوا مكانها مسجداً». فقلنا : يا رسول الله ،

(١) البيعة بكسر الباء : معبد النصرى أو اليهود . ينظر حاشية السندي على سنن النسائي

. 369 /2

(٢) أي طلبوا منه أن يهب لهم باقي وضوئه ... ، ليتبركوا به .

(٣) الإداوة : بالكسر إناء من جلد يحمل فيه الماء ، كالسطيحة ونحوها . والسطيحة : القرية

الكبيرة . ينظر لسان العرب العرب (مادة : أدا) .

(٤) أي رشوا مكان هذه البيعة من هذا الماء .

البلد بعيد ، والماء ينشف^(١) ، قال : «فأمدوه من الماء ، فإنه لا يزيده إلا طيباً»^(٢) .
 فخرجنا ، فتشاححنا على حمل الإداوة أينما يحملها^(٣) ، فجعلها رسول الله ... نوباً
 لكل رجل منا يوماً وليلة ، فخرجنا بها حتى قدمنا بلدنا ، فكسرنا بيعتنا ونضحنا
 مكانها بذلك الماء ، واتخذناها مسجداً ، وراهب ذلك القوم رجل من طيء^(٤) ،
 فناديناه فيه بالأذان^(٥) ، فقال الراهب : دعوة حق ، ثم استقبل تلعة من تلاعنا^(٦) ،
 فهرب فلم ير بعد^(٧) .

(١) المراد أنهم لو تركوا هذا الماء في الإداوة لنشف وانتهى بسبب طول المدة .

(٢) قال السندي : (الظاهر أن المراد أن فضل الطهور لا يزيد الماء الزائد إلا طيباً ، فيصير الكل
 طيباً ، والعكس غير مناسب فليتأمل) .

(٣) أي أن كل واحد منهم يريد أن يحملها .

(٤) أي أن أهل هذا المكان كان فيهم راهب من النصارى - وهو العابد منهم - ، وكان هذا
 الراهب من قبيلة طيء .

(٥) أي أنهم أذنوا للصلاة في ذلك المسجد .

(٦) التلعة : مجرى الماء من أعلى الأرض إلى بطون الأودية ، أو من أعلى الوادي إلى أسفله . ينظر
 الفتح 1 / 570 ، فيض القدير 5 / 199 ، عون المعبود 7 / 112 .

(٧) رواه الإمام أحمد (26 / 24009) ، والنسائي (700) ، وابن حبان (1123) بإسناد حسن .

الفوائد والعبر :

1 - مشروعية التبرك بفضل ظهور النبي ... ، ومثله جسده وآثاره عليه الصلاة والسلام فيشرع التبرك بها كلها ، وهذا التبرك خاص بالنبي ... ، فلا يجوز أن يجعل أحد من أمته في منزلته ، فلا يجوز أن يتبرك بآثار أو جسد أو فضل ظهور غيره من البشر ، ولهذا لم يتبرك الصحابة ولا غيرهم من سلف هذه الأمة بأحدٍ من العشرة المبشرين بالجنة ، ولا بأحد من أهل البيت ولا غيرهم ، وهذا إجماع منهم على عدم مشروعيته .

2 - أن أماكن عبادات المشركين لا يشرع للمسلمين أن يجعلوها مساجد إلا بعد هدمها ، ثم بناء مسلجد في أماكنها .

3 - حرص الصحابة على الخير ، وتنافسهم فيه ، وضد حال كثير من الناس اليوم ، فتجدهم يتنافسون في حطام الدنيا ويحرصون عليه أكثر من حرصهم على طاعة الله .

4 - عداوة الكفار للإسلام وبغضهم له ولأهله ، فهذا الراهب النصراني مع اعترافه بأن الأذان دعوة حق لم يتحمل البقاء في هذا الموضع الذي غلب فيه الإسلام وأهله ، فهرب من هذا المكان ولم يرجع إليه بعد ذلك ، وربما أنه هلك بسبب هروبه بدون زاد أو راحلة ، كما هو ظاهر هذه الرواية .

الدرس الرابع والسبعون

خبر قدوم طارق المحاربي وأصحابه مسلمين منقادين

116 - عن طارق بن عبدالله المحاربي رضي الله عنه قال : كنت بسوق ذي المجاز^(١) في بياعة لي ، فمرَّ رجل عليه حلة حمراء ، فسمعتة يقول : «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» ، ورجل يتبعه يرميه بالحجارة قد آدمى كعبه ، وهو يقول : يا أيها الناس لا تطيعوا هذا فإنه كذاب . فقلت : من هذا ؟ فقيل : هذا غلام بني عبد المطلب يزعم أنه رسول ، وهذا عمه عبد العزى - أبو لهب - .

فلما أظهر الله الإسلام خرجنا من الربذة ، ومعنا ظعينة لنا^(٢) حتى نزلنا قريباً من المدينة ، فبينما نحن قعوداً إذ أتانا رجل عليه ثوبان ، فسلم علينا فقال : «من أين القوم» ، فقلنا : من الربذة ، ومعنا جمل أحمر ، فقال : «تبيعونني هذا الجمل ؟» ، فقلنا : نعم ، فقال : «بكم ؟» فقلنا : بكذا وكذا صاعاً من تمر ، فقال : «أخذته» وما استقصى ، فأخذ بخطام الجمل ، فذهب به حتى تواری في حيطان المدينة ، فقال بعضنا لبعض : تعرفون الرجل ، فلم يكن منا أحد يعرفه . فلام القوم بعضهم

(١) وهو سوق كان الناس يتبايعون فيه في الجاهلية ، قريب من عرفات .

(٢) الظعينة : المرأة . والربذة : قرية تبعد مسيرة ثلاثة أيام عن المدينة ، قريبة من ذات عرق .

بعضاً ، فقالوا : تعطون جملكم من لا تعرفون .

فقال الطعينة : فلا تلاوموا ، فلقد رأينا وجه رجل لا يغدر بكم ، ما رأيت شيئاً أشبه بالقمر ليلة البدر من وجهه ، فلما كان العشي أتانا رجل فقال : ((السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أنتم الذين جئتم من الربذة ؟)) ، قلنا : نعم . قال : أتانا رسول رسول الله ... إليكم ، وهو يأمركم أن تأكلوا من هذا التمر حتى تشبعوا ، وتكتالوا حتى تستوفوا ، فأكلنا من التمر حتى شبعنا ، واكتلنا حتى استوفينا .

ثم قدمنا المدينة من الغد فإذا رسول الله ... قائم يخطب الناس على المنبر ، فسمعته يقول : ((يد المعطي العليا ، وابدأ بمن تعول ، أمك وأباك وأختك وأخاك وأدناك أدناك)) ، ثم رجل من الأنصار فقال : يا رسول الله هؤلاء بنو ثعلبة بن يربوع الذين قتلوا فلاناً في الجاهلية ، فخذ لنا بثأرنا ، فرفع رسول الله ... يديه حتى رأيت بياض إبطيه ، فقال : ((لا تجني أم ولد على ولد ، لا تجني أم ولد على ولد)) .

الفوائد والعبر :

(١) رواه ابن أبي شيبة 300/14 ، والنسائي (2531) ، وابن ماجه (2760) ، والطبراني (8175) ، والحاكم 612/2 ، والدارقطني 45/3 وبعضهم اختصره . وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وصححه أيضاً البوصيري في الزوائد .

1 - أنه يجب على الدعاة والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر التحلي بالصبر وتحمل الأذى من المدعوين ، فإن الدعاة والمحتسين كثيراً ما يتعرض لهم أهل الكفر وأهل النفاق والفساق بالأذى الجسدي أو بالأذى بالسباب أو القرح فيهم بما ليس فيهم - كما فعل أبو لهب - أو بتصيد أخطائهم وتضخيمها ونشرها ، ولهذا أعقب الله تعالى الأمر بالتواصي بالحق بالأمر بالصبر عليه في سورة العصر .

2 - أن الهداية بيد الله تعالى ينعم بها على من علم أنه أهل لها ، وليست بيد أحد من الخلق ، حتى أنبياء الله تعالى - وهم أفضل البشر - لا يستطيعون هداية أحد لم يرد الله هدايته ، كما قال تعالى : { إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم } [القصص: 56] ، ولهذا لم يستطع محمد ... هداية عمه أبي لهب ولا عمه أبي طالب الذي نصره وحماه ، ولم يستطع نوح عليه السلام هداية ابنه وزوجته ، ولم يستطع لوط عليه السلام هداية زوجته .

3 - أن نور الإيمان والطاعة يظهر على وجه صاحبه ، ولهذا كان أقوى البشر إيماناً - ... - كأن وجهه قطعة قمر .

4 - أن للصادق علامات يعرف بها ، كما أن للكاذب علامات يعرف بها ، فينبغي أن يكون المسلم فطناً ، وأن لا يثق إلا بمن تظهر عليه أمارات الخير بعد التأكد من حسن تعامله ، وأن يحذر ممن تظهر عليه أمارات السوء .

5 - في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة رسول الله

6- أن المرأة قد تكون في بعض الأحيان أكثر فطنة من بعض الرجال .

* * *

الدرس الخامس والسبعون

خبر إسلام وائل بن حجر ووفادته

117 - عن وائل بن حجر الكندي الحضرمي - رضي الله عنه - قال : بلغني ظهور النبي ... فتركت ملكاً وطاعته عظيمة ، فهبطت إلى النبي ...^(١) ، فلقيته ، فقرب مجلسي ، وأداني ، وبسط لي رداءه ، وأجلسني معه ، وقبل إسلامي ، ثم هبط إلى منبره ، فصعد ، وأصعدني معه ، فقامت دونه ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبيين ، وقال : ((هذا وائل بن حجر أتاكم من بلاد بعيدة ، من حضرموت ، طائعاً غير مكره ، راغباً في الله عز وجل وفي رسوله وفي دينه)) ثم أقطعني أرضاً^(٢) ، وأرسل معي معاوية بن أبي سفيان ((أن أعطيها إياه)) - أو قال : ((أعلمها إياه)) - قال : فقال لي معاوية : أردفني خلفك . فقلت : لا تكون من أرداف الملوك . قال : فقال : أعطني نعلك . فقلت : انتعل ظل الناقة . قال : فلما استخلف معاوية أتيته ، فأقعديني معه على السرير ، فذكرني الحديث^(٣) .

(١) أي ذهبت إليه وقدمت عليه .

(٢) أي أعطاني أرضاً .

(٣) رواه الطبراني في الكبير 46 / 22 - 48 ، وفي الصغير (1176) ، والبخاري في التاريخ الكبير 8 / 175 ، 176 ، والبزار كما في كشف الأستار (2745) بإسناد فيه مقال . وينظر

الفوائد والعبر :

1 - رجاحة عقل وائل بن حجر - رضي الله عنه - حيث أثر الإسلام الذي هو سبب لسعادة الدنيا وللغفران بالجنة والنجاة من النار على الملك والطاعة العظيمة ، فأين حاله من حال من آتاه الله جاهاً أو سلطة في الدنيا فسبب له الاعراض عن سبب سعادته في الدنيا والآخرة ، بل إنه استعمل ما آتاه الله من النعم في الظلم ومعصية الرحمن ، فمن استمر على هذا ولم يتب منه فعمله هذا أكبر دليل على سفاهته ونقص عقله ، ولو تصور حاله ومآله عند حضور الموت - وهو والله موعد قريب لكل حي من المخلوقات - وعندما يدخل في القبر ويدفن في التراب ، أو تفكر في حال من سبقه من أمثاله ممن هجم عليهم الموت وهم في غفلة لا رعوى عن كثير من غيه

المجمع 9/ 376 .

ورواه ابن سعد 1/ 348 - 351 بأسانيد مرسلة ، وبإسناد متصل ضعيف .

وروى شطره الأول الطبراني في الكبير 22/ 19 ، 20 بإسناد فيه ضعف . وينظر : المجمع

9/ 374 .

وروى شطره الثاني المتعلق بالإقطاع وقصة معاوية الإمام أحمد (27238) ؛ والترمذي

(1381) ، وأبو داود (3058 ، 3059) وحسنه الترمذي ، وهو كما قال .

وبالجملة فالحديث حسن بشواهد .

وضلاله ، ولكنها الغفلة وقسوة القلب وقلة التفكير والعقل – نسأل الله السلامة والعافية .

2 – أنه ينبغي الاهتمام بحديثي الإسلام وبالأخص من لهم مكانة وتأثير في قومهم ، فينبغي أن يتعامل معهم بما فيه تأليف لهم ، وتقوية لإيمانهم ، لما يرجى من تأثيرهم في دعوة قومهم إلى الإسلام ونحو ذلك .

3 – جواز إقطاع الوالي لبعض أفراد رعيت ه أَرْضاً أو نحوها إذا اقتضت المصلحة الشرعية ذلك .

4 – أن حديث الإسلام لا يستغرب أن يصدر منه بعض التصرفات التي لا تصدر من المؤمن الذي استقر الإيمان في قلبه .

5 – عفو وصفح معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنهما – عن أساء إليه ، حيث لم يعاقب وائل بن حجر على فعله السابق معه ، ولم يصدر منه تجاهه حتى مجرد المعاتبة على صنيعه ذلك مع ما فيه من الإساءة إليه بالفعل والقول .

* * *

الدرس السادس والسبعون

خبر إسلام الحكم بن حزن الكلفي وجماعة من قومه بني كلفة ووفادتهم

118 - عن الحكم بن حزن الكلفي - رضي الله عنه - قال : وفدت إلى

رسول الله ... سابع سبعة ، أو تاسع تسعة ، فدخلنا عليه فقلنا : يا رسول الله ،
زُرْنَاكَ فَادْعُ الله لنا بخير ، فأمر بنا ، أو أمر لنا بشيء من التمر ، والشأن إذ ذاك
دون ، فأقمنا بها أياماً شهدنا فيها الجمعة مع رسول الله ... ، فقام مُتَوَكِّئًا على
عصرٍ ، أو قوس ، فحمد الله وأثنى عليه كلمات خفيفات طيبات مباركات ، ثم
قال : ((أيها الناس ، إنكم لن تطيقوا أو لن تفعلوا كل ما أمرتكم به ، ولكن سدّدوا
وأبشروا)) .

الفوائد والعبر :

1 - أنه ينبغي إكرام الضيف بما يتيسر لصاحب المنزل ، ولا ينبغي له أن يكلف

من أجل إكرامه ما يشق عليه ويثقل كاهله من دين أو غيره .

(١) رواه الإمام أحمد (17856، 17857) ، وأبو داود (1096) وسنده حسن .

2 - استحباب الاتكاء على عصا أو نحوها في الخطبة .

3 - استحباب بدء الخطبة بحمد الله تعالى والثناء عليه .

4 - يسر هذا الدين في جميع أحكامه وتشريعاته ، ومن يسره أن المسلم إذا سد

- أي أتى بما يستطيعه من التكاليف والأوامر الشرعية - وعجز عن الإتيان ببعض

الواجبات بسبب بعض العوارض التي تعرض له من مرض أو فقر أو غيرهما أنه لا

حرج عليه أو إثم ، كما قال تعالى : { لا يكلف الله نفساً إلا وسعها } [البقرة: 286] ؛

وكما قال النبي ... : «إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وما أمرتكم به فأتوا منه ما

استطعتم» ، ومن يسر هذا الدين أن جميع أحكامه مناسبة للبشر محققة الخير لهم ،

ليس في شيء منها ما يسبب لهم العنت والمشقة العظيمة ، كما قال الله تعالى عن نبي

هذه الأمة : { الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في

التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم

عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به

وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون {

[الأعراف: 157] .

وليس من يسر الدين أن يقوم المسلم بتتبع رخص الفقهاء ، وذلك بأن يتلقت

من فتاوى الفقهاء عند اختلافهم في حكم مسألة ما تهواه نفسه ، لأن هذا من اتباع الهوى وليس من اتباع شرع الله تعالى ، فتتبع رخص الفقهاء محرم ، بل إن المسلم إذا استكثر من تتبع رخص الفقهاء التي تناسب هواه يكون على خطر عظيم ، ولهذا قال بعض أهل العلم : ((من تتبع الرخص تزندق))، والواجب على المقلد في جميع المسائل التي اختلف فيها العلماء أن يأخذ بقول أفضل العلماء في الدين والعلم ممن يتيسر له معرفة أقواله^(١) .

* * *

(١) ينظر إعلام الموقعين (الفتوى : الفائدة 66) 4/261 ، الأصول من علم الأصول : الاجتهاد : مواضع التقليد ص 100 .

الدرس السابع والسبعون

أخبار إسلام جماعة من النساء ومبايعتهن

119 - عن أميمة بنت رقيقة القرشية - رضي الله عنها - أنها قالت : أتيت

رسول الله ... في نسوة نبايعه ، فقلنا : يا رسول الله نبايعك على أن لا نشرك بالله شيئاً ، ولا نسرق ، ولا ننزي ، ولا نأتي بهتان نفتریه بين أيدينا وأرجلنا^(١) ، ولا نعصيك في معروف^(٢) . قال : ((فيما استطعتن وأطقتن)) ، قالت : فقلنا : الله ورسوله أرحم بنا منا بأنفسنا ، هلم نبايعك يا رسول الله . قال رسول الله ... : ((إني لا أصافح النساء ، إنما قولي لمائة امرأة كقولي لامرأة واحدة))^(٣) .

120 - وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة بن

(١) أي أن لا نلحق بزوجها ولداً ليس من أولاده ، عن طريق التقاطه وزعم أنه ابنها ، أو عن طريق الزنى .

(٢) المعروف : ما عرف حسنه في الشرع ، وهو ما أمر الله به .

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ 2/ 982 ، والإمام أحمد (27008) وغيرهما ، وسنده صحيح ، رجاله رجال الصحيحين ، سوى الصحابية راوية الحديث ، وقد صححه الحافظ ابن كثير في تفسيره ، وله شواهد كثيرة تنظر في المسند (6850) ، (20796) ، (27062) ، (27133) ؛ والمجمع : المغازي ، باب البيعة على الإسلام 6/ 36 - 40 .

رببعة تباع الرسول ... فأخذ عليها : { أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزينن } الآية [المتحنة: 12] ، فوضعت يدها على رأسها حياء ، فأعجب رسول الله ... ما رأى منها ، فقالت عائشة : أقري أيتها المرأة^(١) ، فوالله ما بايعنا إلا على هذا . قالت : فنعم إذاً . فبايعها بالآية^(٢) .

الفوائد والعبر :

1 - أهمية مبايعة الرجال والنساء وأهمية أخذ العهد عليهم في البعد عن عظام المعاصي كالشرك والزنى وغيرهما مع عدم إهمال عموم الطاعة في كل ما عرف حسنه في الشرع .

2 - رحمة النبي ... بأتمته وشفقته عليهم ، ولهذا لم يترك أماً فيه خير لهما إلا حذرهما منه ، ولا أمراً فيه ضرر عليها إلا وحرمه عليها ، ولهذا فإنه أمرهم بكل حسن وطيب وحرم عليهم كل خبيث ومضر ، قال الله تعالى في شأنه ... : { الذين

(١) الظاهر أن مرادها : اهدئي ، وهوني على نفسك .

(٢) رواه عبدالرزاق (9827) ، وأحمد (25175) ، وابن حبان (4554) وغيرهم . وسنده

صحيح ، رجاله رجال الصحيحين وبيعة فاطمة المذكورة في هذا الحديث هي عند

إسلامها . ينظر ترجمتها في الإصابة 4 / 372 ، أما بيعة عائشة فالظاهر أنها مما يأخذه الإمام

على رعيته من المسلمين .

يتبعون الرسول النبي ... { [الأعراف: 157] .

- 3 - تحريم مصافحة النساء ، فهذا النبي ... في أعظم موقف له مع النساء - وهو مبايعتهنَّ على الإسلام - يرفض مصافحة النساء اللاتي ليس محرماً لهن ، وقد ثبت عن النبي ... أنه قال : ((لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له)) .
- 4 - أهمية خلق الحياء ، للرجال والنساء ، وإن كان ينبغي أن يكون نصيب النساء منه أكثر من غيرهن .

* * *

(١) رواه الطبراني 211/20 ، 212 ، والرويانى فى مسنده كما فى السلسلة الصحيحة (226)

الدرس الثامن والسبعون

قصة إسلام أم أبي هريرة

121 - عن أبي هريرة ، قال : كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوها يوماً ، فأسمعتني في رسول الله ... ما أكره ، فأتيت رسول الله ... وأنا أبكي ، فقلت : يا رسول الله ! إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ ^(١) ، فدعوها اليوم فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة ، فقال رسول الله ... : ((اللهم ! اهد أم أبي هريرة)) . فخرجت مستبشرة بدعوة نبي الله ... ، فلما جئت فصرت إلى الباب ^(٢) ، فإذا هو مجاف ^(٣) ، فسمعت أمي خشف قدمي ^(٤) ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة ^(٥) ! وسمعت خضخضة الماء ^(٦) . قال :

(١) أي تمتنع عن الدخول في الإسلام .

(٢) أي وصل إلى باب بيته الذي فيه أمه .

(٣) أي مغلق .

(٤) أي صوت وحركة مشيه على الأرض .

(٥) أي انتظر في مكانك خارج البيت .

(٦) أي صوت تحريك الماء ، لأن أمه كانت تغتسل من أجل الدخول في الإسلام .

فاغتسلت ، ولبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب^(١) ، ثم قالت :
يا أبا هريرة ! أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . قال :
فرجعت إلى رسول الله ... ، فأقته وأنا أبكي من الفرح ، قلت : يا رسول الله ! أبشر
قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة . فحمد الله ، وقال خيراً . قال :
قلت : يا رسول الله ! ادع الله أن يحبني أنا وأمي إلى عباده المؤمنين ، ويحبهم إلينا .
قال : فقال رسول الله ... : ((اللهم ! حب عبيدك هذا - يعني أبا هريرة - وأمه إلى
عبادك المؤمنين ، وحب إليهم المؤمنين)). فما خلق مؤمن يسمع بي ، ولا يراني إلا
أحبنى . رواه مسلم^(٢) .

الفوائد والعبر :

- 1 - أنه ينبغي للمسلم الحرص على الدعوة إلى الله تعالى ، وبالأخص دعوة
الأقربين .
- 2 - أن المؤمن يحزن ويغضب إذا انتهكت حرمة الله أكثر مما يحزن ويغضب

(١) أي أن أمه - رضي الله عنها - بعد أن اغتسلت لبست درعها - وهو الثوب - واستعجلت
فتحت الباب قبل أن تلبس الخمار الذي تغطي به رأسها .
(٢) صحيح مسلم : الفضائل (2491) .

من أجل أموره ومصالحه الخاصة ، وأيضاً يفرح إذا رأى أو سمع ما فيه طاعة الله وانقياد لشرعه أكثر من ما يفرح من أجل مصالحه الخاصة .

3 - في هذا الحديث دليل من دلائل نبوة نبينا محمد ... ومعجزة من معجزاته عليه الصلاة والسلام حيث استجاب الله تعالى دعاءه ... على الفور وبعين ما سأل .

4 - أنه ينبغي للمسلم أن يحرص على هذا السلاح الذي عطله كثير من المسلمين - وهو سلاح دعاء الله تعالى والالتجاء إليه - .

5 - أن من التوسل المشروع في الدعاء أن يطلب المسلم من عبد صالح أن يدعو الله له .

6 - استجاب حمد الله تعالى عند حصول النعم ، وإن سجد المسلم شكراً عند حصولها فحسن ، كما ثبت عن النبي ... في مواقف أخرى .

7 - أن حب أبي هريرة وأمه ، وكذلك جميع أصحاب النبي ... من علامات الإيمان ، وبغضهم أو سبهم - كما هو عمل الرافضة - من علامات الضلال وضعف الإيمان أو انعدامه والعياذ بالله^(١) .

* * *

(١) ينظر في شرح عبارات هذا الحديث وبيان فوائده : شرح مسلم للنووي 652/16 ، إكمال المعلم لعياض 533/7 ، جامع الأصول 375/11 .

الدرس التاسع والسبعون

خبر إسلام ضرار بن الأزور - رضي الله عنه -

122 - عن أبي الحصين بن الزبير قال : أقبل ضرار بن الأزور إلى النبي ... ، وقد خلف ألف بغير برعاتها ، فأخبره بما خلف وبيغضه للإسلام ، ثم إن الله هداه ، وحبب إليه الإسلام ، وقال : يا رسول الله إني قلت شعراً ، فاسمعه ، فقال النبي ... : ((هيه)) قال : قلت :

تركت القداح وعزف القيان
وشدي المحبرّ في غمرة و
والخمر أشربها والثمالا^(١)
كّرّي على المسلمين القتالا^(٢)

(١) أي أسمعني ما قلته .

(٢) القداح : السهام التي كانوا يلجئون إليها في الجاهلية إذا أرادوا فعل شيء ، وقد كتب على أحدها : أفعل . وكتب على الثاني : لا تفعل . والثالث ليس عليه شيء . فما خرج منها علموا بمقتضاه ، وإن خرج الغفل أعادوا ضرب القداح . وعزف القيان : صوت المغنيات من الجوّاري . والثمال : السكر .

(٣) المحبر : اسم لفرس ضرار ، والشدو : يقال : شدوت الإبل : سقتها كما في الصحاح (مادة : شدا) ، والغمرة : الشدة . ومعنى البيت فيما يظهر : أنه ترك ركوب فرسه وسوقها لحرب المسلمين وترك قتالهم .

وقالت جميلة شتتنا وبعدت
أهلك شتى شلالاً^(١)
فيا رب لقني به جنتي فقد
بعث أهلي ومالي ابتداءً^(٢)
فقال رسول الله ... : «(ربح البيع ، ربح البيع ، ربح البيع)»^(٣) .

الفوائد والعبر :

1 - فضل ضرار بن الأزور - رضي الله عنه - ورجاحة عقله حيث أثر الإسلام الذي هو سبب لسعادته في الدنيا والآخرة على البقاء عند أمواله الكثيرة وعنده أهله وأولاده مشركا ، فأين حاله من حال من آتاه الله مالاً فاستعمل هذه النعمة في معصية الله وحربه ، باستعماله هذا المال في الربا ، وصرفه في الأوجه

- (١) أي أن جميله - وهي زوجته أو إحدى قريباته - قالت له لما ذهب ليسلم : إنك شتت أهلك وبددتهم . وقوله : شتى شلالاً : أي فرقتهم أيما تفريق . أي تفريقاً كبيراً .
- (٢) أي أنه باع أهله وماله بتركه لهما ومجيئه ليسلم البدل من الله تعالى ، وهو الجنة .
- (٣) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (16703) ، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (3889 - 3892) ، وبحشل ص 174 وغيرهم بأسانيد كثيرة ، في كل منها ضعف ، فهو بمجموعها حسن أو قريب منه . وينظر المجمع 9 / 390 ، 391 . وينظر في شرح أبيات هذه القصيدة : كتب اللغة كالصحيح ، ولسان العرب ، وحاشية السندي المطبوعة مع المسند 27 / 257 ،

المحرمة من شراء لآلات اللهو التي يفسد بها قلبه وقلوب أولاده وأهله الذين أمر بوقايتهم من النار ، أو بصرفه في غير ذلك من الأوجه المحرمة ، وتسبب هذا المال في غفلته وطول أمله ، كما قال تعالى : { ويل لكل همزة لمزة ... مؤصدة } [الهمزة] ، فالمال والولد اختبار للعبد ، وكلما كثر المال كانت الفتنة أعظم ، قال الله تعالى : { إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم } [التغابن: 15] .

2 - أن القرابة الذين فرق بينهم الإسلام ، فأسلم بعضهم ، ولم يسلم بعضهم ، يعتبر تفرقهم هذا محموداً في حق المسلم ، لأنه ابتعد عن ما هو سبب لشقائه في الدنيا والآخرة ، ودخل فيما سبب لسعادته في الدنيا والآخرة ، ولا يضره بعده عن قرابته من المشركين ، بل إن بعده عن من يخشى من ضرره عليه منهم في دينه أمر مطلوب ، ومثل من يترك مجالسة أقاربه الذين لا يؤدون الصلاة ويهجرهم ، وقريب منه من لا يكثر من مجالسة أقاربه الذين يكثر في مجالسهم القيل والقال ، فكل هذا من الأمور المطلوبة شرعاً .

3 - أن من ترك حطام الدنيا من أجل الله ، كمن أسلم وترك أمواله التي لم يستطع الإسلام إلا بتركها ، كحال ضرار ، وكمن لم يستطع عبادة ربه إلا بتركها ، كحال صهيب عند هجرته^(١) فقد ربح أعظم ربح .



الدرس الثمانون

قصة إسلام الأعرابي الذي بايع ثم طلب الإقالة من بيعته

123 - عن جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - أن أعرابياً جاء إلى النبي ... فقال : بايعني على الإسلام ، فبايعه على الإسلام ، فأصاب الأعرابي وَعَكٌ^(١) بالمدينة ، فأتى إلى النبي ... ، فقال : يا محمد أقلني بيعتي^(٢) . فأبى النبي ... ، ثم جاء ، فقال : أقلني بيعتي ، فأبى النبي ... ، ثم جاء ، فقال : أقلني بيعتي ، فأبى النبي ... ، فخرج الأعرابي ، فقال النبي ... : ((إنما المدينة كالكير ، تنفي خبثها ، وتنصعُ طيبها))^(٣) رواه البخاري ومسلم^(٤) .

الفوائد والعبر :

- (١) أي همي كما في رواية البخاري الأخرى (7216) .
- (٢) ظاهر الحديث : أنه أراد إقالة بيعته على الإسلام ، ويحتمل أنه أراد الإقالة من بعض عوارضه كالهجرة . ينظر : الفتح 4 / 97 ، و 13 / 200 .
- (٣) معنى ((ينصع)) يصفو ويظهر ، والمراد أنه يخرج منها من لم يخلص إيمانه ممن لا خير فيه ، ويبقى فيها الطيبون . ينظر : المفهم 4 / 499 ، وإكمال المعلم 4 / 501 ، 502 .
- (٤) صحيح البخاري (1883) ، وصحيح مسلم (1383) .

- 1 - أن الله تعالى يختبر عباده بالضراء والسراء ، لينظر من يصبر ويحتسب ويثبت على الحق عند إصابته بالضراء ممن لا يصبر ، فتزل به القدم ، وينظر من يشكر عند السراء ويستعين بها على الطاعة ممن يطغى ويستعمل هذه النعمة في معصية الله ، كما قال تعالى : { فأما الإنسان إذا أهانن } [الفجر: 15 ، 16] .
- 2 - أن التشاؤم من اعتقادات الجاهل الذين لا علم عندهم ولا رأي سديد لديهم ، فهذا الأعرابي الجاهل قد اعتقد أن هذه الحمى التي أصابته إنما هي بشؤم هذه البيعة^(١) ، وهذا جهل وضلال كبير ، إذ كيف تكون الطاعة سبباً للمرض ، فهذا مخالف للواقع وعكس للحقائق ، لأن الشؤم في الحقيق ة إنما يكون في معصية الله تعالى ، وذلك أن المعصية سبب للعقوبات في الحياة الدنيا وفي القبر وفي نار جهنم^(٢) .
- أما الشؤم بمعنى أن بعض الأماكن أو الحيوانات أو الألوان أو الأرقام أو غيرها من المخلوقات سبب لحدوث المصائب فهذا لا حقيقة له ، وهو من اعتقادات الجاهلية ، ومع الأسف أن هذا التشاؤم موجود عند بعض المسلمين اليوم ، فتجد بعضهم إذا فتح متجره في الصباح فجاءه مشتر فيه عيب خلقي تشاءم وأغلق متجره ، وبعض التجار والمهندسين يتشاءمون من رقم 13 فلا يضعون هذا الرقم

(١) حاشية السندي على سنن النسائي 7 / 170 .

(٢) لطائف المعارف (وظيفة صفر) .

في المصاعد الكهربائية ولا في أدوار العمارات ، وهذا تقليد منهم للجاهلية الغربية المعاصرة .

* * *

الدرس الحادي والثمانون

خبر إسلام رجلين من مذحج

124 - عن أبي عبدالرحمن الجهني ، قال : بينا نحن عند رسول الله ... طلع راكبان ، فلما رأهما قال : ((كِنْدِيَّانِ مَذْحِجِيَّانِ)) حتى أتياه ، فإذا رجلان من مذحج ، قال : فدنا إليه أحدهما ليبياعه ، قال : فلما أخذ بيده ، قال : يا رسول الله ، أرأيت من رآك فآمن بك وصدقك وأتبعك ، ماذا له ؟ قال : ((طوبى له))^(١) قال : فَمَسَحَ على يده فانصرف ، ثم أقبل الآخر حتى أخذ بيده ليبياعه ، قال : يا رسول الله ، أرأيت من آمن بك وصدقك واتبعك ولم يرك ؟ قال : ((طوبى له ، ثم طوبى له ، ثم طوبى له)) قال : فمسح على يده ، فانصرف^(٢) .

الفوائد والعبر :

- (١) قيل : إن معنى «طوبى» : أصاب خيراً ، وقيل إن «طوبى» اسم للجنة . ينظر : تفسير الآية (29) من سورة الرعد في تفسير ابن كثير .
- (٢) رواه الإمام أحمد (17388) ، وابن أبي شيبة في مسنده (730) وسنده حسن ، وقد حسنه الهيثمي 18 / 10 ، والحافظ ابن حجر . وينظر المطالب (4178) ، وتنظر شواهد هذا الحديث في المسند (16976) ، وصحيح ابن حبان (7230) .

1 - في هذا الحديث معجزة من معجزات نبينا محمد ... حيث أخبر عليه الصلاة والسلام عن قبيلة وفخذ هذين الرجلين قبل وصولهما ، فكانا كما أخبر صلوات ربي وسلامه عليه .

2 - مشروعية التبرك بجسد النبي ... ، ولهذا مسح كل واحد من هذين الرجلين يد النبي ... ، وأقرهما النبي عليه السلام على ذلك ، حيث لم ينكر عليهما عملهما ذلك ، فهذا التبرك خاص بالنبي ... ، فهو أفضل البشر عليه الصلاة والسلام ، فهو القائل عن نفسه : «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» .

فلا يجوز أن يجعل أحد من البشر في منزلة النبي ... الخاصة به ، ولا يجوز أن تجعل الأمور الخاصة به عليه الصلاة والسلام لغيره ، فهذا هضم لحقه ... وانتقاص له وإنكار لخصائصه التي تميز بها .

ولذلك لم يثبت أن أحداً من الصحابة أو التابعين أو أحداً من سلف هذه الأمة تبرك بجسد أحد من الصالحين ، ولا من العشرة المبشرين بالجنة ، ولا من آل البيت ، ولا من غيرهم ، وهذا إجماع منهم على تحريم التبرك بجسد غيره ... من البشر ، إذ لو كان جائزاً لبادروا إليه ، لحرصهم على الخير .

(١) رواه أحمد (10972) ، وأبو داود (4673) من طريقين رجالهما ثقات . وهو في السلسلة الصحيحة (1517) ، ورواه مسلم (2278) بزيادة (يوم القيامة)).

3 - بيان كثرة أجور من آمن بالنبي ... ولم يره ، ولم ير أكثر دلائل نبوته ، لأن هذا دليل على قوة إيمانه ، فجانب الإيـان بالغيب بالنسبة إليه في باب الإيـان بنبوة محمد ... أكثر منه في حق من رآه عليه الصلاة والسلام ^(١) ، ولا يعني هذا تفضيله تفضيلاً مطلقاً على من شاهد النبي ... ، فإن أفراد الصحابة أفضل من كل من جاء بعدهم ، قال الحافظ ابن حجر : «مجرد زيادة الأجر لا يستلزم ثبوت الأفضلية المطلقة ، وأيضاً فالأجر إنما يقع تفاضله بالنسبة إلى ما يماثله في ذلك العمل ، فأما ما فاز به من شاهد النبي ... من زيادة فضيلة المشاهدة فلا يعدله فيها أحد»^(٢) .

* * *

(١) فكل منهما في إيمانه في هذه المسألة مؤمن بمسألة غيبية ، وهي أن الله أرسله عليه الصلاة والسلام ، بل إن الإيـان بجميع مسائل العقيدة إنما هو إيمان بالغيب ، كما هو مقرر في موضعه ، لكن مقدار هذا الغيب قد يختلف من شخص لآخر في بعض المسائل .

(٢) ينظر الفتح : أو كتاب فضائل الصحابة 6/7 ، 7 ، وينظر : شرح مشكل الآثار 6/254 - 266 ، مجموع الفتاوى 4/461 - 464 ، 527 .

الدرس الثاني والثمانون

أخبار إسلام جرير بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه -

- 125 - عن جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : ما رأني النبي ... منذ أسلمت إلا تبسم في وجهي ، وقال رسول الله ... : ((يطلع عليكم من هذا الباب رجل من خير ذي يمن^(١) ، على وجهه مسحة ملك))^(٢) ، ثم دخل جرير بن عبدالله^(٣) .
- 126 - وعن زياد بن علاقة ، قال : سمعت جرير بن عبدالله قام يخطب يوم توفي المغيرة بن شعبه ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : عليكم باتقاء الله وحده لا شريك له ، والوقار والسكينة حتى يأتيكم أمير ، فإنما يأتيكم الآن .
- ثم قال : استعفوا لأمركم ، فإنه كان يحب العفو ، ثم قال : أما بعد ، فإني

-
- (١) قال السندي كما في حاشيته على المسند 518/31 : ((الظاهر أنه بضم الياء ، بمعنى التيمن والبركة . أو هو بفتحيتين ، بمعنى البلاد المعروفة ، فإن بجيلة بناحية اليمن)).
- (٢) قال في النهاية (مادة : ملك) : ((أي أثر من الجمال ، لأنهم أبدأ يصفون الملائكة بالجمال)) ، وقال الذهبي في سير النبلاء 531/2 : ((قلت : كان بديع الحسن ، كامل الجمال)) ، ويقارن الفتح الرباني 216/21 .
- (٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (250) ، والطبراني (2258) وسنده صحيح ، وهو في صحيح الأدب المفرد ص 111 ، ورواه الإمام أحمد (19179) مطولاً .

أتيت رسول الله ... فقلت : يا رسول الله أبايعك على الإسلام فشرط عليّ : ((والنصح لكل مسلم)) فبايعته على هذا ، ورب هذا المسجد إني لناصح لكم . ثم استغفر ونزل . رواه البخاري^(١) .

127 - وعن أبي زرعة بن عمرو بن جرير ، قال : قال جرير : بايعت رسول

الله ... على السمع والطاعة ، وعلى أن أنصح لكل مسلم . قال : وكان جرير إذا اشترى الشيء وكان أعجب إليه من ثمنه ، قال لصاحبه : تعلمن وا لله لما أخذنا أحب إلينا مما أعطيناك ، كأنه يريد بذلك الوفاء^(٢) .

وعن جرير ، قال : قلت يا رسول الله اشترط علي : ((تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتنصح للمسلم ، وتبرأ من الكافر))^(٣) .

(١) صحيح البخاري (58) .

(٢) أي أنه إذا اشترى سلعة ورأى أن سعرها أقل من السعر الذي تستحقه هذه السلعة قال

للبيع : إن السلعة التي اشتريناها منك أحب إليّ من ثمنها الذي أعطيتك إياه ، وهذا إنما كان يفعله جرير - رضي الله عنه - من باب الوفاء بما بايع النبي ... عليه من النصح لكل مسلم ، فيكون حينئذ قد نصح لهذا البائع المسلم . والحديث رواه الإمام أحمد (19229) وسنده صحيح ، رجاله رجال مسلم .

(٣) رواه الإمام أحمد (19153) وسنده حسن ، ورواه الإمام أحمد (191/12) ، والنسائي

الفوائد والعبر :

1 - أنه يجب على المسلم أن ينصح لأخيه المسلم في أي بلد من أي قبيلة ، فيجب عليه أن يحب له الخير وأن يكره أن يصيبه شر ، وأن يعمل على إبعاده ما يضره عنه ، فإذا رأى ضرراً سيقع عليه في بدنه أو ماله أو عرضه وجب عليه أن يعمل على إبعاده عنه ، فإن لم يستطع دفعه ووقع هذا الضرر على المسلم كرهه ، وتمنى له الخير ، وهذا من الولاء الواجب للمسلم ، لحديث : ((الدين النصيحة ...))رواه مسلم^(١) ، ولحديث : ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))رواه البخاري ومسلم^(٢) ، أي لا يؤمن الإيمان الواجب إلا بذلك^(٣) ، ولحديث : ((المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يسلمه))رواه البخاري ومسلم^(٤) ، ولأحاديث أخرى^(٥).

(4186) بنحوه ، إلا أنه قال : ((وعلى فراق المشرك))بدل ((وتبرأ من الكافر)) . وسنده

صحيح .

(١) صحيح مسلم (55) .

(٢) صحيح البخاري (13) ، وصحيح مسلم (45) .

(٣) الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية ص 5 - 36 ، جامع العلوم : شرح الحديث الثالث عشر

. 302/1 ، 303 .

(٤) صحيح البخاري (2442) ، وصحيح مسلم (2580) .

(٥) ينظر جامع العلوم والحكم : شرح الحديث السابع ، 222/1 - 225 ، وشرح الحديث

- 2 - أن عفو المسلم عن أخطاء أخيه المسلم أو ما قصر فيه تجاهه خلق عظيم ،
 ندبنا إليه ربنا جل وعلا ، وواعد على ذلك بالأجر ، قال تعالى { فمن عفا وأصلح
 فأجره على الله } [الشورى: 40] .
- 3 - حرص الصحابة على الخير ، وعلى الوفاء بما التزموه وبايعوا النبي ...
 عليه .
- 4 - وجوب البراء من الكافر ، وذلك ببغضه ، ومعاداته ، والبعد عنهم ،
 وجهاد المحاربين منهم بحسب القدرة^(١) .

* * *

(١) ينظر تفصيل مسألتي الولاء والبراء في رسالة ((تسهيل العقيدة الإسلامية)) لكاتب هذه
 الأسطر : الباب الرابع .

الدرس الثالث والثمانون

خبر إسلام قبيلة (همدان)

128 - عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال : بعث النبي ... خالد بن الوليد إلى أهل اليمن يدعوهم إلى الإسلام ، فلم يجيبوه ، ثم إن النبي ... بعث علي بن أبي طالب ، وأمره أن يُقْفَلَ خالداً ومن كان معه^(١) إلا رجل ممن كان مع خالد أحب أن يعقب مع علي رضي الله عنه ، فليعقب معه^(٢) ، قال البراء : فكننت ممن عقب معه ، فلما دنونا من القوم خرجوا إلينا ، فصلى بنا عليٌّ - رضي الله عنه - وصفنا صفاً واحداً ، ثم تقدم بينا أيدينا ، فقرأ عليهم كتاب رسول الله ... ، فأسلمت همدان جميعاً ، فكتب عليٌّ - رضي الله عنه - إلى رسول الله ... بإسلامهم ، فلما قرأ رسول الله ... الكتاب خر ساجداً ، ثم رفع رأسه ، فقال : «السلام على همدان ، السلام على همدان»^(٣) .

(١) أي أمره أن يقول لخالد بن الوليد - رضي الله عنه - ومن معه من المسلمين أن يرجعوا إلى النبي

(٢) أي من أراد من المسلمين الذين ذهبوا إلى اليمن مع خالد - رضي الله عنه - أن يبقى مع علي - رضي الله عنه - باليمن فله ذلك .

(٣) رواه البيهقي في سننه في الصلاة 369 / 2 ، وفي معرفة السنن 316 / 3 بإسناد حسن على

الفوائد والعبر :

- 1 - أنه ينبغي للداعية أن يواصل في دعوته للكفار والعصاة وأن يكررها ، وأن لا ييأس من هدايتهم إذا رفضوا قبول الدعوة في أول الأمر .
- 2 - يجب على ولي الأمر إرسال الدعاة إلى المناطق والبلدان لدعوة الكفار إلى الإسلام ، ولدعوة المسلمين إلى التمسك بتعاليم الإسلام ، والبعد عن معصية الله ، وتعليمهم أمور دينهم .
- 3 - أن عدم استجابة المدعوين للداعية ليس عيباً فيه ولا في دعوته ، فكثير من أنبياء الله تعالى لم يستجب لدعوتهم إلا القليل ، وبعضهم لم يستجب لدعوته أحد ، وقد روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ... : «عرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي معه الرجل والرجلان ، والنبي ليس معه أحد ...» .
- 4 - أن من هدى الله على يديه شخصاً أو قبيلة فقد حصل له خير كثير ، ينبغي

شرط البخاري ، وقد ذكر البيهقي وابن القيم في زاد المعاد 1/ 360 أن إسناده صحيح على شرط البخاري ، وصححه أيضاً المنذري في مختصر السنن 4/ 86 ، وقد أخرج البخاري صدر هذا الحديث في صحيحه (4349) بنفس إسناده البيهقي .

(1) صحيح البخاري (5752) ، وصحيح مسلم (220) .

له أن يشكر الله تعالى عليه ، وه وخير له من أن يحصل له مكاسب مادية كثيرة .

5 - مشروعية سجود الشكر عند حدوث نعمة أو اندفاع نقمة ، أما ما يفعله بعض الناس من صلاة ركعتين شكراً فهذا لم يثبت عن النبي ... ولا عن أحد من أصحابه - رضي الله عنهم -^(١) .

6 - أن من أسلم وتمسك بأحكام الإسلام يستحق أن يدعى له بالسلامة ، وهو حري أن يسلمه الله من شرور الدنيا والآخرة ، وبالعكس من بقي على الكفر واستمر عليه أو استمر على معصية الله تعالى ولم يتب منها فهو حري أن يشقى في الدنيا بأنواع المنغصات وبضيق الصدر والقلق المستمر ، كما قال تعالى : { ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى } [طه: 124 ، 125] وحري أيضاً أن يشقى في قبره وفي يوم القيامة وفي نار جهنم - نسأل الله السلامة والعافية - .

* * *

(١) تنظر : رسالة (سجود الشكر) لكاتب هذه الأسطر .

الدرس الرابع والثمانون

أخبار إسلام بجيلة ووفادتها وإسلام المستقسم بالأزلام باليمن

129 - عن طارق بن شهاب البجلي الأحمسي - رضي الله عنه - قال : قدم وفد بجيلة على النبي ... فقال : ((اكسوا البجليين ، وابدؤا بالأحسين)) ، قال : فتخلف رجل من قيس ، قال : حتى أنظر ما يقول لهم رسول الله ... ، قال : فدعا لهم رسول الله ... خمس مرات : ((اللهم صل عليهم)) ، أو ((اللهم بارك فيهم)) .

130 - وعن قيس ، عن جرير بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله ... : ((ألا تريخني من ذي الخلصة ؟)) ، فقلت : بلى ، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أمّس ، وكانوا أصحاب خيل ، وكنت لا أثبتُّ على الخيل ،

(١) أمّس : قبيلة باليمن ، قيل : إن أباهم ((أحمس)) هو ابن أخي بجيلة وأن كلا منهما ينتسب إلى ((أنمار)) ، وقيل : إن بجيلة اسم امرأة ، وأن لها أخت اسمها باهلة ، وأنها تنسب إليهما القبيلتان المشهورتان . وقيل : إن أمّس من بجيلة ، وهذا أقرب لظاهر هذه الرواية . ينظر : الأنساب 1/91 ، 284 ، 285 ، الفتح 8/72 .

(٢) رواه الطيالسي (1281) ، وأحمد (18833 ، 18834) وإسناده صحيح ، رجاله رجال البخاري . وقد صححه العراقي والبوصيري . ينظر : التعليق على المطالب العالية . (4152) .

فذكرت ذلك للنبي ... ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري
 وقال : اللهم ثبتّه ، واجعله هادياً مهدياً . قال : فما وقعت عن فرس بعد . قال :
 وكان ذو الخلصة بيتاً باليمن لختعم وبجيلة^(١) فيه نُصِبُ تُعَبَدُ^(٢) ، يقال له الكعبة .
 قال : فأتاها فحرّقها بالنار وكسرها . قال : ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل
 يستقسم بالأزلام^(٣) ، ف قيل له : إن رسول الله ... هاهنا ، فإن قدر عليك ضرب
 عنقك . قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال : لتكسرها ولتشهدن
 أن لا إله إلا الله ، أو لأضربن عنقك . قال : فكسرها ، وشهد . ثم بعث جرير
 رجلاً من أمّس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ... يبشره بذلك . فلما أتى النبي ... قال :
 يا رسول الله ، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركها كأنها جمل أجرب ، قال فبرك

(١) وهو بيت لعبادة المشركين ، يسمونه «الكعبة اليمانية» مضاهاة للكعبة المشرفة بمكة ، وخص

النبي ... جريراً لأنها في بلاده ، وكان من أشرف بجيلة .

(٢) النصب : أصنام من حجارة يتقربون إليها بالذبح وغيره . ينظر : النهاية (مادة : نصب) ،

عمدة القاري 263 / 19 ، القول المفيد 368 / 1 .

(٣) الأزلام : قداح مثل السهام أو الحصى ، كتب على أحدها علامة الخير ، وكتب على الثاني

علامة الشر ، والثالث غفل لاشيء عليه ، فإذا خرج الأول فعلوا ، وإذا خرج الثاني

تركوا ، وإذا خرج الثالث أعادوا الاستقسام ، وهم يزعمون أنهم يستخرجون غيب ما يريد

أحدهم فعله . ينظر : الفتاوى الكبرى 209 / 1 ، الفتح 73 / 8 .

النبي ... على خيل أحمس ورجالها خمس مرّات» رواه البخاري^(١) .

الفوائد والعبر :

- 1 - في هذا الحديث ذكر لكرامة نبينا محمد ... ، حيث استجاب الله لدعائه ... مباشرة .
- 2 - أنه يجب على ولي الأمر إزالة أماكن الشرك ومظاهره كالأصنام والمساجد والغرف المبنية على القبور ، ونحو ذلك .
- 3 - أن ادعاء معرفة ما سيكون في المستقبل من ربح أو خسارة أو أي أمر آخر حسن أو سيء في سفر أو زواج أو سلوك طريق معين أو غير ذلك عن طريق الاستقسام بالأزلام - وهي الضرب بالسهم أو الحصى المكتوب عليها الأمر بالفعل والأمر بالترك - فيفعل ما يخرج منها - أو عن طريق الطرق بالحصى أو الخشب أو الشعير أو عن طريق النظر في الكف أو الفنجال أو نحو ذلك هذا كله من الشرك الأصغر ، لأنه يعتقد أن الله قد جعل هذه الأشياء أسباباً لمعرفة ما سيكون في المستقبل ، وهذا غير صحيح ، لأن الله تعالى لم يجعل هذه الأشياء سبباً في معرفة

(١) أي دعا لها بالبركة خمس مرات ، وفي رواية : (فدعانا ولأحمس).

(٢) صحيح البخاري : المغازي (4357) .

ذلك ، وإن ما هذا من خرافات الجاهلية التي يروجها الكهان والمشعوذون
والدجاجلة .

* * *

الدرس الخامس والثمانون

خبر إسلام آل الديلم من أبناء ملوك اليمن وقدم وفدهم

131 - عن فيروز الديلمي - رضي الله عنه - أنهم أسلموا ، وكان هو فيمن أسلم ، فبعثوا وفدهم إلى رسول الله ... ببيعتهم وإسلامهم ، فقبل ذلك رسول الله ... منهم ، فقالوا : يا رسول الله نحن من قد عرفت ، وجئنا من حيث قد علمت ، وأسلمنا ، فمن وليئنا ؟ قال : ((الله ورسوله)) ، قالوا : حسبنا رضينا^(١) .

132 - وعن فيروز الديلمي أيضاً - رضي الله عنه - قال : وفدت على رسول الله ... ، فقلت : إنا نضع شراباً فنطعمه بني عمنا ، فقال : ((هل يسكر ؟)) قلت : نعم . قال : ((حرام)) ، فلما كان عند توديعي إياه ذكرته له ، فقلت يا نبي الله إنهم لن يصبروا عنه ؟ قال : ((فمن لم يصبر عنه فاضربوا عنقه)) ، قلت : يا نبي الله إن تحتي أختين ؟ ، قال : ((طلق أيهما شئت))^(٢) .

(١) رواه الإمام أحمد (18037، 18042) ، وأبو داود (3710) وسنده صحيح .
(٢) رواه الطبراني في الكبير 18/330، 331 ، وفي سننه ابن أبي فروه ، وهو ضعيف جداً .
لكن المتن صحيح ، فقد روى جزأه الأول الإمام أحمد (18034 - 18036) ، وأبو داود (3683) من حديث الديلم الحميري ، وسنده صحيح . وروى جزأه الأخير الإمام أحمد (18040 ، 18041) ، والترمذي (1129 ، 1130) ، وابن حبان (4155) وحسنه

الفوائد والعبر :

1 - أن الهداية بيد الله تعالى ، ينعم بها على من يشاء من خلقه ، وعلى من يعلم أنه أهل لها ، فقد وهبها لأهل البلاد البعيدة من العرب ومن العجم فهؤلاء آل الديلم من اليمن ومن أبناء فارس وفد هداهم الله للإسلام ، وحرّم منها أناساً من أهل مكة ، بل من قريش ، بل لم ينعم بها على بعض أعمام خير البشر ... ، الذي عادى النبي ... وآذاه وحارب دعوته حتى مات على الكفر ، وأنزل الله تعالى في التشنيع عليه سورة تتلى إلى آخر الزمان ، فسبحانه من إله عليم حكيم .

2 - أن من تكرر منه شرب الخمر مع إقامة الحد عليه في كل مرة يدل على تمرده واستيلاء الشيطان عليه فينبغي تعزيره تعزيراً بليغاً ، وقد جاء في بعض الأحاديث أنه يقتل كما في الحديث الثاني هنا ، وورد في أحاديث أخرى أنه يقتل بعد الرابعة ، لكن ذهب بعض أهل العلم إلى أن القتل منسوخ لكن يعزر بتعزي رادع .

3 - أنه لا يجوز أن يجمع الرجل بين زوجتين أختين ، كما قال تعالى : { وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف } [النساء: 23] .

* * *

الدرس السادس والثمانون

قصة إسلام رجل توفي بعد إسلامه مباشرة

133 - عن جرير بن عبدالله - رضي الله عنه - قال : خرجنا مع رسول الله ... فلما برزنا من المدينة إذا ركب يوضع نحونا فقال رسول الله ... كأن هذا الراكب إياكم يريد قال فأنتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه فقال له النبي ... من أين أقبلت قال من أهلي وولدي وعشيرتي قال فأين تريد قال أريد رسول الله ... قال فقد أصبته^(١) قال يا رسول الله علمني ما الإيمان قال تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال قد أقررت ، قال ثم إن بعيره دخلت يده في شبكة جردان^(٢) فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات فقال رسول الله ... علي بالرجل قال فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة فاقعداه فقالا يا رسول الله قبض الرجل قال فاعرض عنهما رسول الله ... ثم قال لهما رسول الله ... أما رأيتهما اعراضى عن الرجلين فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعاً ثم قال رسول الله ... هذا والله من الذين قال الله

(١) أي أنك وجدت الذي تريد ، وهو النبي

(٢) أي في حجر جردان .

عز وجل : { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون }
 [الأنعام: 82] قال : ثم قال : ((دونكم أخاكم)) قال : فاحتملناه إلى الماء فغسلناه
 وحنظناه وكفناه وحملناه إلى القبر قال فجاء رسول الله ... حتى جلس على شفير
 القبر قال فقال : ((الحدوا ولا تشقوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا)) .

الفوائد والعبر :

- 1 - أن التوحيد هو أفضل الأعمال ، وهو مفتاح الجنة .
- 2 - عظم كرم الله تعالى ، ومن ذلك أنه يثيب على العمل اليسير بالجزاء
الكبير .
- 3 - أن الأعمال بالخواتيم .
- 4 - أن الواجب على العبد البحث عن الخير وأسباب النجاة وفعل الأسباب
الموصلة إليها ، لأن حجة الله على عباده قائمة بإرسال الرسل .
- 5 - أن الأخوة الإيمانية تحصل بمجرد الدخول في الإسلام ، دون نظر إلى
نسب أو بلد .

(١) رواه ابن إسحاق في السيرة ص 271 ، 272 ، والإمام أحمد 4 / 359 من طريقين في كل منهما
ضعف عن زاذان ، عن جرير ، فهو حسن لغيره .

6 - أنه ليس بين الإنسان وبين أن يلاقي نتيجة عمله إلا أن تخرج روحه من

جسده .

7 - أنه يحرم التشبه بالكفار وتقليدهم في أي شيء من عاداتهم التي اختصوا

بها ، ومن ذلك ما يتعلق بتشييع الجناز ودفنها .

* * *

الدرس السابع والثمانون

خبر إسلام قبيلة من قبائل المشركين

134 - عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال : كنا في سفر مع النبي ... ، وإنا أسرينا حتى إذا كنا في آخر الليل وقعنا وقعة ، ولا وقعة أحلى عند المسافر منها ، فما أيقظنا إلا حر الشمس ، وكان أول من استيقظ فلان ثم فلان ثم فلان ثم عمر بن الخطاب الرابع ، وكان النبي ... إذا نام لا يوقظ حتى يستيقظ لأننا لا ندرى ما يحدث له في نومه ^(١) . فلما استيقظ ع مر ورأى ما أصاب الناس - وكان رجلاً جليداً ^(٢) - فكبر ورفع صوته بالتكبير ، فما زال يكبر ويرفع صوته بالتكبير حتى استيقظ بصوته النبي ... ، فلما استيقظ شكوا إليه الذي أصابهم ، قال : ((لا ضير - أو لا يضير ^(٣)) - ارتحلوا)). فارتحل ، فسار غير بعيد ، ثم نزل فدعا بالوضوء فتوضأ ، ونودي بالصلاة ^(٤) فصلى بالناس ، فلما انفتل من صلاته إذا هو برجل معتزل لم يصل

(١) أي لا يدرون ما يحدث له من الوحي ، كانوا يخشون أنه ... يوحى إليه في هذا الوقت ،

فيقطعون الوحي .

(٢) أي صلباً .

(٣) المعنى لا يضر .

(٤) أي أذن لها .

مع القوم ، فقال : ما منعك يا فلان أن تصلي مع القوم ؟ قال : أصابتنى جنابة ولا ماء . قال : عليك بالصيّد فإنه يكفيك . فسار النبي ... فاشتكى إليه الناس من العطش ، فنزل فدعا فلاناً ، ودعا علياً ، فقال : ((اذهبا فابتغيا الماء)) ، فانطلقا امرأة بين مزادتين – أو سطّيحتين^(١) – من ماء على بعير لها فقالا لها : أين الماء ؟ قالت : عهدي بالماء أمس هذه الساعة ونفرنا خلوف^(٢) قالوا لها : انطلقى إذا . قالت إلى أين ؟ قالوا : إلى رسول الله قالت : الذي يقال له الصابى^(٣) . قالوا : هو الذي تعنين ، فانطلقى . فجاء بها إلى النبي ... وحدثاه الحديث . قال : فاستنزلوها عن بعيرها ، ودعا النبي ... بإناء ففرغ فيه من أفواه المزادتين – أو السطّيحتين – وأوكأ أفواههما وأطلق العزالى ، ونودي في الناس : اسقوا واستقوا^(٤) . فسقى من شاء واستقى من

-
- (١) المزادة قربة كبيرة وهي من جلد ، يزداد فيها جلد من غيرها ، وهي السطّحية ، وتسمى أيضاً : الراوية . و ((أو)) هنا شك من أحد الرواة في لفظة الراوية .
- (٢) المعنى : أن رجال قومها تخلفوا لطلب الماء .
- (٣) أي المائل الذي خرج من دين إلى غيره .
- (٤) المعنى : أنه من فرغ في الإناء من ماء المزادتين ، ثم تمضمض فيه النبي ... في الرواية الأخرى ثم أعيد الماء في المزادتين . ثم ربط أفواههما وفتحت الفتحيتين الكبيرتين في أسفل المزادتين واللتان تسميان ((العزلاوين)) وأمر المسلمين بالاستقاء ، وذلك بأن يشربوا هم ويسقوا ما معهم من الدواب .

شاء ، وكان آخر ذاك أن أعطى الذي أصابته الجنابة إناء من ماء قال : ((اذهب فأفرغه عليك)) ، وهي قائمة تنظر إلى ما يفعل بهائها . وأيم الله لقد أفلح عنها وإنه ليخيل إلينا أنها أشد ملاة منها حين ابتداء فيها . فقال ... : اجمعوا لها)) ، فاجمعوا لها - من بين عجوة^(١) ودقيقة وسويقة - حتى جمعوا لها طعاماً ، فجعلوها في ثوب وحملوها على بعيرها ووضعوا الثوب بين يديها ، قال لها : ((تعلمين ما رزئنا من مائك شيئاً^(٢) ، ولكن الله هو الذي أسقانا)) فأتت أهلها وقد احتبست عنهم^(٣) . قالوا : ما حبسك يا فلانة ؟ قالت العجب ، لقيني رجلا ن فذهبا بي إلى هذا الذي يقال له الصابئ ، فعل كذا وكذا ، فوالله إنه لأسحر الناس من بين هذه وهذه - وقالت بإصبعيها الوسطى والسبابة فرفعتهما إلى السماء تعني السماء والأرض - أو إنه لرسول الله حقاً . فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون ع لى من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه^(٤) ، فقالت يوماً لقومها : ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً ، فهل لكم في الإسلام ؟ فأطاعوها ، فدخلوا في الإسلام . رواه

(١) العجوة : نوع من التمر .

(٢) أي ما نقصناه .

(٣) أي تأخرت عليهم .

(٤) الصرم : الأبيات المجتمعة وينظر شرح عبارات وألفاظ هذا الحديث السابقة في شرح مسلم

البخاري ومسلم^(١) .

الفوائد والعبر :

- 1 - أن القلم مرفوع عن النائم حتى يستيقظ .
- 2 - أن التيمم يطهر من المحدث حدثاً أكبر عند فقد المسلم الماء أو عدم قدرته على استعماله ، فيشرع له أن يتيمم كما يتيمم المحدث حدثاً أصغر ، فيضرب الأرض بكفيه ، ثم يمسح بهما وجهه وظهور كفيه .
- 3 - من أساليب الكفار والمنافقين في الصد عن الإسلام وعن الاستقامة عليه عيب المؤمنین ، فهذا خير الخلق ... لُقّب ((الصابئ)) ، ولقب بغير ذلك كالساحر والكاهن وغيرهما .
- 4 - أن المتطهر بالتيمم تنتقض طهارته بوجود الماء وقدرته على استعماله ، فيجب عليه أن يتطهر بالماء .
- 5 - في هذا الحديث بيان لمعجزة من معجزات نبينا محمد ... ودليل من دلائل نبوته .
- 6 - أن حسن التعامل وحسن الخلق من أعظم وسائل الدعوة إلى الله تعالى ،

(١) صحيح البخاري (344) ، وصحيح مسلم (682) ، واللفظ للبخاري .

ومن أسباب دخول الكفار في الإسلام ، وفي المقابل فإن سوء التعامل وسوء الخلق من بعض المسلمين من أسباب الصد عن دين الله تعالى ، ولهذا فإنه يخشى على بعض المسلمين الذين يذهبون إلى بلاد الكفار لمعصية الله فيها ويصدر منهم أعمال لا تليق بالمسلمين يخشى أن يكون عليهم مثل أوزار من صدوهم عن دخول الإسلام بسوء أعمالهم وأخلاقهم .

* * *

الدرس الثامن والثمانون

أخبار إسلام بني جذيمة وعبادة الضبي

135 - عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - قال : بعث النبي ... خالد بن الوليد إلى بني جذيمة فدعاهم إلى الإسلام فلم يحسنوا أن يقولوا : أسلمنا ، فجعلوا يقولون : صبأنا صبأنا^(١) ، فجعل خالد يقتل منهم ويأسر ودفع إلى كل رجل منا أسيره حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره . فقلت : والله لا أقتل أسيري ، ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره ، حتى قدمنا على النبي ... فذكرناه له ، فرفع النبي ... يديه ، فقال : ((اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد)) ، مرتين . رواه البخاري^(٢) .

136 - وعن حميد بن هلال ، عن عبادة بن قرض الظبي - رضي الله عنه - أنه جاء يغزو حتى بلغ قريباً من الأهواز فسمع أذاناً فلما جاء إليهم فرأوه ، قالوا : ما

(١) الصابئ في الأصل هو من ترك دينه وتحول إلى دين آخر ، ولذلك كان المشركون يسمون

النبي ... ((صابئاً)) يلمزونه بذلك ، لأنه ترك دين قريش إلى دين الإسلام .

(٢) صحيح البخاري (4339) .

جاء بك يا عدو الله؟ قال : ما أنتم بإخوتي^(١)؟ قالوا : أنت أخو الشيطان ، قالوا : لنقتلنك . قال : أما ترضون مني ما رضي به مني رسول الله ...؟ قالوا : وما رضي منك؟ قال : أتيتته وأنا كافر ، فشهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله فحلى سبيلي ، فقتلوه^(٢) .

الفوائد والعبر :

- 1 - أن خطأ الأمير والقائد معفو عنه ، فلا يقتص منه إذا أخطأ في اجتهاده .
- 2 - ضلال الخوارج ، حيث أنهم يحاربون كل من لم يكن على طريقتهم الخاطئة ، ويكفرونهم ، ويقتلون من استطاعوا قتله منهم ، ومن أعظم أسباب ضلالهم الاعتداد بالرأي مع قلة العلم ، ولهذا يجرم على الناشئة وصغار طلاب العلم أن يخوضوا في مسائل الاجتهاد ، كمسائل التكفير ، وغيرها ، ولا يجوز أن يتكلم في هذه المسائل إلا العلماء الذين بلغوا رتبة الاجتهاد .
- 3 - أن من شهد شهادة الحق فقد عصم ماله ودمه إلا بحق الإسلام ، فلا يجوز

(١) أي أستم بأخوتي في الله ، لأنه مسلم ، وهم مسلمون . وكانوا من فرقة الخوارج الذين

يقتلون من لم يكن على طريقتهم ، ويعتبرونه كافراً .

(٢) رواه ابن قانع (1193) وإسناده صحيح .

قتله ولا التعرض له بأي أذى في جسده أو عرضه أو ماله .

* * *

الدرس التاسع والثمانون

قصة إسلام أحد المشركين في المعركة لما علاه المسلم بالسيف

- 137 - عن صفوان بن محرز؛ أنه حدث؛ أن جندب بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه - بعث إلى عسعس بن سلامة، زمن فتنة ابن الزبير، فقال: اجمع لي نفراً من إخوانك حتى أحدثهم^(١)، فبعث رسولاً إليهم. فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس أصفر. فقال: تحدثوا بما كنتم تحدثون به. حتى دار الحديث. فلما دار الحديث إليه حسر البرنس^(٢) عن رأسه. فقال: إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم^(٣). إن رسول الله... بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين. وإنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله. وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته. قال وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد. فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله، فقتله. فجاء البشير إلى النبي... .

(١) فجندب - رضي الله عنه - أرسل في وقت الخلاف بين ابن الزبير وبني أمية إلى هؤلاء

الشباب ليعظهم ويحذرهم مما يخشى عليهم الوقوع فيه .

(٢) حسر : كشف . والبرنس : كل ثوب رأسه ملتصق به ، سواء أكان دراعة أم جبة أم غيرهما .

(٣) «لا» في هذه الجملة زائدة . أو المعنى : كنت أتيت وأنا لا أريد أن أحدثكم بحديث مرفوع ،

ثم بدالي أن أحدثكم بذلك . شرح مسلم للنووي 2 / 105 .

فسأله ، فأخبره . حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع . فدعاه . فسأله . فقال ((لم تقتله ؟)) قال : يا رسول الله أوجع في المسلمين . وقتل فلاناً وفلاناً . وسمى له نفراً . وإني حملت عليه . فلما رأى السيف قال : لا إله إلا الله . قال رسول الله ...)) ((أقتلته ؟)) قال : نعم قال ((فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟)) قال : يا رسول الله ! استغفر لي . قال ((وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟)) قال فجعل لا يزيد على أن يقول ((كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة ؟)) رواه مسلم^(١) .

الفوائد والعبر :

1 - أنه ينبغي تحذير الناس من الوقوع في الشرور التي يخشى من وقوعهم فيها ، كل بحسبه ، ولا ينبغي أن ينتظر حتى يقعوا فيها ثم يناصحوا ، فالوقاية خير من العلاج .

2 - حرص الصحابة على الدعوة إلى الله تعالى ، ومناصحة من يخشى عليه أن

(١) أي بماذا تحتج إذا قيل لك : كيف قتلت من قال : لا إله إلا الله ، وقد حصلت لدمه حرمة الإسلام ؟ . المفهم 1/ 297 .

(٢) صحيح مسلم (97) . وله شاهد من حديث أسامة عند البخاري (4269) ، ومسلم (96) .

يقع في شيء من المخالفات في الاعتقاد أو في العمل ، ولهذا حرص جندب - رضي الله عنه - على مناصحة هؤلاء الشباب ، كأنه خشي أن يذهبوا إلى رأي الخوارج وعقيدتهم ، أو خشي أن يشتركوا في القتال بين المسلمين في هذه الفتنة التي وقعت بين ابن الزبير وبين بني أمية .

- 3 - أن من أظهر علانية حسنة وجب قبولها ، وتوكل سريرته إلى الذي يعلم السرائر - جل وعلا - حتى ولو كانت هناك قرائن تخالف ما أظهره .
- 4 - غلظ تحريم قتل النفس المسلمة بغير حق ، ولو كان القاتل متأولاً ، ويظن أنه على حق .

* * *

الدرس التسعون

خبر إسلام تميم الداري وقصة الجساسة

138 - عن عامر بن شراحيل الشعبي ، شعب همدان ؛ أنه سأل فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس . وكانت من المهاجرات الأول . فقال : حدثيني حديثاً سمعته من رسول الله ... لا تسنديه إلى أحد غيره . فقالت : لئن شئت لأفعلن . فقال لها : أجل . حدثيني . فقالت : نكحت ابن المغيرة . وهو من خيار شباب قريش يومئذ . فأصيب في أول الجهاد^(١) مع رسول الله ... فلما تأيمت^(٢) خطبني عبدالرحمن بن عوف ، في نفر من أصحاب رسول الله ... وخطبني رسول الله ... على مولاه أسامة بن زيد . وكنت قد حدثت ؛ أن رسول الله ... قال ((من أحبني فليحب أسامة)) ، فلما كلمني رسول الله ... قلت : أمري بيدك . فأنكحني من شئت . فقال ((انتقلي إلى أم شريك^(٣) وأم شريك امرأة غنية ، من الأنصار

(١) أي أصيب بجراحة ، وأرادت بهذا ذكر بعض مناقبه - رضي الله عنه - .

(٢) الأيّم : من لا زوج لها ، وكان ذلك بعد طلاق أبي عمرو بن حفص بن المغيرة لها .

(٣) وكان قوله ... هذا لها بعد طلاقها في وقت عدتها قبل أن يتقدم إليها الخطاب ، ففي الكلام

تقديم وتأخير ، وكان رسول الله ... قال لها في وقت عدتها ((لا تسبقيني بنفسك)) كما هو

مبين في رواية مسلم الأخرى (1480) .

عظيمة النفقة في سبيل الله ، ينزل عليها الضيفان . فقلت : سأفعل . فقال ((لا تفعل . إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان . فإني أكره أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك ، فيرى القوم منك بعض ما تكرهين . ولكن انتقلي إلى ابن عمك ، عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم)) ، فانتقلت إليه . فلما انقضت عدتي سمعتُ نداء المنادي ، منادي رسول الله ... ، ينادي : الصلاة جامعة . فخرجت إلى المسجد . فصليت مع رسول الله فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم . فلما قضى رسول الله ... صلاته ، جلس على المنبر وهو يضحك . فقال ((يلزم كل إنسان مصلاه)) . ثم قال ((أتدرون لم جمعتكم ؟)) قالوا : الله ورسوله أعلم . قال ((إني ، والله ! ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة . ولكن جمعتكم ، لأن تميماً الداري ، كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم . وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال . حدثني ؛ أنه ركب في سفينة بحرية ، مع ثلاثين رجلاً من لحم وجماد . فلعب بهم الموج شهراً في البحر . ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر^(١) حتى مغرب الشمس . فجلسوا في أقرب السفينة^(٢) . فدخلوا الجزيرة . فلقيتهم دابة

(١) أي التجؤا إليها ، فقربوا السفينة إلى مرفأ الجزيرة ، وهي الميناء .

(٢) وهو سفينة صغيرة تكون بجانب السفينة الكبيرة ، يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء

حاجياتهم ، كارتواء الماء والوصول إلى البر ونحو ذلك .

أهلب^(١) كثير الشعر . لا يدرون ما قبله من دبره . من كثرة الشعر . فقالوا : ويلك ! ما أنت ؟ قالت : أنا الجساسة . قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم ! انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير^(٢) . فإنه إلى خبركم بالأشواق . قال : لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها^(٣) أن تكون شيطانة . قال فانطلقنا سراعاً . حتى دخلنا الدير . فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً . وأشدّه وثاقاً . مجموعة يده إلى عنقه ، ما بين ركبتيه إلى كعبيه ، بالحديد . قلنا : ويلك ! ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري^(٤) . فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب - وأخبروه بخبرهم - فقال : أخبروني عن نخل بيسان^(٥) . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن

(١) الأهلب : غليظ الشعر وكثيره .

(٢) الدير : أصله لغة في الدار ، ثم اشتهر إطلاقه بعد ذلك على الدار التي يتعبد فيها رهبان

اليهود والنصارى ، وبالأخص إذا كانت في الصحاري والجبال ، كما في معجم البلدان)

مادة : دير) ، والظاهر أن المراد هنا : الدار .

(٣) أي خفنا منها .

(٤) أي أنكم ستعرفون خبري .

(٥) بيسان : مدينه من مدن فلسطين ، تبعد عن بيت المقدس 127 كم ، وتبعد عن نابلس 36

كم ، وعن جنين 33 كم ، وقد احتلها اليهود عام 1948 م وطرّدوا سكانها العرب ،

وهدموها ، ثم أعادوا بناءها ، ووطنوا مئات العائلات اليهودية فيها . ينظر : معجم بلدان

نخلها ، هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا تثمر . قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية^(١) . قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب . قال : أخبروني عن عين زغر^(٢) . قالوا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم . هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها . قال : أخبروني عن نبي الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثرب . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا :

فلسطين لمحمد شراب ص 217، 218 ، وقال في معجم البلدان 1/ 527 : «بَيْسَان : مدينة بالأردن بالغور الشامي ، بين حوران وفلسطين ، وتوصف بكثرة النخل ، وقد رأيتها مراراً فلم أر فيها غير نخلتين حائلتين ، وهو من علامات خروج الدجال ، وهي بلدة وبئة حارة ، أهلها سمر الألوان جعد الشعور لشدة الحر الذي عندهم».

(١) هذه البحيرة جزء من مجرى نهر الأردن ، وهي قريبة جداً من جبال الجولان التي احتلها اليهود عام 1387هـ ، وقيل : إن هذه البحيرة هي مكان قرية قوم لوط ، ويقع بقرب هذه البحيرة مدينة طبرية التي ينسب إليها الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة ، وغيره ، وتبعد هذه المدينة 20 كم عن مصب نهر الأردن في بحيرة طبرية ، وقد احتلها اليهود عام 1948 م ، وأجلوا سكانها من المسلمين . ينظر : الأنساب للسمعاني 4/ 42 ، معجم بلدان فلسطين ص 499 .

(٢) وهي عين تقع على شاطئ البحر الميت الجنوبي الشرقي . ينظر : معجم بلدان فلسطين ص 431 .

نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه . وإني مخبركم عني : إني أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان علي كلتا هما . كلما أردت أن أدخل واحدة ، أو واحداً منهما ، استقبلني ملك بيده السيف صلتاً^(١) ، يصدني عنها ؛ وإن علي كل نقب منها ملائكة يحرسونها^(٢) . قالت : قال رسول الله ... ، وطعن بمخصرته^(٣) في المنبر : ((هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة)) يعني المدينة ((ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟)) فقال الناس : نعم . قال : ((فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة ، ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن . لا بل من قبل المشرق ، ما هو من قبل المشرق ، ما هو . من قبل المشرق ، ما هو^(٤))) ، وأوماً بيده إلى المشرق .

(١) أي مسلولا .

(٢) المخصرة : ما يمسكه الإنسان بيده من عصا أو عكازة أو مقرعة أو قضيب ، وقد يتكئ عليها .

(٣) النقب الطريق .

(٤) قال القاضي عياض : ((ليس (ما) هنا للنفي ، لأنه ... إنها يريد إثبات كونه من جهة الشرق ، و(ما) هنا زائدة لصلة الكلام)).

قالت : فحفظت هذا من رسول الله رواه مسلم^(١) .

الفوائد والعبر :

- 1 - محبة نساء الصحابة لرسول الله ... ، وتقديمهن لمحباته على محباتهن .
- 2 - كرم نساء الصحابة - رضي الله عنهن - .
- 3 - أنه يجب على المرأة أن تستر جميع جسدها عن الرجال الأجانب منها ، بما في ذلك الوجه والساقين .
- 4 - حرص النبي ... على مصلحة أمته ، حيث حذرهما من كل ما فيه ضرر عليها ، ومن ذلك أنه حذرهما المسيح الدجال ، وبين لها أوصافه لتعرفه فتحذره .
- 5 - بيان ضعف المسيح الدجال ، وأنه الآن موجود موثق ، وأن له وقتاً محدداً س يخرج فيه ، وأن الله يمتحن به الناس .
- 6 - حماية الله لمكة والمدينة .
- 7 - أنه ينبغي للداعية استغلال كل أمر أو حدث يؤيد أو يصعد ما يدعو إليه من الحق ، ولو كان الحق الذي يدعو إليه واضحاً ، لما يرجى في ذلك من سرعة

(١) صحيح مسلم : الفتن (2942) . وينظر في شرح هذا الحديث : إكمال المعلم / 8 / 497 -

استجابة المدعوين وتقوية إيمانهم .

* * *

الدرس الحادي والتسعون

قصة إسلام الهرمزان^(١) - أحد أمراء الفرس -

139 - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : بعث معي أبو موسى بالهرمزان إلى عمر بن الخطاب ، وكان نزل على حكمه^(٢) ، قال : فلما قدمت به ، قال : فجعل عمر يكلمه ، فجعل لا يرجع إليه الهرمزان الكلام^(٣) ، قال : فقال له : تكلم . فقال : أكلام حي أم كلام ميت ؟ قال : تكلم ، لا بأس ، قال : كنا وأنتم يا معشر العرب - ما خلا الله بيننا وبينكم - نستعبدكم ، ونقصيكم ، فلما كان الله معكم لم يكن لنا بكم تدان . قال : فقال عمر : ما تقول يا أنس ؟ قلت : يا أمير المؤمنين تركت خلفي شوكة شديدة وعدداً كثيراً إن قتلته أيس القوم من الحياة وكان أشد لشوكتهم ، وإن استحيته طمع القوم^(٤) ، فقال عمر : يا أنس أستحيي قاتل

(١) الهرمزان وإن لم يكن صحابياً لكن أصحاب الكتب المؤلفة في الصحابة يذكرون المخضرمين ضمن كتب الصحابة فتبعتهم في ذلك .

(٢) وذلك أن المسلمين لما حاصروا الهرمزان بمدينة تستر لم يستسلم حتى صالحهم على أنه عمر هو الذي يحكم في أمره كما في رواية مطولة عند ابن أبي شيبة (15660) .

(٣) أي أن الهرمزان لم يكلم عمر لما كلمه .

(٤) أي أن بقية جيوش الفرس أن علموا أن الهرمزان لم يقتل طمعوا في عفو المسلمين

البراء بن مالك ومجزأة بن ثور ، قال أنس : ثم كأن عمر أراد قتله ، قال : فقلت : ليس إلى قتله سبيل ، قد قلت له : (تكلم ، فلا بأس) ، فقال : لَتَأْتِيَنَّ معك بشاهد آخر أو لأبدأنَّ بعقوبتك . قال : فخرجت من عنده ، فلقيت الزبير بن العوام ، فوجدته قد حفظ مثل ما حفظت . قال : فاتاه ، فشهد على مثل الذي شهدت به ، فتركه ، فأسلم ، وفرَّضَ له^(١) .

140 - وعن جبير بن حية - رحمه الله - قال : بعثه عمر الناس في أفناء

الأمصار^(٢) يقاتلون المشركين ، فأسلم الهرمزان ، فقال : إني مستشيرك في مغازي^(٣)

فاستسلموا ، وإن علموا أنه قتل قاتلوا لئلا يقتلوا مثله .

(١) أي أعطاه مالاً من بيت مال المسلمين ، وجعله مستمراً له في كل عام .

والأثر أخرجه الشافعي في مسنده ص 317 ، وابن أبي شيبة في الجهاد (15249) ، وفي

التاريخ (15661) ، وأبو عبيد في الأموال (304 ، 305) ، وسعيد بن منصور في باب قتل

الأسارى (2670) ، والقاضي إسماعيل بن إسحاق ، وإسماعيل بن جعفر في فوائده كما في

الفتح 6/ 275 ، والإصابة 3/ 584 ، ومن طريقهما الحافظ في التخليق 3/ 484 وإسناده

صحيح . وقد صححه الحافظ في الفتح .

ورواه البخاري في صحيحه مختصراً في الجزية باب 11 تعليقاً مجزوماً به .

(٢) أي في مجموع البلاد الكبار ، والأفناء هو من الناس من لم تعين قبيلته ، والمصر : المدينة

العظيمة .

هذه . قال : نعم ، مثلها ومثل من فيها من الناس من عدو للمسلمين مثل طائر له رأس وله جناحان وله رجلان ، فإن كسر أحد الجناحين نهضت الرجلان بجناح والرأس فإن كسر الجناح الآخر نهضت الرجلان والرأس . وإن شدخ الرأس ذهبت الرجلان والجناحان والرأس . فالرأس كسرى والجناح قيصر والجناح الآخر فارس^(١) . فمُرَّ المسلمون فلينفروا إلى كسرى . وقال جبير بن حية : فندبنا عمر . واستعمل علينا النعمان بن مقرن . حتى إذا كنا بأرض العدو ، وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً ، فقام ترجمان ، فقال : ليكلمني رجل منكم . فقال المغيرة : سل عما شئت . قال : ما أنتم ؟ قال : نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد وبلاء شديد . نمص الجلد والنوى من الجوع . ونلبس الوبر^(٢) والشعر . ونعبد

(١) في رواية ابن أبي شيبة لما في الفتح 264 / 6 «أن عمر شاور الهرمزان في فارس وأصبهان وأذربيجان»، قال في الفتح : «أي بأبيها يبدأ ، وهذا يشعر بأن المراد أنه استشاره في جهات مخصوصة ، والهرمزان كان من أهل تلك البلاد ، وكان أعلم بأحوالها من غيره ، وعلى هذا ففي قوله في حديث الباب : (فالرأس كسرى ، والجناح قيصر ، والجناح الآخر فارس) نظر ، وقد وقع عند الطبري : (فإن فارس اليوم رأس وجناحان) وهذا موافق لرواية ابن أبي شيبة ، وهو أولى ... » .

(٢) ينظر التعليق السابق .

(٣) الوبر : صوف الإبل .

الشجر والحجر . فبينما نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين - تعالى ذكره وجلت عظمتة - إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه ، فأمرنا نبينا رسول ربنا ... أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده . أو تؤدوا الجزية . وأخبرنا نبينا ... عن رسالة ربنا أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط . ومن بقى منا ملك رقابكم . رواه البخاري^(١) .

الفوائد والعبر :

- 1 - أن العرب كانوا أذلاء أمام أعدائهم قبل دخولهم في الإسلام ، وكان الفرس والروم يستعبدونهم ويحكمون كثيراً من بلدانهم بسبب شرك العرب وتفرقهم ، وكان الفرس والروم أحسن منهم ديناً وإن كانوا الجميع على ضلال .
- 2 - أن العرب لما تمسكوا بالإسلام وطبقوا أحكامه في كل شؤونهم نصرهم الله تعالى على أعدائهم ، كما قال تعالى { إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم } [محمد: 7] ، وفي المقابل لما ابتعد المسلمون عن دينهم واجتروا على معاصي الله تعالى خلاً بينهم وبين أعدائهم ، وفي هذا العصر لما تنكر كثير من المسلمين لدين الله تعالى وحاربوه سلط عليهم أعدائهم ، فتغلبوا عليهم واستذلوهم .

(١) صحيح البخاري (3159) .

- 3 - وجوب العدل حتى مع الأعداء ، قال الله تعالى : { ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى } [المائدة: 8] أي لا يحملنكم بغض قوم على عدم العدل فيهم ، بل اعدلوا فيهم .
- 4 - أنه ينبغي استشارة أهل المعرفة والتجربة فيما لديهم خبره أو تجربة فيه إذا رجي نصحتهم .
- 5 - فضل الله على هذه الأمة بإرسال هذا النبي الكريم الذي من أطاعه وسار على طريقته حصل سعادة وعز الدنيا والآخرة .
- 6 - فضل الشهادة في سبيل الله .

* * *

فهرس الموضوعات